حزيران (يونيو) ١٩٨٣ - شعبان ١٤٠٣

المختار

من ريدرز دايجست

الدولار الاوروبي ١٥
الرجال العاشقون ٢١
جالب الحظ ٣٠
من اين تأتي السمنة؟ ٣٤
نجمة الشجاعة ٤٢
بونديشيري: فرنسية في الهند ٤٨
معاق يصبح بطلا ٥٤
التجار يغزون الفضاء ٥٨
رنين الامل ٦٤
المحرقة الحية ٧٤
عصر الطين ٨٢

الاجداد يدفعون ضريبة الطلاق

(ص ٩١)

بيروت: ايام لا تُنسى

(ص ٢٤)

الفارس المجهول ٩٩
النجمة والوزير ١٠٣
الانكليزية لغة العصر ١٠٧
صانعو التاريخ (كتاب الشهر) ١١٣
رجل محظوظ ٥
اكتب واربح ١ - حديقة افكار ١٣ - الضحك ٤٧ - تأملات معاصرة ٦٨ - دائرة المعارف ٧٩ - الطب ١١١ - صور من الحياة ١٤٤

الجسم السليم في العقل السليم

(ص ٦٩)

لبنان ٦٠٠ق - سورية ٧٠٠ق - الاردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - اليمن ٨ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وأمريكا الشمالية ٢،٥٠د

AL MUKHTAR min Reader's Digest June 83 N° 55

الألعابُ الأولمبيّة لعَام ١٩٨٤ في لوسْ أنجلوسْ تعتمد أجهزة الڤيديو سَانيو

إن عظمة الألوان في المنافسة المثيرة للألعاب الأولمبية الصيفية تحدث مرة واحدة فقط كل أربع سنوات. ونحن في سانيو نفتخر بأن أجهزتنا للڤيديو قد اختيرت لتنقل لكم من دون شك الحدث الرياضي الأكثر إثارة وتنافساً في العالم. إن أجهزة الڤيديو سانيو تشمل أحدث الإبتكارات الفنية لتوفر لكم الصورة والصوت الأقرب إلى الواقع. أجهزة تحكم بسيطة بمزايا عديدة للحصول على أدق تسجيل واعادة بث. روعة الدمج ووزن خفيف مع خدمة أطول ... واستعمال كاسيتات ڤيديو بيتاكورد الصغيرة الحجم التي يسهل خزنها والتي تمكنك من تسجيل ١٩٥ دقيقة من الإثارة على كاسيت واحدة. أجهزة الڤيديو سانيو. الكثير من الناس حول العالم قد اختارت سانيو لتسجيل ذكرياتهم المهمة، لماذا لا تكون واحد منهم ؟.

نظام ڤيديو نقال

- VSC 5800 كاميرا ڤيديو ملون ذات سرعتين. زوم اوتوماتيكي بقوة ١-٦ وميكروفون مبيت.
- VPR 5800 مسجل ڤيديو نقال مع بحث عن الصورة بسرعة عالية. تثبيت فوري للصورة. نوابض تحكم تعمل باللمس، بطارية قابلة للشحن ومحول.
- VPA 5800 للشحن الكهربائي.
- VTT 5800 مؤقت / مولف مع ١٢ مفتاح للتحكم قابلة للتعديل مسبقاً واختيار اسبوعان / ٤ برامج.

نظام بال.
أيضاً متوفرة بنظام NTSC.

Beta

Games of the XXIIIrd Olympiad Los Angeles 1984

اجهزة الڤيديو الرسمية للألعاب الأولمبية ١٩٨٤ - لوس انجلوس

سانيو
SANYO

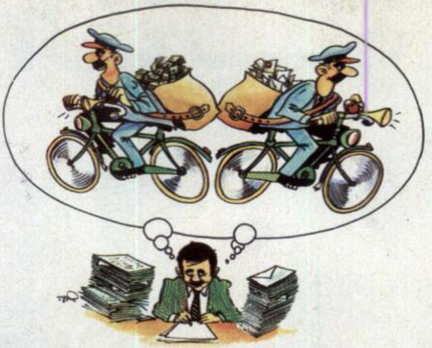

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

اكتب و اربح

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة، تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة من حياة مجتمعاتنا العربية. تدفع عن القصة الواحدة ٥٠ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. وتستبعد في هذا الباب النكات غير المهذبة. تدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية تدفع ثلاثة دولارات عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل. يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط الشروط الشروط الشروط

● كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة. ● كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك، حديقة افكار ...) ● في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد. ● ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن. ● تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية. ● لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: **مجلة المختار من ريدرز دايجست ـ شارع المقدسي ـ بناية الشرتوني ـ ص: ب ٨٧٠٧ ـ بيروت ـ لبنان.**

الفريـــق

كونيكا **C35 EF3** متوافرة بخمسة الوان مختلفة لتناسب اذواقكم.

ساكورا
sakura
كونِكا
Konica

ثمة اشياء تعمل سوية بأنسجام طبيعي وخير مثال على ذلك الفريق المؤلف من كاميرا كونيكا وفيلم ساكورا كولور. تصميم متطور لكاميرا سهلة الاستعمال وفيلم مناسب لأعطائكم صورة واضحة، نقية وذات الوان طبيعية. ان استعمالهما معا يمنحكم صوراً رائعة تحفظونها دائماً. كاميرا **كونيكا** وفيلم ساكورا كولور افضل فريق لالتقاط اروع لحظات الحياة.

KONISHIROKU PHOTO IND. CO., LTD.: No. 26-2, Nishishinjuku 1-chome, Shinjuku-ku, Tokyo 160, Japan

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب •

امانة التحرير: راغدة حداد، الاخراج: لولو بعاصيري •

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست":

رئيس التحرير: ادوار ت• طومسون • مدير التحرير: آلان دوليرو. المدير العام: جون ١• اوهارا •

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس • الناشر: شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت • الخدمات الصحافية: شركة النهار ش•ت•م•ل• بيروت • التحرير: شارع روما، بناية هاشم • ص•ب• ٤٤٦ ـ ١١ التلكس ANAHAR 22322 LE بيروت • التلفون ٣٤٠٥٥٦• الادارة والاعلانات والاشتراكات: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص•ب• ٨٧٠٧ ـ ١١• التلكس 22288 LE التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١ •

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest. 37 Avenue George V. 75006 Paris, FRANÇE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت • الطباعة: سيكو، بيروت ـ لبنان • التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات •

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية اضافة الى العربية •

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة• يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان، جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى• وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية• وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية •

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

الغلاف: الماء والخضراء ••• (سرجيو توبي ـ ايطاليا)

AL MUKHTAR min Reader's Digest

June 83 No 55 (New Series) Vol. 5

(غلاف عدد ابريل كان لليشيا هايدي البرازيلي وليس البرتغالي)

© 1983 BY AN NAHAR P.I. S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN INC

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٦ لغة •

التمتع بالحياة الايطالية يبدأ بالسفر مع أليطاليا

سافروا مع أليطاليا وتذوقوا الحياة الأيطاليّة على متن الطائرة ... الضيافة واللباقة ، الخدمة الممتازة ، والمأكولات الشهيّة ، وستجدوا في الطائرة بوتيك يزخر بالبضائع الفاخرة

روما ... بوابة العالم الغربي وحلم المتسوقين، ستجدوا في مركزا المدينة الأثري أفخر المخازن في أوروبا ... عالم كامل من الاناقة والجمال ، من الأزياء والملحقات وغيرها . ولاتنسوا تسهيلات العملة وأنسب الأسعار التي لاتضاهى . تفضلوا إلى ايطاليا لقضاء "عطلة تسوق" .

Alitalia
الخطوط الجوية الايطالية

للمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بمكتب اليطاليا لديكم او بوكيل سفركم المعتمد .

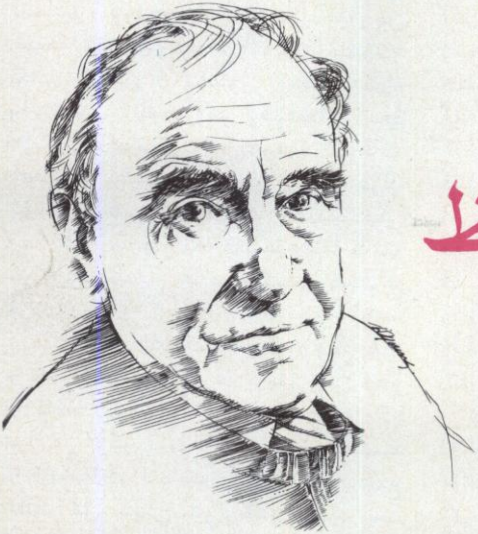

رجل محظوظ

كاتب بريطاني مرموق يروي مشاعره في السن الثمانين

يتملكني شعور بالعقم منذ صباي كلما فكرت في اني ولدت قبيل طي صفحة العام ١٩٠٠ فانا أشعر اني قديم في هذا الكون قدم القرن نفسه. واضحى بقائي مصدر ارباك بدلا من ان يكون سبب فخر فهو خلو من اي استحقاق او جدارة. فالأهلية تعود كلها الى تلك القوى الخفية التي ندعوها الجينات الموروثة اذ اني انتمي في المقام الاول الى أسلاف عمروا طويلا. ثم ان معدل الاعمار ارتفع على نحو مذهل في السنوات الخمسين الماضية نتيجة لخطوات التقدم الجبارة على صعيد العلوم الطبية والصحية.

لم يعد المسنون تحفاً نادرة تستأهل التبجيل والاحترام، بل انهم اضحوا عبئاً اجتماعياً في غالب الأحيان، نندفع في المدن والمنتجعات مثل بحارة قدامى فنشمخ بأكتافنا اذ نميز رفقاءنا في الحانات والحوانيت ونتباهى بقوتنا الجسدية امام العالم أجمع. ونفاخر. فنحن لم

(C) 1980 by V.S. Pritchett. The New York Times Magazine (December 14, '80), New York, N.Y. Illustration: Leoung O'Young.

نعرف المرض يوماً، اللهم الا بعض السعال في الشتاء وداء المفاصل او النقرس. وندخن فيتصاعد الدخان من رئيتنا كما من مصنع. ونرثي لهؤلاء الناس الذين لا يعملون اثنتي عشرة ساعة في اليوم ولم يخوضوا زوبعة حربين عالميتين ولم يعرفوا الاوقات العصيبة الطيبة الماضية. واذ تتحرك السنتنا في احاديث لا تنتهي وتتداخل استعاراتنا وتشبيهاتنا فاننا نتحول ممثلين على خشبة مسرح غريب.

نؤدي دور التواضع بمهارة ومع هذا نرفض ابداً ان نعترف باننا على خطأ او باننا غير مؤهلين لعمل ما. واذكر في ما اذكر ذاك الكهربائي النشيط ذا السنوات الثمانين الذي اتى ليصلح عطلا في بيتي في لندن قبل ست سنوات فأقحم مثقابه في انبوب للمياه حذرته منه مسبقاً. ومع ذلك استدار نحوي متهماً ساخطاً فيما تدفقت المياه علينا معاً. وكسواه من المسنين هنأ نفسه مفاخراً بانه لم يثقب انبوب غاز كهذا في حياته. وما زلنا حتى اليوم نتبادل التحيات وكلمات المودة كلما التقينا في الشارع، عجوزين متساويين في الادعاء والحماقة، ونتباهى باننا نشعر بدماء الشباب تسري في عروقنا.

ومهما يكن فخلف هذه الحماقة تقبع المعرفة التي تهمس في آذاننا ان العمر لا يتقدم عاماً بعد عام في اطار عملية حسابية واضحة. فالمرء قد يشعر ان ساعات الزمن توقفت لفترات طويلة. ففي السابعة والخمسين كنت ابدو كئيباً عليلا مترهلا كما استنتجت من صورة يعود تاريخها الى تلك السن، وكنت حتماً اقل نشاطاً مني في سنوات الستين او السبعين وحتى الآن. ولعل تلك الظاهرة تعود الى ان عمري كان يكبر او يصغر لاني واحد من اولئك الذين "يعيشون على اعصابهم." غير ان هناك امراً واحداً اثق به كل الثقة وهو اني في الثلاثينات كنت اصغر بمراحل مني وانا في العشرينات، لان قلبي حينذاك كان مفعماً بالحب وطاقاتي وجدت ضالتها المنشودة. ويعود ذلك اساساً الى زواج سعيد دام ٤٤ سنة.

وما زلت قادراً اليوم على ارتقاء السلالم الاربع التي توصلني الى مكتبي من دون ان الهث. افعل ذلك كل صباح بما في ذلك ايام السبت والاحد وانا أكيل الشتائم للضرائب والتضخم المالي متأففاً من العمل المتوجب علي انجازه ومطالباً غير صادق بفترة راحة واسترخاء لان المرء في سني يستحق اجازة. ولكن ما ان انتهي من تنظيف غليوني واتناول قلمي الذي ينطلق على الورقة كعصفور في سماء زرقاء حتى تتوقف تأوهاتي وتخمد همهماتي ويتلاشى انيني. واستسلم بكليتي لسحر اللغة التي دخلت عوالمها الشفافة ووقعت في شباكها منذ سني العاشرة.

بعد الغداء أتسوق حاجاتي اليومية حيث يشار الي كعجوز متقاعد. وهذه صفة تنسجم تماماً مع حياة الكاتب المزدوجة. بعد ذلك اعود الى البيت لاشرب الشاي. وتتلخص فترة بعد الظهر بعمل متواصل من الرابعة حتى

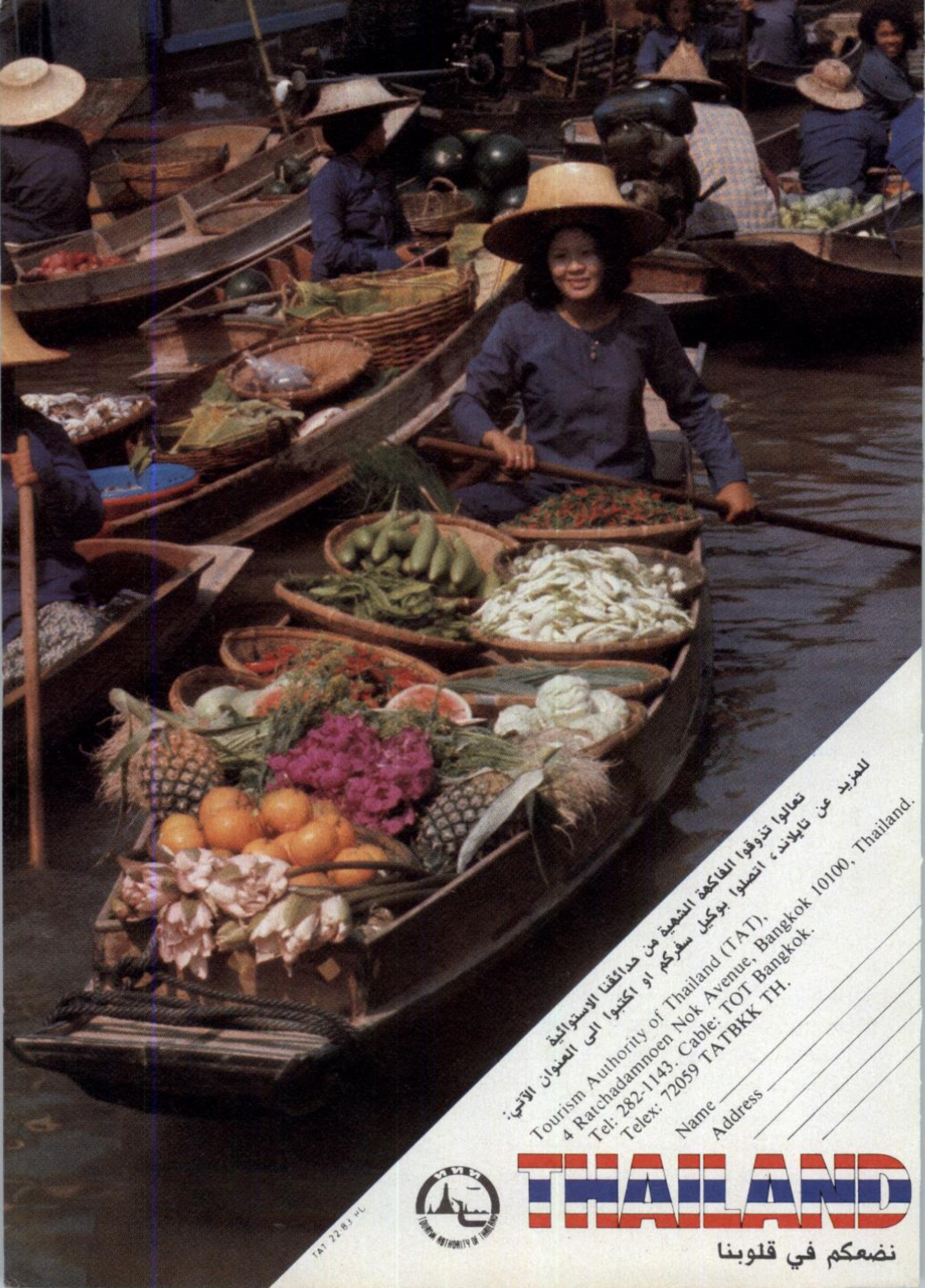

تعالوا تذوقوا الفاكهة الشهية من حدائقنا الاستوائية
للمزيد عن تايلاند، اتصلوا بوكيل سفركم او اكتبوا الى العنوان الآتي:
Tourism Authority of Thailand (TAT),
4 Ratchadamnoen Nok Avenue, Bangkok 10100, Thailand.
Tel: 282-1143. Cable: TOT Bangkok.
Telex: 72059 TATBKK TH.
Name
Address
TOURISM AUTHORITY OF THAILAND
THAILAND
نضعكم في قلوبنا
TAT 22.83 HL

السابعة اتناول بعده وجبة العشاء ثم اعود لمتابعة فواتيري ورسائلي. واذا كان الطقس مؤاتياً، فاني افعل ذلك في الحديقة على هدأة نسمات عليلة وهواء بليل. وآوي الى فراشي قرابة العاشرة مساء، اللهم الا اذا كنت انوي الخروج الى سهرة.

وأنام عميقاً مستسلماً لأحلام تواقة جامحة، ولا يقض مضجعي الا استرسالي في الكتابة اثناء النوم وتكون غالباً بالانكليزية واحياناً بلغات اخرى أتقنها كالاسبانية والفرنسية وحتى الالمانية القديمة التي توقفت عن تعلمها منذ ما تركت المدرسة وانا في الخامسة عشرة من عمري.

انا رجل محظوظ حقاً. منزلنا المريح الكامن بين اشجار وارفة عتيقة اصبح اليوم واسعاً علينا بعدما كبر الاولاد وانطلقوا يبحثون عن آمالهم. ولكن بعد خمس وعشرين سنة هنا اين يمكننا ان نذهب بآلاف الكتب التي تثقل الرفوف؟ ثم ان عملية الانتقال الى مسكن آخر تفضح ما جاره الدهر على الاثاث وغالباً ما يكون المحيط الجديد قاتلا للمسنين أمثالي. إني محظوظ اذ يمكنني العمل في البيت بمجرد الانتقال الى فوق بدلا من الارتحال في القطار او الحافلة. وانا ما زلت حتى هذه اللحظة قادراً على كسب معيشتي ككاتب. إني محظوظ فعلا لان المجتمع لم يقذفني الى الهامش فبقيت انساناً عاملا منتجاً.

كثير من المتقاعدين اكرهوا على البطالة ولا بد وانهم يملكون شخصيات اكثر انغلاقاً مني. انا اعرف بعض ايام الراحة، لكني في غالب الاوقات أحمل في ذاتي ما يسميه كيتس الوعي الذي لا غنى عنه لـ"المقدرة السلبية" واذ ذاك فان العمل يؤدي الى "تبخر المكروهات".

وطالما آمنت بان الحديث نيابة عن الآخرين والدفاع عن اولئك الذين لا يملكون هبة الكتابة واعطاء وجودهم اهميته الخاصة امر يقتصر على القصصيين والنقاد. واذا كنت راوياً قصصياً استرق النظر وارقب عن كثب مجريات الامور حولي، فكيف انظر الى التغيرات البطيئة التي طرأت في السنوات الأربعين الماضية؟

فرق جوهري هو ان الاسلاف واظبوا على قراءة الآداب الكلاسيكية في حين تخلى ورثتهم عن الكلمة المطبوعة المعبرة ليتبنوا المشاهد المرئية على الشاشة. ويمكن المرء ان يلحظ كيف تحولت العبارات الجميلة ألفاظاً مبتورة سريعة. وقد لفظت المدارس مجموعات كبيرة من الرجال والنساء الذين لا يتقنون القراءة والكتابة لان عالم الآلات جعل هاتين من الامور التافهة. وأعتقد ان القلة الباقية من مدمني القراءة ستدوم، لكن مستقبل النثر وابعاده الرؤيوية لن يحقق الدرجة المتوخاة.

في الثمانين انظر الى حال حضارتنا المروعة فينتابني الالم. يبدو ان حضارتنا آخذة في الانحلال والتفسخ لتعود الى ذاك العالم الدامي الذي حدثنا به تاريخ شكسبير وظننا اننا تخطيناه. ويبدو ان العالم الثالث يستعيد تاريخاً من العنف كنا نسيناه.

الجمال الحقيقي الأصيل

أوريَنت كوارتز

أناقة في منتهى الرقة . مع أداء في غاية الدقة .
بتصاميم فريدة لمجموعة واسعة من الساعات المقاومة تماما للماء.
أوريَنت تقدِّم تشكيلة جديدة من الساعات
المترفة التي لا تخشى الماء.
إنها رائعة بكل معنى الكلمة . أوريَنت كوارتز.

ORIENT اورينت

ORIENT WATCH CO., LTD., Tokyo, Japan

اني إنساني النزعة لكني لا اعتقد ان البشر عقلانيون. فهم لا يفلتون بسهولة من اطماعهم وانفعالاتهم. علينا اليوم ان نهيىء انفسنا لمواجهة الاخطار والمآسي، وانا اؤمن ببعض مبادىء المذهب الرواقي (★). وكثيراً ما راودتني في الفترة الاخيرة ذكرى صديق مقدام عاش الحياة كأنها ميدان لاختبار مخاوفه. وقد ابحرت معه مرة في عاصفة هوجاء فعرفت الذعر الحقيقي اما هو فلم يرف له جفن طوال الرحلة ولم تعرف نفسه الخوف. او انه اذا خاف قليلا، فان مخاوفه كانت تبهجه وتنعش نفسه لتذوب في الخطر الداهم. وكان دائماً يقول انه "يفكر في الخطوة التالية."

هل زادت حنكة الايام من حكمتي؟ لا اعرف لهذا جواباً لكني اليوم اكثر قدرة على الاحتمال. لم اكن رجلا محباً رقيقاً في شبابي لكن الحب المتقد المشبوب العاطفة جعلني رقيقاً، والمحبة التي اقابِل بها اليوم – وهي احدى مكافآت الكبر – تترك في نفسي اثراً لا يمحى.

اعتقد اني أكبر على مهل. وما انا فيه لا يعود الى تأثير الرجال فقط، بل اني مدين للمرأة بالكثير. ففي طفولتي شحذت امي عالمي الصغير بدعاباتها وعواطفها وشخصيتها الدائمة الحركة والتجدد. وأرى النساء المسنات ينعمن بالهدوء، اما في الرجال فالسكينة تصبح خدراً وسباتاً بينما انغمس انا في النشاطات المختلفة واستنفد نفسي واغرق في الضحك الذي يشحذ الاذهان.

واذ اعرف ان وقتي محدود على هذه الارض فاني اجد نفسي منصرفاً الى تأمل الاماكن اكثر من قبل، فأمعن النظر في الشجرة العادية عند طرف الحديقة دارساً اغصانها واوراقها وأسترسل في تأمل الازهار وأبحث ابداً عن اي تغيرات في سماء لندن. انا لست من دعاة النزعة العاطفية الى حب الطبيعة لكني ببساطة من عشاق الهضاب والحجار والورق الاخضر.

وحين تقال جميع الاشياء وتُفعل تضحي لذات الكبر ذات طابع متريث متمهل ويصبح الحب نفسه اكثر غموضاً ورقة وديمومة. ولعل فاجعة هذه المرحلة من العمر موت الاصدقاء وتضاؤل عدد الاتراب. ويتغلغل الهواء اليك حاملا برودة اكثر ويُقتلع شيء فيك برحيل الاصدقاء. واذ تلزم الحداد على من فقدت فانك تتعلم اعادة تقويم ماض طالما اهملته فتحيي ذكراهم بتوق وتجدد واخلاص.

نحن المسنين اعضاء روحيون في بوتقة واحدة مشتركة.

■ ف.س. بريتشت

(★) مذهب فلسفي انشاه زينون الفينيقي قرابة العام ٣٠٠ ق.م. يقول بان الرجل الحكيم يجب ان يتحرر من الانفعال ولا يتأثر بالفرح والترح وان يخضع من غير تذمر لحكم الضرورة القاهرة.

الخريف هو ذلك الوقت من السنة الذي نحن الى مكان لم نبصره قط ... انه سماء الصيف بعيني الشتاء.

ل.ب.

حالما تدخل احد المكاتب العديدة للخطوط الجوية الفرنسية أينما كانت في جميع أنحاء العالم، تشعر فورًا بهذا السحر الفرنسي الخاص.

ابتسامة ساحرة ووجوه بشوشة ترحب بكم، وفي ثواني قليلة تجهز لكم مضيفتنا تذكرة سفركم وتجيب على كل الاسئلة التي ترغبون في طرحها وذلك بفضل أحدث أنواع الكمبيوتر. لحجز تذاكركم على متن طائراتنا وعبر كل الرحلات العالمية التي نقوم بها سوف تتمتعون ايضا بهذه الميزة الفريدة لطريقة عيش فرنسية تزيدها روعة أطباقها اللذيذه ونبيذها المعتق الفاخر.

وماذلك سوى مقدمة بسيطة لكل ما ينتظركم في العاصمة الفرنسية. لذلك كلما أردتم السفر، افضل طريقة للحصول على المعلومات الضرورية لتحضير رحلتكم اتصلوا بأقرب مكتب للخطوط الجوية الفرنسية أينما كنتم.

AIR FRANCE

الخطوط الجوية الفرنسية الى ١٤٨ مدينة في ٧٣ بلدًا.

مقياسُ الأناقة
RADO رادو
DIASTAR
Mod. dép.

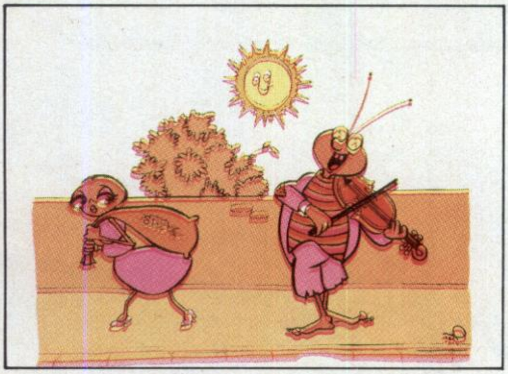

حديقة أفكار

■ في قلب كل شتاء ربيع نابض، ووراء كل ليل فجر باسم.

جبران خليل جبران

■ ليس من شأن العلم أن يورث الارض، بل أن يحافظ على الضمير البشري الذي لولاه لهلك الانسان ومعتقداته وعلومه جميعاً.

جاكوب برونوفسكي، عالم بريطاني

■ كل ثورة ناجحة تلبس، مع الوقت، رداء الطاغية الذي خلعته.

ب.ت.

■ اني لأمقت الوجوه الخالية من التساؤل، اذ انها لا تسعى الى أن تتعلم أكثر وتنظر الى أكثر وترى أكثر وتكون أكثر.

ماريا تالتشييف، راقصة باليه

■ الله تعالى يقدرني عندما أعمل لكنه يحبني عندما أغني.

طاغور

■ أليس غريباً أن نجد اولئك الذين يسخرون من الراجمين بالغيب متهالكين على تنبؤات رجال الاقتصاد؟

س.ا.

■ اذا كنت تطالع كتب الصحة، فاحرص على ألا تقع ضحية خطأ مطبعي.

مارك توين

■ حين تنتهي اللعبة يعود الملك والبيدق الى مكان واحد.

مثل ايطالي

■ من وقت الى آخر يحتاج المرء الى الوقوف حيال الاشياء وقفة دهشة والنظر اليها بعيني طفل.

مجلة "ناشونال جيوغرافيك"

إننا نحول ألحليب الهولندي الجيد إلى منتجات لذيذة متنوعة • حليب مركز بالتبخير ، حليب محلى مكثف ، وكذلك بودرة حليب • وإننا قمنا ونقوم بهذا منذ سنوات عديدة •
لذلك فأنه ليس من العجيب أن شهرتنا كبيرة في كل الشرق الأوسط وفي كل الأماكن الأخرى تحت الشمس •

أن بودرة حليب كوست سريع الذوبان الخاصة بنا أصبحت اليوم هي إختيار العائلات كثيرة العدد التي ترغب في الحصول على حليب نظيف ، صحي ومغذي بمجرد تحريك ملعقة •
جرب كوست سريع الذوبان وتمتع بمذاق الجودة الهولندية مرة بعد أخرى •

اكتشف بهجت كوست سريع الذوبان اليوم

هولاند كاند ميلك فيخل

الدولار الأوروبي عملة بلا وطن

سوق "الاورودولار" او "الدولار الاوروبي" هي احدى الوسائل لتحويل الاموال من البلدان التي تملك مالا لاقراضه الى تلك التي تحتاج الى اقتراضه

صباح الثالث عشر من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨١ انتشرت الدبابات في شوارع المدن البولونية واستيقظ العالم على انباء اعلان الاحكام العرفية في بولونيا. وبينما كان الجنود يحرسون المواقع المهمة في شوارع العاصمة فرصوفيا، عقد مصرفيون قلقون في عواصم العالم المالية اجتماعات متواصلة لمواجهة الاوضاع الجديدة في بولونيا المدينة للمصارف الاوروبية بمبلغ ٢٥ مليار دولار.

بعد ثمانية اشهر من هذا الحدث اعلنت المكسيك - وهي اكبر مَدين في العالم - عجزها عن تسديد الاقساط المترتبة عليها للدائنين الاجانب. وعقد ممثلو ١١٥ مصرفاً تجارياً في امريكا الشمالية واوروبا الغربية واليابان اجتماعاً في نيويورك لوضع خطة إنقاذ املوا انها قد تخلّص قروضهم للمكسيك التي تبلغ رقماً يبهر الانفاس: ٨٠ مليار دولار.

ان ظاهرة تخلّف البلدان عن تسديد ديونها الهائلة يهدد بتفشي وباء

اقتصادي على نطاق عالمي تتمثل اعراضه في افلاس مصارف كبرى ووقوف صفوف طويلة من المودعين القانطين امام ابوابها وارتياع في بورصات الاسهم وجمود في التجارة العالمية. ولا يزال هذا الكابوس المالي في عالم الخيال، لكنه قد يتحقق في اي وقت. فاليوم لا يقف حاجز بين اقتصاديات الشرق والغرب والشمال والجنوب. وحتى الآن كان ثمة رابط واحد قوي هو "الدولار الاوروبي" (الاورودولار) يشد ماليات العالم بعضها الى بعض فتتشبث بحبل قوامه الف مليار دولار كما يتشبث متسلقو الجبال بالحبل الذي عليه يرتقون. ولكن لا احد يدرك الاخطار المخفية وراء الشفير التالي على هذا الجرف الصخري.

الاورودولار هو اساساً دولار امريكي مودع مصرفاً خارج الولايات المتحدة. وخلال السنين العشرين الاخيرة نمت هذه الايداعات على نحو مذهل حتى بات ثلث دولارات العالم مودعاً مصارف خارج الحدود الامريكية. ويدعى الموئل الجديد لهذه الاموال "السوق الاوروبية" (١) وهو في الاساس اسم يطلق على الصفقات اليومية التي تجمع مالكي الدولارات خارج الولايات المتحدة باولئك الذين يرغبون في اقتراضها منهم. وتشمل هذه السوق عملات اخرى وتتسع لتغطي آسيا وبلدان البحر الكاريبي.

ومن سخرية القدر ان تكون هذه العجلة الاساسية في الرأسمالية الحديثة من اختراع السوفييت انفسهم. ففي اثناء الحرب الباردة في الخمسينات خشي مصرف نارودني في موسكو ان تعمد الولايات المتحدة الى تجميد الارصدة السوفييتية في امريكا، فنقل مبالغ هائلة من الدولارات التي يملكها الى مصرف في لندن، ومن طريقه اخذ يقرض هذه الدولارات لطالبيها في اوروبا. وهكذا ولد الاورودولار.

وعلى اثر الفورة الصناعية والسياحية الامريكية في اعقاب الحرب العالمية الثانية تجمعت في الخارج كميات هائلة من اوراق النقد الخضراء. ومنذ البداية لم يتعسر وجود مقترضين اذ سرعان ما غدا الدولار الوسيلة الاساسية للتجارة العالمية، واليوم تقاس به بقية العملات. فأي شركة اسوجية لقطع الاخشاب واي شركة يونانية للنقل البحري تبرم عقودها بالدولار. ويقبض العرب دولارات ثمناً لنفطهم. كذلك وفرت هذه السوق مباهج الرأسمالية لبلدان الكتلة الشرقية بالتقليل من اعتمادها الاقتصادي القسري على الاتحاد السوفييتي. ثم ان موظفي الاموال من جميع الجنسيات يحبون الدولارات لانها تمنح مالكها حق الانتفاع بخدمات اغنى أمة على سطح الكرة الارضية مدعومة بضمان استقرار سياسي عمره ٢٠٠ سنة.

وخلال الستينات انتاب القلق الحكومة الامريكية لضخامة الطلبات المتدفقة الى خارج البلاد، فطبقت تدابير للحد من الاقراض والتوظيف

---

(١) Euromarket

الامريكيين في الخارج. لكن هذا الاسلوب اخفق لان الاقتراض من داخل الولايات المتحدة اصبح اصعب وابهظ ثمناً بالنسبة الى من هم في الخارج. وبدلا من ان تجلب الشركات الامريكية ارباحها الى الداخل، اكتشفت ان السوق الاوروبية النامية اضحت مكاناً اوفر ربحاً في التوظيف المالي ومصدراً ممتازاً لرأس مال القروض. ومع الآمال بانفتاح مجالات جديدة للتجارة لحقت المصارف الامريكية بزبائنها الى الاسواق العالمية. وهذه المصارف العاملة في الخارج والتي لم يكن يزيد عددها على ١٢ مصرفاً قبل عقدين اصبحت اليوم قرابة الف مصرف تعمل في اكثر من مئة بلد، وهي مصدر رئيسي للاموال المتدفقة الى السوق الاوروبية.

المدينة الخضراء - يتبع الدولار الامريكي في تجواله خطة سفر مثالية. فيغادر الولايات المتحدة كجزء من دفعة تسددها شركة نفط امريكية الى مصفاة في الكويت. ويودع الكويتيون هذا الدولار مصرفاً لهم في لندن، فيقرض هذا المصرف الدولار الى شركة ملاحة كورية جنوبية لتشتري معدات بحرية من كندا. ومع ذلك فلا تنتقل ورقة نقد فعلا من يد الى يد. فالدولار يطوف في العالم مرتين خلال ساعة ونصف ساعة من طريق برقيات "تلكس" تنقل التعليمات الى المصارف في شأن الحسابات التي يدخلها او يخرج منها. وفي الوقت نفسه يجري النفط وتبحر السفينة.

وعلى غرار جميع المصارف يجني المتعاملون بالاورودولار ارباحاً لأنهم يدفعون فوائد لتوظيف الاموال المودعة لديهم هي ادنى من تلك التي يأخذونها لدى اقراضها. ان توفير التكاليف التي تفرضها الانظمة المصرفية الداخلية في الولايات المتحدة يعني ان الاورودولار يمكن اقتراضه واقراضه بمعدلات فوائد افضل مما يتيسر لاخيه الباقي في امريكا. وهكذا، فما ان تعبر الدولارات المحيط حتى تكتشف ان من الاربح لها ان تبقى في الغربة.

منذ البداية نمت سوق الاورودولار على نحو مذهل. فقد تضاعفت الايداعات ثلاث مرات عام ١٩٥٩ ومرتين في السنة التالية. وبين العامين ١٩٦٩ و١٩٧٦ ازدادت قروض السوق الاوروبية بنسبة ١٠٠٠ في المئة، وفي اوائل ١٩٨١ بلغت ١٥٠٠ مليار دولار. وهكذا اضحت اضخم سوق رأسمالية في التاريخ.

ويبدو ان السوق الاوروبية التي احدثت من اجل عملة لا وطن لها، لا وجود لها الا على الورق وضمن الخطوط الهاتفية التي تصل مراكز المبادلات في لندن وزوريخ والرياض وطوكيو وسواها. والمكان الذي ترتفع فيه حرارة الخطوط الهاتفية الى اعلى الدرجات في مبادلات الاورودولار هو قطعة من الارض تبلغ مساحتها ٢،٥ كيلومتر مربع وتعرف بأسم الـ"سيتي" في حي المال في لندن.

تقع هذه "المدينة" في مكان مثالي على خط الهاجرة الزمني وفي منتصف المسافة بين امريكا والشرق ويمتد

نشاطها اليومي بين اقفال السوق المالية في هونغ كونغ وافتتاح السوق المالية في نيويورك. ولا يوجد مكان آخر يمكن ان يجمع فيه مقدار عظيم من المال بالسرعة التي يمكن جمعه في هذا المكان. وقد امكن حاكم مصرف انكلترا ذات مرة ان يجمع قرضاً اوروبياً لبريطانيا مقداره ٥ مليارات دولار عبر اربع مخابرات هاتفية فقط.

ولكن ثمة مؤسسة محترمة تراقب السوق الاوروبية عن كثب. ففي حين ان ليس لمصرف انكلترا (المركزي) اي سلطة قانونية على السوق، فانه يمارس نفوذه للتأكد من ان المؤسسات المالية الواقعة ضمن سلطته تتحمل مجازفات معقولة ومدعومة برأس مال كاف. ومن بين هذه مؤسسة امريكية للصيرفة والسمسرة. ففي قاعة المبادلات المزدحمة دائماً يختص تيم بيرس (٢) بسندات الاورودولار، وهذه تأتي بعد القروض المصرفية كوسيلة رئيسية يقترض الاورودولار ويُقرض بواسطتها. ويتم الاتجار بهذه السندات اساساً في بورصات الاسهم في اللوكسمبور ولندن. ومهمة تيم بيرس هي تقديم المشورة حول هذه السندات كتوظيفات مالية للمكاتب الفرعية والزبائن في انحاء العالم. وعلى غرار معظم زملائه في السوق يقضي تيم نحو ثماني ساعات يومياً على الهاتف وبين اضواء الادمغة الالكترونية وقرقعة آلات

ال"تيليتايب" لنقل المعلومات لاسلكياً وقرابة ٥٠ تاجراً وبائعاً يصيحون في القاعة معلنين التبدلات السريعة في الأسعار. وتبلغ قيمة فاتورة الهاتف والتلكس لاحدى شركات التوظيفات المالية الكبرى بالاورودولار ٢٠٠ الف دولار شهرياً.

ويستخدم جيمس برانت (٢) المدير الاداري لاحد المصارف العالمية وسيلة اخرى لا غنى عنها في سوق الاورودولار وهي الطائرة. ففريقه يراقب كل مشروع ضخم في العالم محاولا ان يكون اول العارضين حين يستعد الزبائن لاقتراض اول مليار دولار. وسواء أكان المشروع في الاصقاع الشمالية ام في الصحراء الافريقية الكبرى فالمقترض يرغب دائماً في الحصول على اطول الآجال وأدنى الفوائد. وتنحصر مهمة برانت في ابقاء المجازفة التي يتحملها المصرف عند الحد الادنى، وهو يقول في ذلك: "ربما احتاج الامر الى ان ابقى حتى الرابعة صباحاً داخل غرفة عابقة بالدخان وبحرارة خانقة طوال اربعة ايام لاتمكن من حلحلة مفاهيم كل من يعنيهم الامر." وفي الوقت نفسه قد يكون في غرفة مجاورة فريق من مصرف آخر يحاول اغواء الزبائن وابطال الصفقة.

المقبرة المالية – ان بعض افضل زبائن مصارف الاورودولار ليسوا شركات، بل بلدان. و"المجازفة الكبرى" – وهي التسمية التي تطلق على عملية اقراض الدول – تمتص الآن اكثر من نصف كمية الاورودولار

---

(٢) الاسماء مستعارة

المتوافرة للاقراض. وهناك دول عدة كفرنسا وكندا تقترض اموالا دولية منذ سنوات. وهناك دول اخرى مثل بوليفيا وزائير دخلت سوق الدين متأخرة بعدما سقطت موازناتها ضحية الارتفاع الضخم في اسعار النفط. وهذا هو مصدر القلق الرئيسي لأولئك الذين يخشون تدمير النظام المالي العالمي من طريق الاورودولار لأن الجشع المجرد دفع المصارف الى اعطاء قروض ضخمة لبلدان ضئيلة الموارد. وقال لي احد اصحاب المصارف الاوروبيين: "اندفعت المصارف الاجنبية الى افريقيا وهي لا تعرف حتى موقع البلدان التي اقرضتها، وهي اعتمدت معلومات راوحت بين التقديرات السطحية والكذب الصريح."

وتصدر السندات وقروض الاورودولار عموماً بموجب مشاركة بين عدد من المصارف وشركات التوظيف قد يصل عددها الى مئة. وبهذه الطريقة توزع المجازفات. لكن هذا يعني ايضاً انه في حال التخلف عن التسديد سيجد الجميع انفسهم في الزورق الغارق نفسه. فاذا كان اسم هذا الزورق بولونيا مثلا، فان مقداراً كبيراً من الماء سيتسرب داخل النظام المصرفي الدولي. فثمة ٤٦٠ مصرفاً تتشارك في الفطيرة التي يبلغ ثمنها ١٥ مليار دولار، من دون احتساب دين بولونيا الاضافي للحكومات الغربية والذي يبلغ ١٠ مليارات دولار. فالدول تتعرض للافلاس تماماً كالافراد والمؤسسات التجارية. ويقول احد الخبراء الكبار في السوق: "هناك قروض لنحو ١٥ بلداً في اوروبا الشرقية وافريقيا والشرق الاوسط - عدا امريكا الجنوبية - هي الآن اما في "المقبرة" واما في الطريق اليها."

وحين تعجز دولة ما عن تسديد المتوجبات المستحقة تصبح مرشحة لتطبيق أدق اجراءات السوق الاوروبية في حقها. وهي عملية اعادة جدولة مواعيد تسديد الديون، اذ تعمد المصارف الدائنة الى التدقيق في الوضع المالي للبلد المعني وتحدد في ضوء النتيجة مواعيد جديدة للدفع ومعدلات جديدة للفائدة. وقد امضى رالف بانش نائب رئيس مؤسسة "مورغان غارنتي" في لندن قرابة سنتين في مفاوضات لاعادة جدولة دين تركيا نيابة عن ٤٠٠ مصرف استبد بها القلق.

ويقول رالف بانش: "الغاية من اعادة جدولة مواعيد تسديد الديون هي ابقاء تلك البلاد في حال استقرار وتطوير مشاريعها بحيث تتمكن ذات يوم من البدء في دفع المتوجبات المستحقة عليها. وحتى ذلك الوقت تمدد آجال القروض من سنة الى سنة. وما دامت المصارف تحصل على الفوائد، فلا يخشى احد عدم استرداد رأس المال. ويصف احد اصحاب المصارف في البرازيل - وهي الدولة التي اقترضت مبلغاً هائلا مقداره ٧٢ مليار دولار - هذا الوضع بسخرية لاذعة فيقول: "اذا كنت مديناً بمبلغ كبير من المال، فلن يجرؤ احد على ان يدعك تفلس."

ويقول والتر لوتينغر احد مديري

اتحاد المصارف السويسرية في جنيف: "كلنا مؤتلفون في سلسلة طويلة واحدة من التسليفات. لكننا لا نستطيع تفحص موازنة كل حلقة من حلقاتها، ولا نعرف ابداً من هو المقترض النهائي." لذا فان اي تخلف عن الدفع يحدث هزة في السلسلة كلها. وفي حال حصول انهيار تضطر المصارف الى الوقوف مع زبائنها.

والسوق الاوروبية هي اليوم غير مستقرة على نحو خطير بسبب كميات النقد العائمة ومعدلات الفوائد المترجحة. وفي اوقات الازمات تندفع موجة عاتية من المال جيئة وذهاباً بين عملة واخرى بحثاً عن الامان او الربح السريع. واي مفاجأة سياسية او اشاعة مالية خليقة بان تطلق احدى موجات الهروب للعملات "الحارة" المعرضة للخطر. والى ذلك فان السوق الاوروبية ليست "الملجأ الأخير" للقروض كما هي حال الاسواق المحلية حيث يقف المصرف المركزي عادة على استعداد لتوفير السيولة لاي مصرف يعاني ضيقاً. ويعتقد المتفائلون انه لدى حدوث حال طارئة سيهب كل مصرف مركزي لدعم فروع مصارف بلاده في الخارج.

وفي حين اخذ العالم يعي هذه الاخطار على نحو افضل، تنطلق دعوات متكررة لوضع حد للحرية التي تتمتع بها هذه السوق. ولكن لم تتضح حتى الآن القواعد التي يمكن ان توضع او الهيئات التي تستطيع تطبيق هذه القواعد، اذا هي وضعت. والى ذلك فان الاموال تجري عادة في اتجاه معاكس للسدود التي تقام للسيطرة عليها. واصحاب المصارف الواقعيون يفضلون ابقاء السوق الاوروبية في نطاق رقابة المصارف المركزية وان بصفة غير رسمية على غرار ما يفعل مصرف انكلترا المركزي.

وعلى رغم كل خطايا السوق الاوروبية - فهي غير مستقرة ومتمادية اكثر من اللزوم وغير مراقبة على نحو كاف - فان لها فضيلة واحدة لا سبيل الى انكارها. انها ناجحة. ويبدو انها اجدى الوسائل التي ابتدعها الانسان لنقل الاموال من البلدان التي تملك مالا لاقراضه الى تلك التي تحتاج الى اقتراضه.

كيف تكون حال العالم من دون السوق الاوروبية؟

قال السير جورج بولتن وهو مصرفي بارز راحل واحد رواد هذه السوق: "سيكون العالم اصغر وافقر واكثر انعزالية. فالنظام المالي العالمي يرتكز على الاورودولار الذي اضحى الاساس لوجود كل الناس."

وربما تكشف لنا السنوات القليلة المقبلة ماذا يكمن تحت ذلك الاساس.

■ جف ديفيدسن

ان منفعة الساعات الكهربائية لا تتوقف بتعطّل التيار الكهربائي. فهي تشهد على الوقت الذي انقطع التيار فيه.

ج.غ.

الرجال العاشِقون

كتبت شير هايت تقريراً عن حياة الرجل الجنسية اعتمدت فيه طرقاً مطابقة للتي استخدمتها في تقريرها الرائج عن المرأة، فعمدت الى طرح اسئلة مفصلة اجاب عنها سبعة آلاف رجل ونيف في انحاء مختلفة من الولايات المتحدة. وفي ما يأتي مقتطفات تعبر عن مواقف هؤلاء من الحب وتجيب عن السؤال الآتي: ما المدى الذي يبلغه الرجل في حبه؟

ذهب كثيرون ــ رداً على سؤال حول أعمق تجربة حب في حياتهم ــ الى أن تجربة الحب العميق تبعث في النفس نشوة غامرة. قال أحدهم: "كان الأمر رائعاً حقاً إذ تغيرت نظرتي الى العالم ولبثت فترة طويلة أرى الجمال والأمل يحلان محلّ القبح واليأس." وقال آخر: "بتّ لهول الصدمة شبه عاجز عن الكلام وغمرني الانفعال لأن حبيبتي عرفت فيَّ خصالا كدت أنا نفسي أنساها هي الابداع والحنان واستمالة الآخرين. لقد تركت أثراً كبيراً في حياتي التي تغيرت تغيراً واضحاً." وقال ثالث: "لقد أحياني الحب فنبَّه حواسي وبتّ انظر الى الاشياء بمنظار مختلف والحظ فيها جمالا لم اكن الحظه من قبل."

وتحدث كثيرون عن إصابتهم بأعراض قلبية لا تصيب عادة الا النساء اللواتي يخضن تجارب الحب. وهنا مقتطفات من هذه الأحاديث:

"شعرت بحنين آسر أقرب الى مرض في القلب، وكنت لا أنفك أحلم بها ففقدت شهيتي للطعام وأصبحت على شفير انهيار عصبي."

"هو شعور مماثل للخوف الذي ينتاب الانسان عندما يصاب بتشنج في معدته أو عندما يضلّ طريقه أو

Condensed from «The Hite Report On Male Sexuality,» copyright (c) 1981 by Shere Hite,
Published by Alfred A. Knopf, Inc., New York, N.Y.

عندما ترتعش يداه أو يشرع في تخيل الأهوال التي قد تعترض حياته. أليس غريباً أن يكون للرعب والحب الأثر الجسدي نفسه؟"

"كان يشقّ علي أن أفكر الا في حبيبتي لأن الحب كبلني."

ولئن يكن للحب مثل هذه السطوة فكيف نفسر كون عدد كبير جداً من الرجال أبدوا حذرهم وأعربوا عن عدم ثقتهم بعواطفهم؟

"قبل أن أحب كنت شديد البأس وكان نجاحي أو اخفاقي في الحياة وقفاً على الجهد الذي أبذله في عملي. أما الآن فأشعر أن في إمكان حبيبتي أن ترفضني وتجرحني. وأنا أمقت الشعور بالضعف."

"إن الحب يبعث في الرجل القلق إذ يجعله عاجزاً عن التحكم في عواطفه. واذا كانت المرأة أكثر تطلعاً الى ان تكون تحت حماية شخص آخر أو أن تكون جزءاً من شخص آخر، فالرجل يتوق الى الاستقلال التام."

"أريد أن أضمن أنها تحبني أكثر مما أحبها لكي أمسك بمقاليد علاقتنا. فقد مررت في تجربة حب وكانت علاقتي بمن أحب نقيض ما أوده فكان أمراً لا يطاق ولن أعيد الكرة."

وأسوأ من هذا كله خشية بعضهم أن يؤدي الحب الى صدمة لا يشفون منها شفاء تاماً. ومما قيل في هذا الصدد:

"الحب سقوط وانحدار. والرجل الذي يخرج من تجربة حب غامر يستمر في الوجود لكنه يشعر أحياناً بأنه تحطم ولم يعد كسابق عهده."

"عندما انتهت علاقتي بمن أحب دخلت قوقعة ورحت اتجنب الآخرين."

"عندما قطعت حبيبتي علاقتها بي أحسست أن حياتي تهدمت ومنذ ذلك اليوم لم أحب أحداً كما أحببتها."

وبلغ بعض اولئك الرجال حد الاحجام عن الوقوع في تجارب الحب فقال أحدهم: "لست أثق بالحب لأنه غاية في القسوة ولا يخضع لأي منطق. وقد ابتعدت بمحض إرادتي عن النساء اللواتي أبدين نحوي علامات الحب." وقال آخر: "من البدهي أن يشعر الانسان أحياناً أنه بدأ يميل الى أحد الاشخاص، لكنه يستطيع دائماً أن ينهي علاقته بهذا الشخص قبل فوات الاوان."

والحق أن معظم الذين ساهموا في الاستقصاء قالوا إنهم يؤثرون علاقات الحب العابرة على العلاقات العميقة. وفي ما يأتي نتف من أقوالهم:

"كنت في حداثتي أظن أن الحب هو نتيجة انفعال قوي نبديه نحو شخص معين نلتقيه للمرة الاولى. لكن نظرتي هذه تبدلت الآن وبت أرى ان الحب لا يتم الا بعد المعرفة الطويلة والتفاهم العميق."

"الحب ضربان، الاول مجنون يجعلك في حلم دائم والثاني على صلة بالواقع وثيقة ويكمن في ان تعرف حبيبتك عن كثب وتثق بها وتشعر معها براحة تامة. ولئن يكن هذا النوع أقل إثارة واندفاعاً من النوع الاول فهو مُجز ومطمئن ومريح."

وذهب عدد من الذين شملهم الاستقصاء الى أن الحب الحقيقي

يولد فجأة من دون سبب واضح. وقد اخترنا من اجاباتهم ما يأتي:

"اذا لم أحبّ شخصاً ما من اللقاء الاول، فلن أحبه أبداً."

"قد ينتابك أحياناً شعور غريب جامح يجعلك راغباً في أن تقضي وقتك كله مع انسان بعينه."

"لقد عرفت الحب بنوعيه. أما الاول فهو الذي يحكم حياتي الزوجية. وأما الثاني فقد اختبرته مرة واحدة وكان جارفاً لا تمكن السيطرة عليه. وعندي أن الاول ينطوي على حنان أوفر (وربما كان دليل عافية) لكن الثاني هو الحب الحقيقي."

ووصف بعض الرجال شعورهم إزاء حب الصِّغر بكثير من المرارة فيما تحسر بعضهم على ضياع الحب الرومنطيقي بعد الزواج. ومن أقوالهم:

"عندما كنت طالباً في السنة الجامعية الاولى تعرفت الى فتاة فتحاببنا وباتت محور حياتي وهي لا تزال مثلي الأعلى. وما عرفت حباً كهذا منذ ذلك الوقت."

"عندما كنت في السابعة عشرة شاباً عديم التجربة عرفت أعمق حب في حياتي. فذات يوم ذهبت مع حبيبتي في رحلة الى الجبل وأحس كل منا أنه مارس الحب مع أن الامر لم يتعدَّ كوني اسندت رأسي الى حضنها. وأظن أن هذه العلاقة تركت أثرها في علاقاتي النسائية جميعاً."

"قبل الزواج كان جل همنا ان يجعل كل منا الآخر سعيداً. أما بعد الزواج ومجيء الأطفال فزادت مسؤولياتنا ولم نعد نمارس الحب الا في وقت متأخر من الليل فيحول التعب دون اقامة علاقات حقيقية. غير أننا لا نزال نتبادل الاهتمام والاحترام."

ولئن يكن معظم الذين اشتركوا في الاستقصاء أقفلوا على أنفسهم أبواب الحب العميق فقد شذ عدد قليل منهم عن هذه القاعدة. وبدا هذا واضحاً في القولين الآتيين:

"إن وجود شخص حبيب الي يوقظ في نفسي الرغبة في الاندماج في الحياة والاقبال من خلاله على كل ما تأتي به الحياة."

"عندما التقيتها انتابني شعور بأن العالم اعترته هزة وأردت إخبار الناس جميعاً بما حدث وتفجرت قدرتي على العطاء والمشاركة."

يظهر إذاً أن انطباعات الرجال الاولى حول الحب شبيهة بانطباعات النساء لأن الحب في رأيهم يبعث في النفس النشوة والسرور. غير أن هذه السعادة تأخذ في التلاشي وينتهي الأمر الى الشك في احساساتهم التي منحتهم تلك اللذة. فما السبب في ذلك؟

يعزو أحد الشبان السبب الى "أن الرجال تعلموا اهمال العاطفة منذ طفولتهم." وفي رأيهم أن عواطف الحب واهية جداً، لذلك فهم في الغالب لا يبنون الزواج على أساسها. ومعظم الرجال الذين شملهم الاستقصاء لم يتزوجوا النساء اللواتي كانوا متيَّمين بحبهن مع أنهم ركزوا على انهم يحبون زوجاتهم ولا يريدون أن يتركوهن.

■ **شير هايت**

بيروت:

الايام السود

في السادس من يونيو (حزيران) ١٩٨٢ اجتاح لبنان أكثر من ٥٠٠ دبابة اسرائيلية و٦٠ ألف جندي راحوا يزحفون بلا هوادة الى العاصمة اللبنانية بيروت، وقد تقدمتهم الطائرات المندفعة بسرعة البرق وهي تخلف الخراب في كلّ مكان. وكان الهجوم سريعاً وعنيفاً على غرار غزوات الحرب العالمية الثانية.

وعانت بيروت الغربية حصاراً مريراً دام أحد عشر أسبوعاً ، ضرب خلالها الاسرائيليون مواقع الفدائيين الفلسطينيين ومخازن السلاح لديهم وأمطروا المدينة بوابل اثر وابل من نيران المدفعية. وقد استمرت احدى غاراتهم ١٤ ساعة متواصلة. وأصيبت مواقع مدنية كثيرة، مما أجبر العديد من المواطنين على هجر منازلهم واحيائهم. وطالما لجأ الجيش الاسرائيلي الى قطع امدادات الماء والكهرباء عن الجزء الغربي من بيروت، مما جعل أفراد العائلات المدنية يقبعون وسط الظلام وهم يحاولون الحفاظ على حياتهم. وقبل ان توافق منظمة التحرير الفلسطينية على ترحيل محاربيها الى بلدان عربية اخرى، سقط الوف الضحايا - وجلها من المدنيين - بين قتيل وجريح ومشرد.

الا أن موجة العنف لم تنحسر مع انسحاب الفدائيين. ففي ١٤ سبتمبر (أيلول) اغتيل رئيس لبنان المنتخب الشيخ بشير الجميل (٣٤ سنة). وفي ذلك الاسبوع نفسه أفرزت الحرب أشدّ وجوهها عنفاً، ألا وهي المجزرة التي نفذتها عناصر يمينية متطرفة بمعرفة مدبري الاجتياح الاسرائيلي، ووقع ضحيتها أكثر من ٣٠٠ رجل وامرأة وطفل فلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا غرب بيروت.

والتقرير الآتي حول عذاب بيروت وضعه شاهد عيان محايد، عمل مراسلا لصحيفة "نيويورك تايمس" في بيروت إبان الاحداث وهو يكشف جوانب من المأساة اللبنانية - الفلسطينية قد لا يكون تسنى لكثير من القراء الاطلاع عليها.

Photo: Dirck Halstead / Gamma - Liaison, Inc.

في ٣ يوليو (تموز) ١٩٨٢ بدا ان كلّ شيء انتهى، باستثناء اطلاق النار.

مساء ذلك السبت الرطب والحارّ وافق السيد ياسر عرفات، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، للمرة الاولى كتابياً على مغادرة بيروت.

غير أنّ دماً كثيراً أُريق في الاسابيع التالية، وألقيت خطابات عدة وعقدت مفاوضات شملت أطراف النزاع كافة بمن فيهم الفلسطينيون.

ذلك السبت اجتمع ثمانية من زعماء السنة البارزين في بيروت الغربية في غرفة الطعام المرمرية في قصر رئيس وزراء لبنان الاسبق صائب سلام، وهو بناء أبيض مؤلف من ثلاث طبقات. وكان هدف الاجتماع اقناع قادة المنظمة بمغادرة المدينة. وفي الثانية عشرة والنصف بُعيد الظهر، انضمّ اليهم ياسر عرفات وهاني الحسن كبير مستشاريه السياسيين.

وافتتح سلام، وهو سياسي محنك في السابعة والسبعين، الاجتماع بأغداق المديح على الفدائيين الفلسطينيين، مؤكداً لقائدهم ان رجاله دافعوا عن مواقعهم ببسالة لم يتوقعها احد. واضاف سلام ان الوقت حان كي تغادر المنظمة المدينة بشرف.

وأصغى عرفات الى الحديث كلمة كلمة. ولما حان دوره أخذ يقدم الحجج المضادة، قائلا ان كرامة الفلسطينيين تواجه موقفاً حرجاً. وانه ورجاله لن يقبلوا بـ"الانسحاب الذليل امام العدو" بل يفضلون الموت بكبرياء وهم يحاربون الاسرائيليين من شارع الى شارع في بيروت الغربية.

فرد سلام ان المعركة العسكرية انتهت وحان الوقت كي تتحول منظمة التحرير الفلسطينية قوة سياسية محضة، ولكن خارج لبنان، رحمة بالفلسطينيين واللبنانيين معاً.

واستمر النقاش حاداً أربع ساعات ونصف ساعة. وفي الخامسة عصراً وافق عرفات على بحث الامر مع رفقائه في قيادة المنظمة قبل العودة بجوابه. وصادف ذلك في شهر رمضان المبارك، فأصرّ سلام على عرفات ان يتناول طعام الافطار الى مائدته في وقت متقدم من ذلك المساء.

وبعد العشاء طلب عرفات ان يؤذن له بتأدية صلاة المساء منفرداً. وتوجه الى المختلى في بيت مضيفه، وهناك واجه القبلة وراح يتلو صلاته على سجادة بيضاء.

وما ان عاد الى المجتمعين حتى سحب أوراق الكتابة الخضراء من جيبه، وهي في حوزته على الدوام، وأخذ من وسطها ورقة بيضاء مطوية تحمل شعار المنظمة واسم قائدها الاعلى. ووضع نظارتيه وأخذ يقرأ الوثيقة التي كتبها:

"الى أخينا رئيس الوزراء شفيق الوزان،

"عطفاً على المحادثات التي جرت بيننا، توصلت القيادة الفلسطينية الى القرار الآتي: ان منظمة التحرير الفلسطينية لا ترغب في البقاء في لبنان...".

ثم تحدث عرفات عن الضمانات

Condensed from New York Times (August 20, September 20, '82).
(c) 1982 by the New York Times Co., New York, N.Y.

التي تطلبها المنظمة لحماية اللاجئين الفلسطينيين الذين سيبقون على الاراضي اللبنانية، وعددهم نصف مليون.

وبعد فراغه من قراءة الوثيقة اعطاها للرئيس سلام الذي طلب تصويرها فوراً. وفي وقت لاحق من ذلك المساء تسلم رئيس الوزراء شفيق الوزان الرسالة، فاتصل على الأثر بمبعوث الرئيس الامريكي الخاص فيليب حبيب لابلاغه محتواها.

الحرب الغامضة – ان أحداً لم يتوصل الى تسمية حقة لهذه الحرب. فالاسرائيليون دعوها "عملية السلام من أجل الجليل"، لكنها تجاوزت هذا الهدف بوضوح. ودعاها اللبنانيون "الاجتياح الاسرائيلي للبنان"، في حين أنها تذهب أبعد من هذا الامر.

ومن تسنى له الحديث مع الفدائيين الفلسطينيين في تلك الآونة، أدرك أنهم يخوضون حرباً ضدّ اليهود حرم آباؤهم خوضها في فلسطين عام ١٩٤٨. ولئن تكن رحى المعركة تدور في لبنان، الا انها الحرب الفلسطينية – الاسرائيلية عينها التي تأخرت ٣٤ سنة.

وبعد تدمير القواعد الفلسطينية في جنوب لبنان، قابلت في غرفة محصنة تحت الارض الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الدكتور جورج حبش، وهو طبيب اطفال تحول قائداً فدائياً منذ ١٩٤٨. وقد تحدثنا عن الحرب والمقاومة. ومما قال: "أشكر الله لأني عشتُ لارى يوماً يحارب جيش فلسطيني جيشاً اسرائيلياً. واذا متّ الآن، فأنا لا أطلب المزيد."

ومهما بلغت كبرياء الفلسطينيين لمحاربة الجيش الاسرائيلي وحدهم، الا انها كبرياء تشوبها مرارة حادة لعدم وقوف أي بلد عربي الى جانبهم عسكرياً.

النزوح – يبدو ان اهالي بيروت اعتادوا سماع زخات النار حول مدينتهم في اي لحظة، الى حد انهم باتوا يتجاهلون ذلك اذا لم يكن الأمر متعلقاً بشارعهم او البناية التي يسكنونها.

ففي حين كانت الطائرات الاسرائيلية تنقض على المواقع الفلسطينية جنوب العاصمة، كان الناس يجلسون في المقاهي على شاطىء البحر وهم يحللون المأساة كما لو كانوا بعيدين جداً عنها.

وحاول الاسرائيليون حمل المدنيين على مغادرة بيروت الغربية. واذاعوا البيانات وأغرقوا المدينة بالمناشير لتلك الغاية. والواقع ان مواطنين كثيرين أرسلوا زوجاتهم وأولادهم خارج القطاع المحاصر، لكنهم بقوا في منازلهم لحمايتها. وكان بعضهم يغادر مع احتدام المعركة ويعود بعد هدوئها لعجزه عن البقاء طويلا في الفنادق او الشقق الموقتة في بيروت الشرقية والجبال.

ولم يكن في وسع اللاجئين الفلسطينيين – وهم اكثر الناس تعرضاً للهجوم الاسرائيلي – اجتياز نقاط العبور الى شرق بيروت اذ ان

"القوات اللبنانية" لم تكن تسمح لهم بذلك.

ويوم الاحد الواقع فيه الاول من اغسطس (آب) رجم القطاع الغربي بالقنابل الاسرائيلية. وقد اطلقت الصحف الصادرة هناك على هذا اليوم اسم "الأحد الاسود."

وفي ايام الحصار الأخيرة لجأ عرفات الى تدابير وقائية صارمة. وقيل انه كان يقضي كل ليلة في مكان مختلف ويستخدم أكثر من عشر سيارات مصفحة للانتقال من مكان الى آخر.

ولم تكن مخاوف الزعيم الفلسطيني في غير محلها. ذلك ان اذاعة خاصة كانت تسمي البنايات التي تظن ان عرفات يقضي فيها ليله. وفي ٦ اغسطس (آب) ألقت طائرتان اسرائيليتان قنابل على مبنى سكني مؤلف من ست طبقات في قلب بيروت الغربية، بعدما زعم ان عرفات كان يُمضي الليل هناك. ولم يبقَ سوى الركام من تلك البناية التي قيل ان قيادة منظمة التحرير تستخدمها لأهدافها، علماً انها بعيدة عن ارض المعركة. وهي كانت البناية الوحيدة التي قصفها الاسرائيليون ذلك اليوم.

المجزرة ــ ذات يوم حولت الطائرات الاسرائيلية ٤٥٠ متراً من طريق ساحلية جنوب بيروت حقلا من دمار. ووصل احد المراسلين ليرى متطوعي الدفاع المدني ينتزعون الضحايا من السيارات المسحوقة ومن حافلة مدرسية. وتحلقت مجموعة منهم حول سيارة مرسيدس طُمر نصفها تحت الانقاض ونتأت منها قدمان. وبعد رفع الحجار الضخمة التي غطت السيارة، راح المتطوعون يسحبون جَسَداً من الداخل.

ذلك كان جثة فتاة ترتدي سروالا أزرق وقميصاً صيفياً، وقد تحطم رأسها. وراح المتطوعون يهتفون "الله اكبر" وهم يضعون الجسد على حمالة تدلت عن جانبيها ذراعا الفتاة.

ولم يستطع المراسل انتزاع صورة تلك الفتاة من ذهنه. ترى ما اسمها، والى اين كانت ذاهبة؟

ويوم الأحد في ١٩ سبتمبر (أيلول) دخل مخيمي صبرا وشاتيلا عناصر من الجيش اللبناني والدفاع المدني لرفع اكوام الجثث، وهي اكبر دليل على فظاعة مجزرة أودت بحياة مئات اللاجئين الفلسطينيين من رجال ونساء وأطفال. وكان الدم على التراب لم يزل احمر قانياً وقد نتأت من بين الركام ذراع او رجل ممدودة. يضاف الى هذا ان كثيرين اقتيدوا من منازلهم وقتلوا جماعياً في الساحات، ودفن آخرون تحت ركام البنايات لستر جثثهم الممزقة بالرصاص.

وأفاد شهود عيان ان المجزرة بدأت يوم الخميس واستمرت حتى صباح السبت الباكر. وقال اطباء مستشفى غزة الفلسطيني القريب ان انباء المجزرة بلغتهم ليلة الخميس عندما دخل عليهم فتى مذعور في الحادية عشرة وقد اصابته ثلاث طلقات. وهو اخبر الأطباء ان عناصر مسلحة اقتحمت منزل ذويه في مخيم شاتيلا وقتلت امه وأباه وثلاثة اخوة له، احدهم رضيع، امام عينيه.

من المسؤول عن مجزرة المخيمين؟

في ٢٨ سبتمبر (ايلول ١٩٨٢) شكلت الحكومة الاسرائيلية لجنة ثلاثية خاصة للتحقيق في مجازر مخيمي صبرا وشاتيلا برئاسة رئيس المحكمة العليا اسحق كاهان. وبعد اربعة اشهر من التحقيق والاستماع الى الشهادات اصدرت اللجنة تقريرها الذي عرف باسم "تقرير كاهان". وقد القى التقرير تبعة ارتكاب المجازر في المخيمين الفلسطينيين على جماعات مسلحة في المليشيات المسيحية. وحمّل التقرير كلا من رئيس الحكومة مناحيم بيغن ووزير الخارجية اسحق شامير ووزير الدفاع آرييل شارون واربعة من كبار العسكريين الاسرائيليين الذين اشتركوا في احتلال الشطر الغربي من بيروت ومدير وكالة الاستخبارات الاسرائيلية "مسؤولية غير مباشرة" عما حصل في صبرا وشاتيلا. وانتقد التقرير بيغن بسبب "لامبالاته" اما شارون فقد اتهمته اللجنة بارتكاب "خطأ فاضح" و"عدم تأديته واجبه" القاضي بتوقع ما قد يحصل نتيجة السماح لرجال المليشيات بدخول المخيمين المذكورين. كما اتهمته بالامتناع عن اتخاذ الاجراءات الملائمة للحؤول دون وقوع مجازر فيهما. ودعا التقرير شارون الى الاستقالة من منصبه ففعل في ١١ فبراير (شباط) واسندت حقيبة الدفاع الى سفير اسرائيل في واشنطن موشي ارينز. الا ان شارون ابقي، بقرار من الحكومة، عضواً فيها من دون حقيبة.

وامضى اطباء مستشفى غزة ذلك الليل بطوله يستقبلون الجرحى الفلسطينيين الذين رأوا نقص المواد الطبية فراحوا يولولون: "اننا سنموت... اننا سنموت."

ووصل مسلحون الى المستشفى صباح السبت. وبحد السلاح اقتادوا الفلسطينيين الذين اعتصموا هناك الى الخارج، وقدّر الاطباء عددهم بين ٥٠٠ و٦٠٠. وحاول ممرض فلسطيني التخفي ضمن مجموعة من الاطباء الاجانب، لكن العناصر المسلحة اكتشفت امره واقتادته الى زاوية. وبعد قليل سمعت طلقات نار.

ان مجزرة مخيمي صبرا وشاتيلا تمت على مرأى من احدى نقاط المراقبة الاسرائيلية في بيروت الغربية. وليس من دليل البتة على ان الاسرائيليين حاولوا وقف المجزرة.

ودخل المراسلون الاجانب كلا المخيمين صباح السبت.

وبعد وصول الجيش اللبناني الى المخيمين، وقفت امرأة افقدها الحزن صوابها أمام جثة منتنة، وراحت تلوّح منديلا بيد وبالاخرى مجموعة رسائل وهي تُعْوِلُ وتقول: "هيهات، هيهات أأنتَ زوجي؟ ساعدني يا الله! لقد قتلوا أبنائي جميعاً كما قتلوا زوجي. ترى ماذا أنا فاعلة؟ ساعدني، ساعدني يا الله."

وفي الجانب الآخر من الطريق، برزت امرأة من ساحة الموت داخل منزلها وهي تحمل رسماً بالياً لولدها الملقب "ابا فادي" وقفصاً خشبياً فيه ببغاء صغير اصفر. ووقفت هي الاخرى تصرخ: "أين هو ابو فادي؟ مَن يردّ اليّ حبيبي ومقلة عيني؟"

■ توماس فريدمان

المـؤرخ والكاتـب الـمعروف
غوردون غاسكل يـروي قـصة الرجل الذي خسـر
أكثـر مـن مليون دولار ليربح ثروة العمر

بعد مصارعة الثيران وكرة القدم تحتل ألعاب الحظ مركز الصدارة بين رياضات اسبانيا المفضلة. ويتم كل اسبوع نوع من سحب اليانصيب، الا أن اهم هذه الانواع جميعاً هو ما يجري قبيل عيد الميلاد وتبلغ جائزته الكبرى خمسين مليون بيزيتا، أي ما يعادل مليوناً و٢٥٠ ألف دولار، معفاة من الضرائب. وتـُقسم كل ورقة مئة جزء، ومعظم المشتركين في هذا اليانصيب يبـتـاع جزءاً واحـداً فـي مقـابـل دولار واحـد. وبعد تعليـق النتائـج يغدو الـيـانـصـيـب شغل الاسبانيين الشاغل الذي يحتل مكان الطعام والشراب والتفكير.

كنت أسير في جادة "ال برادو" في مدريد ذات يوم في الخمسينات عندما بلغت مقهى علقت خارجه لوحة

(c) 1956 by Gordon Gaskyll. This story originally appeared in American Magazine (August '56).

كتبت عليها الارقام الرابحة بالطبشور وتحلق الناس حولها باهتمام شديد. وكنت أحمل ورقة تشكل جزءاً من مئة، شأني في ذلك شأن غالبية الناس في اسبانيا. وأخذت يدي ترتجف وأنا أسحب الورقة من محفظتي وأنظر الى رقمها وهو ٠١٤١٤١٥ أما الرقم الذي ربح الجائزة الكبرى فكان ٠١٤١٤١٤ وعلى رغم عهدي بالخسارة فان ذلك القرب بين رقمي والرقم الرابح كان مدهشاً. ويكفي جزء واحد في المئة أن يعطيني ١٢٥٠٠ دولار.

وتذكرت أين وكيف اشتريت بطاقتي، وانتابتني قشعريرة كما لو كنت أنا نفسي رابح الجائزة. ولقد حصل ذلك الصيف الماضي وأنا اقضي فرصة في جزر الباليار. فقد دخلت ذات مساء حانة اسمها "الاسدان" في مدينة بالما عاصمة جزيرة مايوركا. وهي مكان أحببته كما أحببت بقية الحانات القديمة هناك. وكان الجو في الداخل بارداً ومنعشاً، وكل من ارتاد المكان أحب مديره الشاب هيرناندو.

امرأة قوية ــ ولئن صحّ أن هيرناندو كان يملك الحانة، الا ان زوجته أدارتها وأدارت صاحبها معها. ولست أدري ان كانت ماريا اضخم جثة منه، لكنها بدت هكذا على الأقل. وكان صوتها حاداً وعيناها السوداوان حادقتين وهي تنقلهما من زاوية الى اخرى في الحانة. واذا بدرت من هيرناندو ابتسامات حيال حسناء أسوجية شقراء أو أراد أن يقرض صديقاً عزيزاً بعض النقود، فيكفي أن تسلط عليه نظرتها القاسية ليرضخ ويقول: "نعم يا حبيبتي."

غير أن ماريا في تلك الامسية الصيفية كانت تزور امها في الريف. وبدا هيرناندو شخصاً آخر في غيابها. فقد شع البريق في عينيه وشاع في صوته الحنين وهو يغني على ألحان غيتاره. ولما دخل بائع اليانصيب الحانة طلب منه هيرناندو أن يريه الارقام التي يحملها لاصدار عيد الميلاد. وتفحصها بسرعة ثم تناول مجموعة كاملة منها وهو يقول: "انها علامة... علامة من السماء."

وأمسكني من ذراعي وقال: "اسمع يا صديقي الامريكي. لقد ولدت في الرابع عشر من هذا الشهر. وهذه مجموعة أوراق تحمل الرقم ١٤ ثلاث مرات."

وسرّ البائع وهم بانتزاع جزء من مئة بطاقة تتكون منها المجموعة.

لكن هيرناندو صاح فيه: "كلا! لا تفعل! فعندما ترسل السماء اشارة، فعلى الحكيم أن يأخذها دونما مراوغة. وسأشتري المجموعة كلها بأجزائها المئة."

وران صمت مطبق على المكان. فالمجموعة تكلف مئة دولار، وهذا كثير على تاجر ليس بذي شأن. وحاول أحدهم أن يكبت ضحكة وهو يقول: "ترى ماذا ستفعل ماريا؟"

وسرت رعشة في أوصال هيرناندو ثم صرخ متحدياً: "اني أفعل كل ما أريد فعله."

والحق أنه نفذ ما قال. فبعد افراغ محتويات الصندوق دخل المنزل وعاد

بالمبلغ الباقي. ومعظم رواد المقهى اشترى بطاقة ذلك المساء، وبينها بطاقتي وهي جزء من مئة تحمل الرقم التالي: ١٤١٤١٥.

"لو حدث لي..." – رحت أسير الهوينا في جادة "ال برادو" وأنا افكر في ما عسى هيرناندو أن يكون فعل بذلك المبلغ. أتراه يتخلى عن زوجته السليطة اللسان؟ أتراه يبيع الحانة ويعيش كملك؟

وانقضت أشهر قبل أن تتسنى لي العودة الى مايوركا. وحطت طائرتي في منتصف العصر وتوجهت على الفور الى تلك الحانة. ووقفت خارجاً أنظر اليهاولم يتبدل فيها شيء.

ودخلت لأرى هيرناندو جالساً وحده وراء طاولة وهو يطالع صحيفة. ونهض على قدميه وهو يبتسم بملء شفتيه ويرحب بي قائلا: "أهلا وسهلا بالسنيور. لقد غبت طويلا هذه المرة." ومن غير أن يسألني شيئاً أحضر ابريقاً من الشراب المحبب لديّ.

وشربتُ قائلا: "ليتقبل المليونير الطيب الحظ تهاني القلبية."

وظهرت على وجهه ابتسامة غريبة وأنا أقول له اني لم أجد شيئاً تغير.

وأجاب: "بلى يا سنيور، تغيرت أشياء كثيرة. ألا تذكر الشخص الذي تساءل عما ستفعله ماريا لدى اكتشافها أني دفعت ذلك المبلغ كله لشراء رقم واحد؟ لقد كان صاحبنا على حق."

والواقع أن ماريا لدى معرفتها بالأمر انصبّ كيدها كعشرة آلاف قطة برية معاً. وراحت تزعق بزوجها وتلح عليه أن يبيع أجزاء الورقة كلها ويستعيد المال الذي بدده.

وهز هيرناندو كتفيه وتابع: "وأخيراً رضختُ لارادتها يا سنيور. فالمرء لا يستطيع العيش ضمن دوامة طوال الليل والنهار. ولم يكن بيع تلك البطاقات كلها بالأمر البسيط. لكني بفضل أصدقائي وزبائني المقربين بعت جميع الاجزاء وتركت واحداً لي بعدما سمحت ماريا بابقائه."

وانبريت قائلا: "لو حدث هذا لي، لقطعت بلعومي بعد اجراء السحب ندماً على المبلغ الهائل الذي أفلت من يدي."

وأجاب هيرناندو: "ذلك كان ردّ فعلي الاول يا سنيور. ولكن من ذا الذي أخذ الاجزاء الباقية؟ انهم جميعاً أصدقائي. ومن تراهم يشكرون على ذلك الحظ الذي أصابهم؟ انهم يشكرون هيرناندو جالب الحظ السعيد. وهذا جعل مصلحتي تزدهر.

"من ناحية اخرى، لا تنسَ يا صديقي أني ربحتُ ٥٠٠ ألف بيزيتا بفضل البطاقة التي أبقيتها معي، مما أتاح لي شراء سيارة وملابس جديدة وفتح حساب في المصرف."

وقلت له: "صحيح هذا. ولكن عندما تفكر في ما كان يمكنك فعله لو ربحت المبلغ كله..."

وضحك هيرناندو من جديد وقال: "ربما كنت جعلت من نفسي مهزلة يا سنيور. لكن ما ربحته كان كافياً لاعطائي ما لا يعطيني اياه مليار بيزيتا."

ولا بد من أن هيرناندو قرأ الدهشة

على ملامحي فأضاف: "تسألني عن شعوري حيال خسارة ذلك المبلغ؟ ألم تفكر قط في شعور زوجتي، وهي التي ارغمتني على بيع أجزاء الورقة التسعة والتسعين؟ أيمكنك تخيل مشاعرها؟"

وغرق في مقعده وتابع: "الآن تبدل كل شيء. فكلما رفعت ماريا صوتها قلت لها: واحد أربعة، واحد أربعة، واحد أربعة. وهذا كاف لتحويل أفكارها على الفور الى الثروة التي خسرناها بسببها. وهو كاف أيضاً لاسكاتها."

وأفرغ ما بقي من شراب في كأسينا، وقال: "اذاً، يا سنيور، لقد ربحت شيئاً يعجز معظم الرجال عن شرائه. أجل، ربحت سلاماً وزواجاً سعيداً وزوجة مطيعة."

واستدار قليلا في كرسيه ونادى بصوت هادىء: "ماريا." وانزاح ستار الباب الداخلي وظهرت منه ماريا مختلفة على نحو ملحوظ، حتى بالنسبة الى جثتها التي بدت أصغر. ولم يبد عليها أثر للتذلل أو الكآبة، وانما كانت أكثر فرحاً ورقة وأنوثة.

وقال لها هيرناندو: "ماريا! اعطينا من فضلك مزيداً من الشراب."

واتجهت نحو الداخل وهي تبتسم قائلة: "في الحال يا حبيبي."

■ غوردون غاسكل

لياقة فرنسية

في أحد شوارع باريس شاهدت امرأة شرطياً يكتب محضر مخالفة ويهم بلصقه على سيارتها التي أوقفتها في مكان ممنوع. وأوضحت له معتذرة أنها زارت مطعماً جديداً وهي تجهل قوانين السير في تلك المحلة.

ـ وهل أعجبك الطعام؟

"كلا! لقد خيب املي."

وحتى لا تتحمل خيبتين في يوم واحد بادر الشرطي الى تمزيق المحضر.

ا.ك.

الجواب واحد

قالت زبونة لمسؤول في مصرف: "هل لك أن تجد لي شخصاً ثرياً لأفتح معه حساباً مشتركاً؟"

ف.ل.

لدى دخولها المنزل بادرت امرأة زوجها بالآتي: "العشاء سيتأخر لاني عائدة لتوي من صف الكاراتيه. فهل تريد الشجار؟"

ر.ك.

١. من أين تأتي السّمنة؟

قد يكون التخلص من السمنة سهلا لكن التحدي الحقيقي هو المحافظة على النحافة المكتسبة

لو نظرنا بموضوعية الى خلايانا الدهنية لأعجبنا ببنيتها المميزة. فالخلية الدهنية هي احدى بدع الطبيعة المجهرية. هي قطرة تومض بلون الزيت. ومع ان اسمها يوحي بالخمول فهي من انشط خلايا الجسم. تتشمم الدم متحرية اي اثر للحلوى وتكون متأهبة دائماً لتزعق بالدماغ اذا احست بالحرمان. ونعجب بها كذلك لتماسكها اذ تنبعث مثل الفينيق من بقايا طعام الشهر الماضي. وقد تنكمش الخلايا الدهنية لكنها لا تموت.

اما بقية الجسم فهي بالنسبة الى الخلية الدهنية مجرد آلة للحصول على الوحدات الحرارية ومعالجتها. في مرحلة ماضية من تطور الانسان لم يؤذِ الفرد تناول موزة اضافية اغرته وهي معلقة على شجرة. اما اليوم فقد تؤدي هذه النزوة الى الضلال في بلدان تتوافر فيها الوحدات الحرارية دونما حد لتؤمن اشباع كل خلية دهنية. ولا مجال للنقاش، فعندما يأمر الدماغ بتناول الجزر وتطلب الخلية الدهنية الشوكولاته فطلب هذه مطاع في معظم الاحيان.

والسمنة علة بسيطة من ناحية معينة اذ يسمن الناس بسبب استهلاك كمية من الوحدات الحرارية تفوق ما يصرفون. لكن هذا التبصر لا يفسر تماماً سبب سمنة بعضهم بعد تناول الطعام الذي يبقي سواهم هزيلا او سبب رغبة بعضهم في اكل اكثر من حاجتهم.

ولطالما اعتبرت السمنة مشكلة جدية الا ان "فن" معالجتها اخفق بنسبة ٩٥ في المئة. وفي الآونة

الأخيرة بدأ الباحثون كشف العلاقات المعقدة بين الدماغ والمعدة والخلايا الدهنية فظهر بصيص امل في ما اعتبره الدكتور جورج بلاكبرن من كلية هارفرد "مشكلة ليس لها حل."

ويعيد الباحثون النظر في معنى السمنة اساساً ويستنتج بعضهم ان وزن الشخص هو حصيلة عملية ديناميكية متوازية بين الشهية واستهلاك الجسم للطعام. ويقول الكاتبان الطبيبان جويل غورين والدكتور وليم بنيت ان للجسم "نقطة انطلاق" لتثبيت الوزن ضمن نطاق محدود ولفترات طويلة. فاذا ذهبت دون هذه النقطة، حثك جسمك على الاكل. واذا بلغت مستوى اعلى، ذكرك التغير الهرموني الحاصل باللذة التي تحصل عليها وانت تنزلق فوق الجليد. ويضيف الكاتبان: "يبدو ان جانباً من العقل اللاواعي يسيطر على خزن الدهن، وهذا الجانب قد يشتهي الدهن مثلما يتوق العقل الواعي الى امتلاك لوحة اصلية لبيكاسو."

ان كل شخص خضع لنظام حمية عرف لحظات تمنى فيها لو يملك لوحة لبيكاسو كي يقايضها بفطيرة بيتزا، ذلك بأن الجسم الذي سقط دون نقطة الانطلاق يتوهم انه ضحية مجاعة.

خسارة في غير محلها ـ هذه البصيرة الاساسية حول تأثير مخزون الدهن في السلوك الغذائي ـ والعكس صحيح ايضاً ـ تعتبر تقدماً رئيسياً في مفهوم السمنة. وبالنسبة الى الدكتور جون برانزل من جامعة واشنطن في سياتل. يرتفع مستوى خميرة البروتيين الدهني الذي يعزز خزن الدهن في الخلايا الدهنية، في دم الاشخاص الذين انخفض وزنهم بحدة. وباختصار يبدو ان خسارة الدهن تمهد لعملية اخرى لاعادة اكتسابه. ويبقى شبح السمنة ساكناً التركيبة الكيميائية للشخص الذي تخلص منها قبل وقت طويل. ويقول الدكتور برانزل: "يتوجب على كل من كان سميناً ونحف ان يحارب الارتفاع في مستوى الخميرة طوال حياته."

ويعتقد بعض الباحثين ان مفتاح السمنة يكمن في خلايا الدهن نفسها. ويقدر عدد هذه الخلايا في الجسم العادي بـ٢٥ ملياراً موزعة بغير تساو. وعندما تزيد الوحدات الحرارية التي تدخل الجسم على ما يحرق منها تنتفخ هذه الخلايا لتبلغ ثلاثة اضعاف حجمها الطبيعي. وفي حجم معين تشرع في الانقسام ويزيد عددها بسرعات متفاوتة في انحاء الجسم وقد يصل الى خمسة اضعاف العدد الطبيعي. ولكن لا تجري هذه العملية في الاتجاه الآخر اذ لا تتلاشى الخلايا الدهنية أبداً.

وينظر الدكتور ارفينغ فاوست الاختصاصي البارز بالخلايا الدهنية بـ"احترام" الى شراسة هذه الخلايا فيقول: "لا يمكنك الحد من نمو الخلايا الدهنية بمعزل عن اشياء اخرى." ففي اختبار شهير اجري في كلية فاسار في نيويورك اطعم جرذان ذات نزعة وراثية الى السمنة طعاماً شحيحاً. فكانت النتيجة انها نمت سمينة كالعادة ولكن بدماغ اصغر وعضلات وعظم اقل."

ولا تفسر نظرية الخلية الدهنية تماماً سبب سمنة بعض الناس. ولسنوات عدة ألقى اصحاب البدانة اللوم على سرعة الايض في اجسامهم اي على مجموعة العمليات الكيميائية المتصلة ببناء "البروتوبلازما" واندثارها. وقد يكون هؤلاء على صواب في بعض الحالات. وتربط نظرية اخرى السمنة بانخفاض مستوى خميرة معينة (★) تستهلك طاقة كبيرة اثناء نقل مادتي الصوديوم والبوتاسيوم داخل الخلية وخارجها. وتبعاً لنظرية "الدهن البني" يسمن بعض الناس بسبب عجزهم عن تحويل الوحدات الحرارية الزائدة حرارة.

ويشير الدكتور ادوارد هورتون من كلية الطب في جامعة فيرمونت الى ان عملية حرق الوحدات الحرارية الزائدة ربما كانت من وظائف الجهاز العصبي السمبتاوي مما يتيح معالجتها بالادوية. وللأسف فقد غلبت الخلايا الدهنية معظم المحاولات للقضاء عليها. من ذلك ان السمناء الذين عولجوا بهرمونات الغدة الدرقية التي تسرع عملية الايض خسروا من حجم العضل واللحم الهبر في اجسادهم بدلا من المناطق الدهنية.

صالونات النحافة ـ قد يكون الخلل وراثياً، وهناك ادلة على ذلك ويجري هورتون دراسة على هنود قبيلة "بيما" في اريزونا التي يشكو ٨٥ في المئة من افرادها من السمنة. وهو

(★) Sodium - Potassium ATPase

وجد لديهم قدرة محدودة على زيادة حرق الوحدات الحرارية اذا هم اكثروا من الاكل، ويقدّر انهم ورثوا "جينة اقتصادية" توصي بخزن فائض الطعام في شكل دهن. ولكن تشير معظم الادلة الى اتجاه آخر غير وراثي. فهناك شعوب كاملة كانت ناحلة في موطنها الاصلي فسمن افرادها عندما هاجروا الى اراض اخرى.

ويرجع بلاكبرن من جامعة هارفرد اصل الدهن لدى سمناء الولايات المتحدة الى اسباب وراثية بنسبة ١٠ في المئة وبالنسبة ذاتها الى قلة الحركة الناتجة من التقدم في السن وبنسبة اكبر الى التغذية في سني الحداثة. كما يعزو النسبة الاكبر الى طريقة العيش في مجتمع يشكل فيه الطعام ارخص طرق التسلية.

وبناء على هذه الخلفية يبدو من السهل التخلص من الدهن او اذابته مثل الزبدة. وهذه النظريات هي قيد التجارب، وأحدثها تقنية "صالونات" سحب الدهن حيث يحقن محلول ملح في جيب من الدهن فتتمزق الخلايا ممهدة لتفريغ الدهن السائل.

وللأسف فالاجراء محدود النتائج وقد يسفر عن اضرار عدة منها اختلال في الاعصاب الجانبية يؤدي الى الشعور بالخدر. وهناك طريقة اخرى هي خداع الجسم السمين ليأكل اقل. فالمعدة لا تستطيع استيعاب مزيد من الطعام حتى تفرغ دفعة منه في الامعاء. ولبعض الكيميائيات التي تدعى "هرمونات التخمة" تأثير قصير

المدى في ابطاء حركة الطعام وترك الشعور بالشبع مدة اطول.

ويمكن كذلك تصغير حجم المعدة جراحياً. ويتم تقويم المعدة باحداث جيب صغير في اعلاها يتخلله ثقب في وسع قلم يؤدي الى بقية المعدة، ويعتبر هذا الخيار الاخير للشخص الشديد السمنة. لكن قلة من الناس تخسر الوزن الذي توقعت خسارته بهذه الطريقة. ويقول الطبيب النفساني البير ستانكارد من جامعة بنسلفانيا: "للسمنة اسباب بيولوجية اساسية، وغالباً ما يكون العلاج الوحيد اقناع الناس بالعيش في شبه مجاعة."

اما المحير في القصة كلها فليس قلة عدد الذين يتخلصون من السمنة، بل عجز هؤلاء عن المحافظة على نحافتهم.

■ نيوزويك

معظم "صرعات" الحمية

ينتهي الى عواقب اخطر كثيراً من القوام البدين

٢. حذارِ أخطار الحمية

● في مقابلة تلفزيونية مع احدى الممثلات عزت هذه النقص في وزنها الى حمية تقتصر على تناول الفاكهة. وسريعاً ما تصدر الكتاب الداعي الى تلك الحمية لائحة الكتب الاكثر رواجاً.

● صرح طبيب الف كتاباً رائجاً آخر حول الحمية: "انت تعرض نفسك واحباءك لخطر السرطان اذا تناولت الاطعمة المصنّعة." وهو لم يستند في ادعائه الى برهان علمي غير ان الوف الناس شاركوه في هذا الاعتقاد وتحولوا الى ما يسمى "الطعام الطبيعي".

● اشاد مؤلف كتاب رائج عن الحمية بفوائد مادة "الليسيثين" وهي مركب من الاحماض الدهنية موجود في صفار البيض. وزعم المؤلف ان لهذه المادة تأثيرات عجائبية في الشفاء من حب الشباب واستعادة القدرة الجنسية. وهكذا اصبحت "الليسيثين" مادة غذائية رائجة.

هذا بعض من انظمة الحمية الشائعة اليوم. وقد يتناول احدها وجبات مركزة من الكربوهيدرات وآخر من البروتيين وثالث من الاغذية الغنية بالالياف. ولئن يكن معظم هذه الحميات مبنياً على خلط بين الحقيقة والخيال او على "فلسفات" شعبية خاطئة، فان هناك دائماً جمهوراً تواقاً الى طرق سريعة وسهلة لصحة افضل وقوام انحف.

وما الخطأ في تشجيع الناس على تخفيف وزنهم باعتماد حمية تقوم على الفاكهة؟ ولم لا نتناول الاطعمة الطبيعية بنسبة ١٠٠ في المئة كباب وقاية في حال احتواء الاطعمة المصنعة حقاً على مادة مسببة للسرطان؟ ولم لا نكثر من الفيتامينات والمواد المكمّلة الرائجة اليوم آملين انها فعلا تمنع المرض او تقلل من احتمال حدوثه؟

والجواب بسيط. فمعظم انظمة الحمية ينطوي على اخطار صحية قد تؤذي اكثر مما تنفع. فمنها ما يحرم الجسم مغذيات اساسية ومنها ما يكدس فيه رواسب يكمن فيها الخطر. وفي بعض الحالات تشجع الحمية على الاستخفاف بأعراض مرضية تتطلب رعاية طبية مختصة.

نصائح شخصية - ولكن اليست كل انظمة الحمية مدروسة بطرق علمية صحيحة قبل تقديمها الى عامة الناس؟

كلا. ففي امكان اي شخص ابتكار حمية معينة ونشر تعليماتها والترويج لها. ولا تتطلب اشاعة حمية غذائية جديدة سوى فكرة وقدرة على صياغة بعض الكلمات.

ولنعتبر مثلا الحمية التي راجت حديثاً وعرفت باسم "حمية بيفرلي هيلز". لقد ابتكرتها امرأة من كاليفورنيا لم تمارس اي اختصاص رسمي في مجال الطب او الغذاء، كل ما في الامر انها شاءت تخفيف وزنها. تدعو هذه الحمية الى تناول كمية غير محددة من الفاكهة مع تنويعها كل يوم. وتسمح بتناول اطعمة اساسية بكمية قليلة بعد اليوم العاشر مثل الخبز والزبدة والذرة ولا تجيز تناول البروتيين الكامل قبل اليوم التاسع عشر.

ولا يخفى سبب نقص الوزن سريعاً باتباع هذه الخطة الغريبة. وقد يصاب المرء باسهال او زيادة مفرطة في التبويل بعد الاقتصار على تناول الفاكهة عشرة ايام متتالية. وهكذا يكون نقص الوزن ناتجاً ليس من قلة الوحدات الحرارية فحسب، بل ايضاً من نقص السوائل في الجسم.

ويعتقد بعض الناس ان هذا ثمن معقول لخسارة خمسة كيلوغرامات او سبعة في وقت قصير. ولكن ما لا تخبرهم به "مخترعة" الحمية - وربما تجهله - هو ان فقدان السوائل من الجسم قد يسبب نقصاً شديداً في المواد المغذية، خصوصاً المعدنية منها، مع احتمال حدوث اختلالات قلبية.

الدهن ضروري - مثل الكثير من انظمة الحمية تعتمد "حمية بيفرلي هيلز" افتراضاً خاطئاً وتزعم

مخترعتها ان في امكان الجسم ان يهضم انواعاً محددة من الطعام في وقت واحد. من هنا كانت وصفتها لثمرتي البابايا والاناناس ليوم واحد والشمام (البطيخ الاصفر) لليوم التالي.

على ان اختصاصيي التغذية يعلمون منذ أمد بعيد بقدرة الجسم على فرز انواع عدة من الخمائر لهضم جميع اشكال الاغذية. وبالتالي فلن يصعب على الجسم هضم وجبةمن اللحم والخضر والحبوب اكثر من هضم وجبة تقتصر على الفاكهة.

وانظمة الحمية الاخرى التي تركز على البروتيين او الكربوهيدرات ليست اقل تضليلا. ففي حين انها تنقص الوزن بادىء الامر الا ان معظم هذا النقص ناتج من فقدان السوائل لا الانسجة الدهنية. وربما ادت هذه الانظمة الى فقدان الجسم المغذيات الضرورية لصحة سليمة.

وتدعو بعض الحميات الى التقليل من تناول الدهن الى ما دون المستوى المقبول طبياً. غير ان المواد الدهنية ضرورية على رغم سمعتها السيئة، وتناولها باعتدال يبقى اساساً لصحة جيدة. فالدهن يعطي الطعام نكهة ويجعلنا نشعر بالشبع وهكذا لا نجوع بعد مدة قصيرة من تناوله. انه نوع من الطاقة المركزة يساعد الجسم في امتصاص الفيتامينات "أ" و"د" و"هـ" و"ك" ومصدر للحمض الدهني "لينوليك". كما ان اللحم الاحمر مصدر للدهن ومصدر رئيسي للحديد.

الاخطار الكامنة - لا شك في ان هناك انظمة حمية تقدم الارشاد الغذائي الصحيح، ولكن تكسفها تلك التي تدعو الى برامج غبية للاكل قد تشكل خطراً على الحياة.

قبل بضع سنوات انتشرت حمية بين الناس قريبة من الصيام تدعو الى تناول البروتيين السائل ومنها شاعت عشرات المستحضرات في الاسواق. وكان الصوم المعدل اعتمد في احد المراكز الطبية التي تعتني بالمرضى الذين تهدد السمنة صحتهم. وسرعان ما ظهرت اخطار تعميم هذه الطريقة في شكل بروتيين سائل في متناول الجميع فقد اعلنت ادارة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة وفاة سبعة عشر شخصاً نتيجة اعتماد هذه الوجبة الفقيرة بالوحدات الحرارية. ومع ان سبب الوفاة بقي مجهولا الا ان احدى النظريات تقول ان هذه الوجبات قصرت عن تأمين الغذاء الكافي لابقاء القلب في حال صحية جيدة.

وهناك حمية اخرى تنطوي على كمية ضئيلة جداً من الوحدات الحرارية وتباع مقوماتها في الاسواق في شكل مسحوق يحوي انواعاً عدة من المغذيات. ويشتريه مئات الالوف من الناس، ويروج لها باسم "حمية كمبريدج". وتصفها الاعلانات بانها "الحمية الكاملة لانقاص الوزن." غير ان تأثيرها وفاعليتها على المدى الطويل لم يعرفا بعد. وقد حذر عدد من الهيئات الطبية من اتباع اي حمية تنطوي على مستوى منخفض من الوحدات الحرارية من دون مراقبة طبية.

وما يهدد الصحة ايضاً تلك الوجبات المرتكزة على جرعات كبيرة مما يسمى "المكملات الخاصة". يقول احد المؤلفين ان حشو الجسم يومياً بالفيتامينات يؤدي الى تخفيف الاضطرابات العقلية والامراض النسائية. وبتناول كميات كبيرة من سمك السردين، يقول مؤلف آخر، تتحسن الذاكرة وتتباطأ عملية التقدم في السن. ويرى احد اطباء الارياف ان المعالجة الذاتية بالعسل وعصير التفاح تمنع حدوث كثير من الامراض من دون الرجوع الى طبيب او تناول الادوية الموصوفة.

ان كل هذه النصائح لا تعني شيئاً لبعض الناس، لكن نتائجها اذا طبقت يمكن ان تكون مدمرة، وفي كتاب "فليكن اطفالنا اصحاء" تقترح المؤلفة اديل ديفيس اعطاء الطفل المصاب بالمغص جرعات كبيرة من البوتاسيوم. وعندما جرب والدان ذلك على ابنهما الرضيع مات الطفل بسبب توقف القلب. وعندما فحصه الطبيب اكتشف ان جرعات البوتاسيوم قد تكون السبب وان تلك الكميات تفوق باضعاف الجرعات المسموح بها.

وقد تكون الفيتامينات خطرة ايضاً. فالكثير منها مخزون في الجسم والجرعات الزائدة على اللزوم قد تسبب التسمم. والاعتقاد ان الجرعات الكبيرة من اي نوع من المغذيات تمنع حدوث بعض الامراض وتشفيها تعود الى شعور خاطىء بالسلامة. والمعالجة الذاتية بالفيتامينات او مكملاتها تؤخر العديد من الناس عن الحصول على عناية طبية مما يفوت الوقت لمعالجة امراضهم.

ولان الفيتامينات تشفي بعض الامراض كتورم اللثة وكساح الاطفال، فقد قرر الاطباء اعطاء كميات كبيرة منها لمثل هذه الحالات. ولكن ليس هناك الى الآن اي دليل علمي على ان الفيتامينات تقاوم السرطان او امراض القلب او اي مرض عضال. ان اقصى ما يمكن تناوله من الفيتامينات هو قرص واحد يومياً اذا كان نظامك الغذائي غير متوازن.

قواعد ذهبية - ليس من السهل تطبيق نظام حمية يختصر الطريق الى النحافة. فقبل ان تغير عاداتك الغذائية راعِ الحقائق الاساسية الآتية:

● ليس هناك طعام "ثوري" او "عجائبي" او "خاص". وليست هناك اغذية معروفة طبياً يمكن ان تزيل من الجسم المواد الدهنية او تغير طريقة الهضم مما يساعد في انقاص الوزن. وافضل الطرق الى ذلك يجب ان تكون مختبرة وصحيحة: كميات اقل من الغذاء المتوازن وتغيير عادات الطعام وممارسة الرياضة. لن تكون النتائج باهرة لكنك ستفقد بعض وزنك وتحافظ على ذلك في المدى البعيد، وهذا لا يتحقق غالباً باتباع انظمة الحمية الموقتة. والاهم من ذلك انك تفعل ذلك من دون ان تعرض صحتك للتدهور.

● ليس هناك اي فضيلة للاغذية "الطبيعية" او "العضوية" فالفرق الوحيد بين الطعام المشترى من مركز

صحي وذاك المشترى من السوق يكمن في احتواء هذا على الكيميائيات التي تنميه وتحفظه. لكن الكيميائيات لا تفقد الطعام قيمته الغذائية، فأي سماد صناعي او طبيعي يجب ان ينحل الى عناصره غير العضوية قبل ان يمتصه النبات.

ويتساءل بعض الناس: "ماذا عن المواد التي تضاف الى المأكولات؟ اليست خطرة على الصحة ومسببة للسرطان؟" ومع ان بعض الدراسات الحيوانية دلت على مشاكل ممكنة بالنسبة الى الكيميائيات الغذائية الا انه ليس هناك اي دليل على ان الكيميائيات المعترف بها غير مضمونة.

ان الكيميائيات تجعل الطعام اشهى وأوفر تغذية وافضل مذاقاً واطول عمراً. والاخطار الناتجة من سوء التحضير او تخزين الاطعمة قد تفوق اخطار الكيميائيات المعترف بها. تذكر ان الطعام يفسد مع الوقت منتجاً تعفنات سامة او جراثيم قد تؤدي الى مشاكل جدية في الامعاء وسواها. ولذا فليست هناك اسباب تدعوك الى شراء اطعمة غالية الثمن الا اذا وصف لك الطبيب ذلك.

● مع ان الفيتامينات تمثل دوراً اساسياً في الحفاظ على الصحة الا ان عملها ليس عجائبياً. فمعظم الناس يحصلون على مواد غذائية ومن ضمنها الفيتامينات عندما يتناولون طعاماً موزوناً متنوعاً.

ويعرف علماء التغذية في هذه الايام انك تحتاج الى خمسين نوعاً من المواد المغذية الضرورية لحاجات الجسم الفيزيولوجية. ولا شك في ان نوعاً واحداً من الطعام لا يعطيك مثل هذا العدد كما ان الوجبات الشاذة وتناول الاقراص لن تنجح كذلك.

ان خير ما تفعله للتمتع بصحة جيدة هو تناول الاطعمة المتوازنة والمحتوية على المغذيات الاربعة الاساسية: الخضر والفاكهة، الحبوب ومشتقاتها، الحليب ومشتقاته، اللحم والطيور والاسماك. ان هذه المأكولات لا تجترح المعجزات لكنها تساعدك في التخلص من اخطار الحمية والبدع الغذائية.

■ فريدريك ستار واليزابيت ويلان

ازهار ماريا كالاس

كان لزوج مغنية الاوبرا الراحلة ماريا كالاس أثر كبير في شهرتها. ذلك ان جيوفاني باتيستا مينيغيني، زوج كالاس ومدير أعمالها، كان يملأ الصفوف الامامية في قاعة "لاسكالا" في مدينة ميلانو الايطالية بالاحداث المتحمسين ويحملهم باقات الزهر لاغراق زوجته بها في نهاية الحفلة.

وتمكن الخصوم ذات مساء من احتلال تلك الصفوف أولا. وكان في آخر العرض أن اختلط الزهر بالخضر الفاسدة. ونظراً الى ضعف نظرها لم تستطع كالاس تمييز الخضر عن الزهر الا بالشم. وأخذت اذ ذاك ترمي الخضر جانباً وتسلم الباقات العطرة الى زملائها في الفرقة.

ا.ش.

صوب الخاطف مسدسه الى رأس الطيار ونهاه عن الهبوط. الا ان الوقود كان يكفي لدقائق

نجمة الشجاعة

تلقت الخطوط الجوية عبر اوستراليا الاذن بالهبوط في مطار بريسباين. ولم تمض ثوان حتى اقتحم الخاطف قمرة القيادة وأخرج مسدساً من تحت سترته الصوفية الفضفاضة وصوبه الى الربان آمراً: "اصعد بهذه الطائرة الى ارتفاع ٢٠ الف قدم!"

كانت الساعة التاسعة الا عشر دقائق من مساء الجمعة في ٨ يونيو (حزيران) ١٩٧٩. وحلقت طائرة الـ"دي سي ٩" واشارتها الرمزية "تانغو جوليات جوليات" وعلى متنها ٤١ راكباً وطاقم من ستة افراد. وكان قائد الطائرة جون بايمان طياراً قديماً امضى ١٤ سنة في خدمة الشركة، وهو جلس في قمرته الخافتة النور والى جانبه القبطان غراهام ماكلمان الذي امضى ٢٣ سنة في الشركة.

في اللحظة التي نطق الخاطف بأمره استدار ماكلمان في مقعده وقال له بلهجة حازمة: "ليس لدينا وقود

كاف·" وهو لم يكن يكذب· فالطائرة التي انطلقت من ملبورن استهلكت وقودها ولم يبقَ في خزاناتها سوى ما يكفي ١٥ دقيقة طيراناً، اضافة الى الكمية الاحتياطية التي تفرضها ادارة النقل·

ورضخ ماكلمان لتعليمات الخاطف اللاحقة وخاطب الركاب بالمذياع الداخلي: "سيداتي وسادتي، الرجاء ان تبقوا في مقاعدكم·"

وتبادل الركاب نظرات حائرة ولكن لم يحدث اي ارتياع· وكتدبير احترازي نقلت المضيفة مارلين تشادويك الطفل جامي فان هرك (٨ سنوات) واخته تينا (٦ سنوات) المسافرين وحدهما من مقعديهما الاماميين الى المقاعد الخلفية·

وفي قمرة القيادة صوب الخاطف فيليب سيلري (٣٦ سنة) مسدسه الى رأس بايمان اولا ثم حوله الى رأس ماكلمان وكرر طلبه بالتحليق الى ارتفاع اعلى· غير ان القائد بايمان

Illustration: Antoni Pyrzakowski

واصل الهبوط نحو بريسباين. وأخذ ماكلمان يناقش الخاطف: "اذا ارتفعنا، سينفد الوقود وتسقط الطائرة. ونحن لا نريد ان نقتل كل من على متنها."

ورد سيلري قائلا: "لا يهمني. سنهبط في خليج موريتون." وادرك ماكلمان انه يواجه رجلا ينفذ مهمة انتحارية. وتذكر ما قاله ابوه قبل سنوات من انه سعيد لأن ابنه سيترك سلاح الجو لينضم الى شركة الخطوط الجوية عبر اوستراليا. وهو اضاف حينئذ: "على الاقل لن تواجه هناك مجنوناً يطلق النار عليك." ولكن ها هو اليوم في اخطر المواقف.

ولم يعرف الطياران مراد الرجل المسلح، فقررا الاستمرار في مواجهته بالمصاعب مدركين انهما يقتربان من الحل كلما اقتربا من الارض. والى ذلك فلم يكن لديهما من الوقود الا ما يفكي للتوجه الى أسفل.

ولم يدرِ سيلري ان بايمان حرك جهاز انذار سرياً يعلم برج المراقبة في بريسباين باختطاف "تانغو جوليات جوليات". وفي هذا الوقت كان مزاج الخاطف عكراً وحين مد بايمان يده ليطفىء النور الذي يضيء مقياس الارتفاع ضرب سيلري ذراعه بالمسدس، ثم أمر بايمان بان يضع يديه فوق اجهزة القيادة. واذ رفع بايمان يديه عن المقود باتت الطائرة تحلق بلا طيار.

وامسك ماكلمان المقود متجاهلا المسدس المصوب الى رأسه. وبعدما وضع الطائرة في مستوى افقي انحرف بقوة فانفتح باب القمرة.

وصرخ سيلري: "اغلق هذا الباب، فلا اريد ان اخيف الاولاد."

لاحظ الطياران نقطة ضعف الخاطف وتمسكا بها. وسأله بايمان: "الا تريد ان تخيف الاولاد؟ انك ستفعل اكثر من اخافتهم. انك ستقتلهم."

وسأله ماكلمان: "هل لك عائلة؟" فأجاب: "نعم لي زوجة وطفلان، وهذا سبب فعلتي."

وجوه ممتقعة – قبل اسبوع من ذلك الوقت تركت زوجة سيلري البيت آخذة طفليهما بعدما بلغ الخلاف بينهما حداً لا يطاق. وهو الآن يريد ارغام العالم على الاصغاء الى ظلاماته.

ابقى ماكلمان الطائرة محلقة في شكل دائري بطيء واقترح على الخاطف عقد صفقة عادلة. فاذا سمح له بالهبوط واطلاق الركاب، فهو يعده بتعبئة خزانات الوقود واخذه الى اي مكان يختاره.

وخفض ماكلمان دفتي التوجيه وانزل عجلات الهبوط ووجه مقدم الطائرة نحو المدرج. وحين بلغت الطائرة ارتفاع ٥٠٠ قدم غرز سيلري فوهة مسدسه بعصبية في رأس ماكلمان.

ولدى بلوغ الطائرة ارتفاع ٢٠٠ قدم انتقلت فوهة المسدس من جمجمة ماكلمان الى صدغه الايمن وصاح الخاطف: "لا تهبط! لا تهبط!" غير ان ماكلمان أصر قائلا: "بل يجب أن اهبط." وحاول تركيز انتباهه في أصعب عملية هبوط واجهها في حياته، وقال في نفسه: "اني أقهره."

ظل سيلري صامتاً وهبطت الطائرة بسلام. وفيما هي تكرج في الظلام عند نهاية المدرج اضاء بايمان حجرة الركاب وانفتح باب القمرة بعنف. وصرخ سيلري: "اطفىء الأنوار!" لكن الطيارين تجاهلا الأمر وأصرا على الا يفعلا شيئاً الا بعد اطلاق الركاب.

وثار سيلري واستدعى المضيفات الاربع وأمرهن بالجلوس على ارضية قمرة القيادة. ثم أمر الربانين بابقاء حزامي مقعديهما مشدودين. وعندئذ ادرك الركاب حقيقة المأزق الذي هم فيه واخذوا يراقبون ما يحدث بوجوه ممتقعة.

وصل الى ارض المطار وكيل مفوض شرطة كوينزلاند فيرن مكدونالد مع ٦٠ عنصراً. وتوزع الرجال في الظلام في نصف دائرة حول الطائرة. وتقرر ان يأمر مكدونالد رجاله باقتحام الطائرة اذا اطلق الخاطف رصاصة واحدة. وحتى ذلك الحين يبقون هم والركاب الرهائن مجرد مشاهدين لا حول لهم ولا طول.

"اذهبي الى بيتك" – في الطائرة ازداد اضطراب سيلري واخذ يهذي شاتماً الطيارين والمضيفات. فجأة رأى الطفلة تينا فان هرك تبكي، فقال لها ومسدسه في يده انه آسف لازعاجها ثم استأنف صراخه وشتائمه وزعق: "اذا تحرك احدكم، نسفت رأسه للحال."

وكانت الانوار الساطعة تثيره فصرخ بالطيارين طالباً اطفاءها. لكنهما اجابا بحزم انهما لن يفعلا الا بعد اطلاق الركاب.

واخيراً لان سيلري. وبعد دقائق طلب من المضيفة ارين سانت جون ان تخرج الركاب من الطائرة، ففتحت الباب الخلفي وخرج الركاب واحداً واحداً بهدوء. وقال لها احدهم وهو يخرج: "انك فتاة شجاعة."

ولم يكن شعورها كذلك. فهذه اللحظة هي فرصتها للنجاة، غير انها تساءلت: "ماذا سيفعل الرجل المسلح بافراد الطاقم اذا هي هربت؟" وبعدما وصل الركاب الى ارض المدرج عادت على مهل الى قمرة القيادة. وواصل الطياران مقاومة الخاطف وارغامه على اتخاذ قرارات.

سأله ماكلمان بهدوء: "ماذا تريد حقاً؟ وماذا تراني افعل من اجلك؟" قال الخاطف انه يريد التحدث الى المذيع التلفزيوني مايك ويلسي. وأجرى ماكلمان مكالمة لاسلكية طالباً الاتصال بالمذيع.

وأمر الخاطف المضيفة كولين جونستون بان تحضر له كأساً من الجعة. وهو اوشك ان يسلم المضيفة مسدسه في فورة عاطفية وهو يدفع لها ثمن الجعة التي شربها، بعدما اختطف طائرة يبلغ ثمنها ٤،٥ ملايين دولار.

بعد ذلك امر الخاطف ماكلمان بأن يطلب صهريجاً لملء خزانات الوقود.

ولكن حين ظهر الصهريج ارتاع وغرز مسدسه في عنق المضيفة مارلين تشادويك صارخاً: "اولئك هم رجال الشرطة!" ثم صاح بالربان: "اقلع فوراً. واذا لم تفعل، سأنسف رأس الفتاة."

ادار ماكلمان محركاً واحداً وتوجه

بالطائرة نحو الصهريج. وفهم سائق الصهريج مغزى هذه الحركة فانحرف بصهريجه وغاب في الظلام.

اوقف ماكلمان الطائرة واطفأ المحرك ثم قال للمسلح: "اسمع، اننا نريد مساعدتك." وعرض عليه ان يرسل اشارة لاسلكية طالباً البحث عن زوجته واولاده. ووافق المسلح على اعطائه العنوان وهو في حال من الاعياء ودخل حجرة الركاب وجلس في مقعد. ونظرت ارين سانت جون بأسى من النافذة، فسألها المسلح: "هل أنت مرهقة؟ أتريدين ان تذهبي الى بيتك؟"

هزت ارين رأسها ايجاباً فأوعز اليها بالانتقال الى مؤخر الطائرة.

واستبد الغضب بالمضيفة أسما كاظم وغلب خوفها فقالت: "كلنا مرهقون، لماذا لا نذهب جميعاً الى بيوتنا؟"

"لا!" صاح سيلري، ثم أمرها بأن تحبو الى مؤخر الطائرة وتطلق زميلتها. ولم تفهم أسما كاظم ما قاله وانتصبت واقفة لتلحق بزميلتها. فقبض سيلري على ذراعها وهو يمسك المسدس بيمناه. وثارت ثائرة المضيفة كاظم وضربت بكفها يد سيلري اليمنى فسقط المسدس على الارض. وارتمى الاثنان لالتقاطه، لكن الفتاة قذفته بعيداً ثم ألقت بنفسها على الخاطف وهي تصيح.

وسمع الطياران الجلبة فحلا حزامي مقعديهما وهجما على المسلح. وقفز بايمان فوق الجسدين المتكومين بينما داس ماكلمان يد سيلري الممدودة نحو المسدس الذي كان على بعد نصف متر من انامله.

التقط ماكلمان المسدس وقذفه خارجاً عبر الباب الامامي وأسرع عائداً الى قمرة القيادة وصاح في الجهاز اللاسلكي: "اسرعوا، لقد امسكناه."

وتراكض رجال الشرطة وموظفو الأمن في الشركة الى داخل الطائرة حيث كان افراد الطاقم كبلوا الخاطف الذي هدأ تماماً. وهكذا انتهت معركة دامت ساعتين وكان سلاحها الفطنة والدهاء.

■ **روي ايكلستون وستيفن جونسون**

في التاسع من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ حكم على فيليب سيلري بالسجن مدى الحياة. وفي ١٩٨١ قدم التماساً فخفض الحكم الى عشر سنين. ومنح الطيار غراهام ماكلمان والمضيفة اسما كاظم وسام "نجمة الشجاعة" وهو احد أرفع الاوسمة في اوستراليا تقديراً لشجاعة المدنيين. كما قدمت جمعية المسافرين في الجو جائزة خاصة الى افراد طاقم الطائرة تقديراً لخدمتهم الرائعة للركاب.

فطور الصباح

عندما يستغرق والدي في قراءة صحيفة الصباح، فلا وسيلة لحمله على تناول الفطور معنا. لكن ابنة اخي الصغيرة تمكنت من حثه على المجيء الى الطاولة ذات صباح: ذلك انها قفزت الى حضنه وانتزعت نظارتيه.

س.ف.

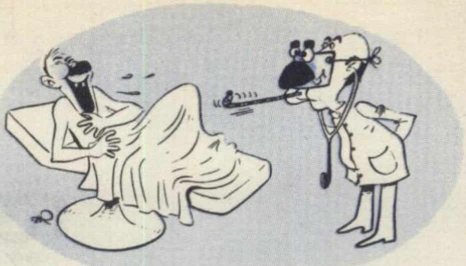

الضحك خير دواء

في خبر كان

تسلم محرر زاوية "القلوب الحائرة" في مجلة اسبوعية الرسالة الآتية من قارئة: "أهدى إلي صديقي قالب حلوى، لكن امي أنبتني على ذلك قائلة ان على فتاة في مثل سني أن ترفض هدايا الفتيان. فماذا أفعل؟" وجاء جواب المحرر كالآتي: "ان والدتك على حق. أعيدي الهدية."

م.ب.

وصية زوجة!

دعا رجل على فراش الموت زوجته وقال لها: "سلمي ابننا فريداً ادارة المحل بعد وفاتي."

– فريد؟ أوليس سامر افضل منه في ادارة المحلات؟

"أجل... ولكن اعطي سليماً السيارة الكبيرة."

– لكن مصطفى يحتاج اليها اكثر من أجل عائلته.

"حسناً، اعطيها له. ولكن لتأخذ ابنتنا سميرة المنزل الريفي."

– الا تعرف ان سميرة لا تحب الريف؟ لنعطِ البيت لاختها سعاد...

وهنا قاطع الرجل زوجته قائلا: "ترى من الذي يموت: انت ام أنا؟"

ج.ب.

مشكلة بسيطة

أوصى موسيقي بأن يُدفَن كمانه معه. ولدى موته حُقق طلبه. وسأل احد الأصدقاء أرملة الموسيقي: "ما رأيكِ في هذه الوصية؟"

– أشكر الله على أنه لم يكن عازف بيانو.

ل.و.

خبرة في البريد

قال موظف البريد للمدير: "دعني اقدم اليكَ زميلنا احمد الذي سيتقاعد قريباً بعد ثلاثين سنة في الخدمة." وصافحه المدير وقال: "حسناً يا احمد، ماذا تعلمت عبر هذه السنوات؟"

– أرجوك يا سيدي الا ترسل راتبي في البريد.

ج.هـ.

الزوجة وتخفيف الوزن

أمضت امرأة شهرين وهي تقرأ كتاباً حول تخفيف الوزن. وكلما راقتها فكرة عملية كانت تضع ورقة في الصفحة المعنية لتعود اليها. ومرة فتح زوجها الكتاب، فوجده مليئاً بأوراق الشوكولاتة.

ف.هـ.

استوطنها الفرنسيون ثلاثة قرون. وها هي اليوم واحة فرنسية في شبه القارة الهندية

بونديشيري: رقّة فرنسيّة ودفء هندي

دامت الرحلة ثلاث ساعات فوق طريق غير مستوية. وفجأة هتف سائق الحافلة: "ها قد عبرنا الحدود!" واشار الى لوحة على جانب الطريق تحمل عبارة "اهلا بكم في بونديشيري." واكتشفنا بعد قليل اننا حقاً عبرنا حدوداً ودخلنا عالماً آخر. ذلك لان بونديشيري لا تشبه مكاناً آخر في الهند ولا في اي بقعة من العالم.

اين تجد في غير هذا المكان مدينة تحمل شوارعها اسماء مشاهير فرنسيين وتنتشر علىجوانبها منازل من الطراز الاستعماري الفرنسي

وتكتظ بالنساء المتسترات بالساري والرجال الملتفين بالدوتي وهم يتكلمون الفرنسية بلكنة تاميلية (١) ؟ اين تجد مدينة يسكنها ١٦٣ الف نسمة يحتفلون بالسنة الهندوسية الجديدة وبذكرى الثورة الفرنسية وسقوط الباستيل ويعتمر رجال الشرطة فيها قبعات عسكرية فرنسية؟ الجواب الوحيد هو: بونديشيري.

ظلت هذه المدينة طوال ثلاثة قرون درة المستوطنات التجارية الفرنسية المنتشرة على الساحل الهندي. واليوم بعد ٢٨ سنة من قطع روابطها بفرنسا لا تزال بونديشيري خليطاً محيراً من المظاهر الاستعمارية الغالية والتراث الهندي المهيب.

تحيط ولاية نادو القديمة بهذا الموقع التجاري النائي على ساحل كوروماندل في جنوب شرق الهند. ويصف احد كتب السياحة بونديشيري بأنها "مدينة تسحقها الشمس." والواقع ان الحرارة قد ترتفع في فصل الصيف لتبلغ حداً محرقاً يراوح بين ٤٠و٤٥ درجة مئوية في الظل على رغم ان انسام البحر تلطف جو المدينة. ويعتمد اقتصاد المدينة كما في الماضي على التجارة والصناعة الخفيفة خصوصاً صناعة المنسوجات.

طبخة الرقة والدفء - يعود تاريخ الاتصال الاول بين بونديشيري والغرب الى قبل ٢٠٠٠ سنة حين استخدمها الرومان كمستعمرة تجارية. وظل الحكام المحليون يتنازعون لامتلاكها طوال قرون حتى سقطت في أيدي الفرنسيين عام ١٦٧٣. وقبل مضي وقت طويل اضحت المركز التجاري الرسمي لشركة "الهند الشرقية" الفرنسية التي كانت تستورد الافاويه والمنسوجات والمواد الخام من شبه القارة. وظلت المدينة تحت سيطرة الفرنسيين حتى العام ١٩٥٤ حين اعيدت الى الهند، وتخلل ذلك فترات قصيرة من الاحتلال الهولندي والانكليزي. غير ان البرلمان الفرنسي لم يصادق حتى العام ١٩٦٢ على المعاهدة التي اعادتها رسمياً الى الهند.

ويبدو جلياً من النظر الى بونديشيري اليوم ان الفرنسيين كانوا عازمين على اضفاء الطابع الغالي على هذا "الموطن النائي عن الوطن." فقد شيدوا قرب المحيط منازل أنيقة ذات أروقة مكشوفة وشرفات ذات اعمدة واقاموا الكنائس وبنوا مدرسة ثانوية ونوادي اجتماعية كما انشأوا الحدائق وأقاموا أنصاباً لابطالهم الوطنيين. ويدوم سحر بونديشيري كأنما الفرنسيون لم يرحلوا عنها قط.

الجزء الذي يغلب عليه الطابع الغالي اكثر من سواه يدعى "المدينة البيضاء" (فيل بلانش) حيث يلتقي المرء شخصيات مثل ايف بيرييه وهو مواطن محافظ في الثامنة والستين ولد في بونديشيري وكان حاكماً للمدينة ايام الفرنسيين. وهو واحد من ٦٠٠٠ نسمة اختاروا الاحتفاظ بالجنسية الفرنسية حين اصبحت المدينة هندية. وعلى غرار كثيرين من امثاله ترعرع بيرييه في "المدينة

(١) التاميلية لغة ولاية مدراس في الهند والاجزاء الشمالية والشرقية من سري لانكا.

البيضاء" حيث استوطن الفرنسيون في البداية وبنوا بيوتهم.

حين يسير المرء في المدينة ويقرأ اسماء شوارعها يحس كأنه يقلب صفحات من تاريخ فرنسا: شارعا سوفران ولابوردونيه يحملان اسمي قائدين بحريين فرنسيين، كما سمي شارع رومان رولان تيمناً بالكاتب الفرنسي الذي نال جائزة نوبل.

واذ عبرنا حديقة جاندارك لفتتنا قرقعات الـ"بول" وهو الطراز الفرنسي للعبة البولنغ حيث يستخدم اللاعبون كرات معدنية. وخيل الينا اننا نسير في بلدة صغيرة في جنوب فرنسا.

من هناك تمشينا على طريق النزهة الساحلية التي تمتد كيلومتراً ونصف كيلومتر وعلى جانبها رصيف كارصفة حوض البحر الابيض المتوسط تغسله امواج البحر المتوجة بالزبد. وظهرت امامنا ساحة غاندي المحاطة بمجموعة من الاعمدة الصوانية وقد انتصب فيها تمثالان متقابلان واحد للمهاتما غاندي والآخر للزعيم الهندي جواهر لال نهرو، وحولهما اولاد يلعبون وباعة يقدمون المثلجات وعصير قصب السكر المبرد.

ولا يزال اصل هذه الاعمدة سراً غامضاً. يقول بعضهم انها بقايا معبد هندي قديم جمعها الحاكم الفرنسي جوزف فرنسوا دوبليكس في القرن الثامن عشر. وفي عهد دوبليكس (١٧٤٢ - ١٧٥٦) تطورت بونديشيري من قرية صيد خاملة الى مركز تجاري كبير. وكان دوبليكس ألمع حكام المدينة. وهو اقام احتفالا رائعاً في فبراير (شباط) ١٧٤٤ للترحيب بمبعوث امبراطور المغول واعتمر عمامة مزدانة بالجواهر. وقد منحه المبعوث لقب "الامير الباسل" نيابة عن الامبراطور.

واكتسب الفرنسيون من جهتهم بعض عادات الوطنيين وتزوج العديد منهم فتيات هنديات من بونديشيري. وعميد هؤلاء المتحدرين من الزيجات المختلطة - ويدعون "كريول" - هو ريمون ماغري (٦٩ سنة) الذي يملك "فندق اوروبا الكبير" اكبر فنادق المدينة. يقول ماغري: "عندما يمتزج الفرنسيون والهنود تكون النتيجة طبخة كريول تجمع الرقة الفرنسية الى الدفء الهندي. وليس ثمة ما يضاهي هذا المزيج."

وتعود فرنسية ماغري الى تاريخ بونديشيري المميز. ففي العام ١٨٨١ منحت فرنسا جميع سكان بونديشيري حق اكتساب الجنسية الفرنسية. وكان هؤلاء يحصلون على تلك الجنسية بالذهاب الى المحكمة المحلية واعلان تخليهم عن جنسيتهم الهندية. وعززت هذه المبادرة مغريات عدة. فباكتساب الجنسية الفرنسية يصبح المواطنون أقل تعرضاً للتمييز العنصري النابع من نظام الطبقات الهندي المتزمت. والأهم من ذلك ان تلك الجنسية تتيح لهم ان يجدوا وظائف في الادارة المدنية الفرنسية ويحظوا برواتب اعلى من رواتب اخوانهم التاميليين. وللانسجام مع وضعهم الجديد كان "المرتدون" يتخذون لأنفسهم اسماء فرنسية بعضها شائع مثل ريفيير (نهر)

وبعضها لابطال ثوريين مثل سان جوست، ومنهم من اختار اسمه من ايام الاسبوع مثل ديمانش (الاحد) او من اشهر السنة مثل جانفييه (يناير / كانون الثاني).

المدينة السوداء - كان لا بد من ان يؤثر استقلال الهند عام ١٩٤٧ على وضع بونديشيري والمراكز التجارية الفرنسية الاربعة الاخرى وهي يانام وماهي وكاريكال وشاندرناغور. وتدهورت العلاقات بين فرنسا والهند وبوشرت المفاوضات لتقرير مصير المستوطنات الفرنسية. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٥٤ اقترع ممثلو بونديشيري المنتخبون بأكثرية ساحقة للوحدة مع الهند. وفي احتفال مؤثر اقيم في ٣١ اكتوبر (تشرين الاول) دوى نفير "تحية العلم" للمرة الاخيرة وانزل العلم الفرنسي المثلث الالوان (ازرق وابيض واحمر) عن ساريته. وفي صباح اليوم التالي ارتفع مكانه العلم الهندي المثلث الالوان ايضاً (اصفر وابيض واخضر). ويتذكر جورج اسكارغوي آخر الحكام الفرنسيين تلك الايام المثيرة قائلا: "لقد اخذت فرنسا بونديشيري من دون استخدام القوة واعادتها من دون استخدام القوة. لم ترق قطرة دم واحدة، لكننا لم نقوَ على حبس دموعنا."

واليوم تعكس الحضور الفرنسي في بونديشيري جمعيات يتجاوز عددها الثلاثين تعمل على تنمية الثقافة ونمط العيش الفرنسيين. فتقدم مؤسسة "آليانس فرانسيز" (الحلف الفرنسي) برامج لتعليم اللغة الفرنسية ويوفر النادي الاجتماعي "ني آميكال" (عش الصداقة) لاعضائه ملاعب لممارسة رياضة الـ"بول"، اما "بيت الجندي" فهو ملتقى المحاربين القدماء والموظفين المدنيين المتقاعدين. ثم هناك "حلقة بونديشيري" التي يتمتع اعضاؤها بثلاثة ملاعب لكرة المضرب وبأغنى مقصف في المدينة.

واما المؤسسة الاكثر تخصصاً فهي "المعهد الفرنسي" الذي تأسس عام ١٩٥٤ بتشجيع من نهرو ليكون "نافذة على الثقافة الفرنسية" في بونديشيري وغايته دراسة الحضارة الهندية الماضية والحاضرة. ويضم مبناه الاصفر الذي يرقى الى القرن الثامن عشر والقائم في شارع "لا مارين" علماء لغة وآثار يعكفون على درس ماضي الهند بينما ينصرف المؤرخون الى دراسة الرسوم الرمزية المعقدة التي تزخر بها المعابد الهندوسية. ويتخصص القسم العلمي في المعهد بدراسة الخرائط والمناخ والغابات ويملك احدى اكمل مجموعات اللقاح النباتي في العالم.

وهناك أثر آخر بهيج للحضور الفرنسي يتعلق بالاختصاص التقليدي بصناعة الاثاث. فحين وصل اولو التجار الفرنسيين جلبوا معهم اثاثهم. وقبل مضي زمن طويل اخذ الحرفيون الهنود يصلحون هذا الاثاث الاصلي ثم يصنعون نماذج مماثلة له. ويواصل النجارون اليوم انتاج الاثاث الفرنسي ومنه الخزانات ذات الادراج والصناديق التي تصنع من الخشب

الهندي الصلب وخشب الورد والصندل والتيك.

وافضل مكان لمشاهدة هذه الاشياء هو النصف الآخر من بونديشيري الذي لا يزال كثيرون يطلقون عليه اسم "المدينة السوداء". فخلال بناء المدينة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت "المدينة السوداء" تمثل الحي الذي يقطنه غير الاوروبيين. وتفصلها اليوم عن "المدينة البيضاء" قناة مكشوفة تجري فيها مياه الامطار الموسمية وتصب فيها المجاري. وهذا الحي مكتظ ونابض بالحياة. فالبيوت متراصة حول الازقة الضيقة والافخم بينها مبني بالبلاط والآجر اما الأفقر فمبني بحجار الطين المجفف تحت حرارة الشمس وبسعف النخيل. ويجلس الكهول خارج بيوتهم يمضغون بزر الفوفل (٢) بينما النساء في الباحات يطحن الرز في اجران حجرية ضخمة.

الأم التونسية - اليوم بعدما بات التاميليون يقطنون على جانبي القناة لم يبقَ للمدينة السوداء ما يميزها سوى سوقها. وكل فرد في بونديشيري يذهب الى هناك لشراء حاجاته. ويعرض التجار بضائعهم على حصر وعوارض خشبية تعلوها مظلات كبيرة سوداء او ستائر متدلية. وثمة شوارع بكاملها مخصصة لمهن معينة. ففي شارع بهاراتي دخلنا منطقة حرفيي الاواني المعدنية ورأينا اكشاكاً متراصة ملأى بالقدور والأوعية المنزلية الاخرى. وفي السوق ايضاً حرفيون يتخصصون بتجليد الكتب بدفتين من النحاس.

والمورد المالي الرئيسي في بونديشيري هو صناعة الحياكة والتطريز والانسجة القطنية. وهنا يثبت التراث الفرنسي وجوده مرة اخرى. ولا يزال نول القماش الموشى (جاكار) الذي احضره التجار الفرنسيون في القرن التاسع عشر يعمل حتى اليوم. وفي المدينة ثلاث شركات للنسيج تشغل بين ١٢و١٣ الف عامل ومشغلان أصغر حجماً أسستهما سيدة فرنسية تدعى نيكول دوريوه عام ١٩٦٨ يصدران كامل انتاجهما من الحصر والمطرزات الدقيقة الى الخارج وعلى نحو رئيسي الى فرنسا.

وهناك مشروع مزدهر آخر هو "سري اوروبندو أشرام". فالى كونه مركزاً دينياً فانه يضم مشاغل تصنع الورق والسلع الجلدية والخزفيات والمنسوجات وسواها. وهو مدين بوجوده للحكم الفرنسي. فقد منحت بونديشيري عام ١٩١٠ - بصفتها من الممتلكات الفرنسية - حق اللجوء السياسي لأوروبندو غوش أحد أنشط مناهضي الحكم البريطاني في الهند. ولم يلبث اوروبندو ان اصبح ناسكاً يتقاطر اليه التلاميذ من بقاع الارض.

ومن بين اولئك التلاميذ المخلصين كانت ميرا الفسَّا وهي امرأة تونسية تحمل الجنسية الفرنسية. ولمس اوروبندو للحال مواهب ميرا الفريدة في التنظيم، فأطلق عليها لقب "الأم" وعهد اليها في ادارة المعهد

---

(٢) نبات من فصيلة النخل

واعتزل العالم. وبفضل طبع ميرا الذي يجمع بين الخيال الشرقي والنزعة الغربية الى التصنيع اصبح لدى المؤسسة الآن نحو ٢٠٠٠ تلميذ يقطنون في بونديشيري.

وفي جوار بركة ماء تحف بها ازهار الزنبق في الباحة الداخلية للمعهد يرقد جثمانا سري اوروبندو و"الام" في ضريحين يزدانان ابداً بالزهر.

ومن أفخم الاحتفالات في المدينة العيد الهندي "ماسي ماغام" الذي يحتفل به في فبراير (شباط) او مارس (آذار) يوم اكتمال البدر. وفي يوم اليُمن هذا تتدفق مسيرات بألبسة زاهية في شوارع المدينة السوداء وتنشد الجماهير المحتشدة وتغني وترفع اكاليل الزهر. وفي عشية الرابع عشر من يوليو (تموز) يحتفل البونديشيريون الفرنسيون بذكرى سقوط الباستيل في مسيرة تطوف شوارع المدينة البيضاء وتلوح بالاعلام الفرنسية على انغام الموسيقى العسكرية.

وليست ذكرى سقوط الباستيل بالنسبة الى بعضهم سوى مناسبة للمرح. لكنها بالنسبة الى آخرين مناسبة لاستعادة ذكريات حميمة لامجاد اليوم الذي ارتفعت فيه الراية الزرقاء والبيضاء والحمراء فوق المدينة ذلك لان جزءاً من قلب بونديشيري سيبقى أبداً فرنسياً.

في اواخر السبعينات جرت محاولات لدمج بونديشيري بالولاية المجاورة تاميل نادو، فاحتج اهل المدينة بشدة مفضلين التعامل مباشرة مع دلهي. لقد كانوا يدركون اكثر من سواهم ان بونديشيري مكان فريد في العالم.

■ هيو وكولين غانزر

شكراً للحلاق

رفض موظف التسجيل في الجامعة صورتي الفوتوغرافية بحجة ان وجهي الحقيقي يعلوه شاربان وشعري ينسدل على كتفي، وطلب صورة اخرى لاكمال تسجيلي.

ولما عدت بعد ثلاثين دقيقة، قبل الموظف الصورة القديمة للحال. ذلك اني صرفت الوقت عند حلاق.

ب.ر.

الجميل عند بالمان

قال مصمم الازياء الفرنسي بيار بالمان:

"ما يهمني هو المرأة وليس الرداء. فأنا لا احب سماع احد يقول: "مساء امس شاهدت ثوبك الجديد على السيدة فلانة، وكان رائعا. لكني اود سماع التعليق الآتي: مساء امس شاهدت السيدة فلانة، وهي كانت رائعة. لقد كانت ترتدي ثوبك الجديد."

رفيق محب علـّم الصبي
الاصمّ ان القلب يسمع اجمل الاصوات .

مُعَاق يُصْبِح بَطلاً

ن

نظرت بيتي بولاسكي من نافذة مطبخها لترى ابنها دوني ذا السنوات الست مع مجموعة من الصبيان الأكبر سناً. ورقص قلبها فرحاً لظنها أن ابنها وجد أخيراً أصدقاء يركن إليهم. وخرجت بيتي لتنظر الى اولئك الفتية عن كثب. ولكن ما كادت ان تقترب منهم حتى تجمدت أوصالها. فهم كانوا يضحكون بأصوات خشنة ويتقاذفون دوني كالكرة ساخرين من اضطراب لسانه. وفروا إذ دنت بيتي منهم. أما هي فأخذت دوني بين ذراعيها. ورفع نحوها عينين عسليتين يشعان فرحاً وسألها: "أتظنين يا امي أنهم سيعودون كي نلعب معاً؟"

ولم يعرف دوني أن اولئك الصبية كانوا يهزأون منه. وهو كان يعاني صمماً شبه تام رافقه منذ الولادة. ولما بلغ من العمر سنتين ونصف سنة ركبت له آلة سمع أعانته على التقاط الأصوات ومكنته من محاكاة الكلمات التي يسمعها. ولكن كان عسيراً على غير أفراد العائلة أن يفقهوا ما يقول. ومن هنا واجه دوني خبرة قاسية في مدرسته الابتدائية في دايتون (ولاية مساتشوستس) تحملها وحده. وطالما سمع أولاد صفه يقولون: "إنه أبله" أو "إنه يصدر أصواتاً غريبة وهو يتكلم."

ووجد دوني نفسه في البيت ملاذه الوحيد. وقطع أبوه عهداً على نفسه بأن يبتكر طريقة لكسر عزلة ابنه. وتعاون الاثنان على إقامة حظيرة صغيرة وضعا فيها ثلاث أبقار ومجموعة من الدجاج اشترك دوني في تربيتها. وذات امسية شتوية جلس دوني وأبوه أمام التلفزيون يراقبان فريق "دببة بوسطن" وهو يلعب الهوكي. ولكم ارتفعت معنويات الفتى عندما وجد ليلة عيد الميلاد مزلاجين للهوكي تحت الشجرة المزينة. وأمضى ساعات في التدرب يومياً على حلبة بناها والده في ساحة البيت الخلفية. وقال لوالديه: "إذا تدربت حسناً الى حد إتقان التزلج فربما قبلني الآخرون."

انكفاء على الذات – في تلك الأثناء بذل دوني جهده لتحسين نطقه مفيداً من قراءة الشفاه. وأخذه أبوه الى بلدة تونتون القريبة حيث انضم الى نادي الهوكي المحلي للأحداث. وكان بلغ الثانية عشرة واكتسب قوة جسدية لائقة، فسخر جميع المهارات التي كونها على الحلبة الخاصة التي أقامها والده. وأخذ يشعر بالانتماء الى عالمه. ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى مني بضربتين، اولاهما عدم قبوله في فريق الهوكي التابع للمدرسة الثانوية والاخرى وفاة أبيه.

وفي الأسابيع اللاحقة بات دوني اكثر انكفاء على نفسه. وذات صباح سألته امه هل سيأخذ إحدى الفتيات الى الحفلة المدرسية الراقصة، فأجاب: "آه، الفتيات... إنهن يهربن مني قبل أن يتسنى لي التعبير عن موقفي." ونظر إليها والألم ظاهر في عينيه وأضاف: "لنقر بالحقيقة يا امي: إني لا أنتمي الى أي مكان."

ومن حسن حظ دوني بولاسكي أن

هناك فتى آخر واجه يوماً عزلة شبيهة بعزلته. وكان اسم ذلك الفتى ستان ميكيتا. وهو غادر تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٨ عندما كان في الثامنة ليعيش مع عمه في اونتاريو الكندية.

إلا أن ستان لم يتكلم أو يفهم أي كلمة انكليزية. وخلال شتائه الكندي الأول راح يراقب الأحداث وهم يلعبون الهوكي على الطرق مستخدمين حجرين من الآجر هدفاً لهم. وما لبث أحد الفتية الكبار في المجموعة أن أشار إليه بيده وسلمه عصا الهوكي شارحاً له بعض مبادىء اللعبة.

وأمضى ستان أسابيع يتلقن مبادىء الهوكي بعد الانصراف من المدرسة، وهي كانت كافية لتعريفه بمبادىء اللعبة. وراح بعد ذلك يحسن لغته الانكليزية. وللمرة الاولى بعد مغادرته مسقط رأسه شعر بالانتماء.

مدرسة خاصة ـ مع بلوغ ستان الثامنة عشرة بات عضواً في الهوكي للمبتدئين في بلدة سانت كاترين اونتاريو. وفي العام ١٩٥٩ انضم الى فريق الصقور السود في شيكاغو وأخذ يسجل انتصاراً تلو انتصار حتى غدا بطلا يعتز به فريقه.

وفي العام ١٩٧٣ أخبره أحد أصدقائه، وهو من أنصار الهوكي المتحمسين، بحلمه في تأسيس مدرسة مختصة بتعليم الهوكي لذوي العاهات السمعية. وكان لذلك الصديق، ايرف تياهنيبيك، ابن أصم. ولدى تذكره مشكلة الانتماء التي واجهها في حداثته وافق ستان على تعليم الهوكي في المدرسة التي كان ايرف مزمعاً على تأسيسها. وقر رأي الاثنين على الاكتفاء بخمسة وعشرين تلميذاً وتدريبهم اسبوعاً واحداً في السنة على حلبة في إحدى ضواحي شيكاغو.

وافتتحت مدرسة ستان ميكيتا لتعليم الهوكي لذوي العاهات السمعية في شيكاغو في أواسط يونيو (حزيران) بعد بدء العطلة الصيفية. وفي سنتها الثانية عام ١٩٧٥ كان دوني بولاسكي في عداد تلاميذها.

وما أن تعرف ستان ميكيتا على دوني حتى اكتشف إحدى مشكلاته. فعندما ناداه الحكم للانسحاب من اللعبة لمخالفته إحدى القواعد رمى دوني عصاه بنزق على الجليد. وللحال هرع ميكيتا الى الحلبة وخاطب دوني بلهجة الناصح: "لا يجوز أن تدع حدة طبعك تتغلب عليك يا دوني، وإلا واجهت الخسارة في الهوكي وفي الحياة معاً."

وقاده الى مكان احتجاز المخالفين وهو يضع يده على كتفه المرتعشة وتابع: "لقد كنت يوماً مثلك سريعاً الى الغضب. ولكن تذكر أن الانجاز الجماعي يفوق الانجاز الفردي."

وفي اللعبة الثانية قبض دوني على قرص المطاط وهم بالتزلج لادخاله مرمى الفريق الآخر. وفي تلك اللحظة شاهد زميلا أقرب الى المرمى فوجه اليه القرص. وتمكن الزميل من قذفه داخل الشبكة. وغمر دوني شعور بالرضا العميق وهو يقرأ الفرح في وجه رفيقه.

وفي نهاية ذلك الاسبوع قطع دوني

شوطاً بعيداً في السيطرة على طبعه وفي إجادة التزلج. وكون حساً بما يخالج الزملاء من افكار خلال اللعب مما اعانه على مساعدة الفريق في تسجيل انتصاراته. وكان للنصيحة التي اسداها إليه ستان ميكيتا أثرها الأول في النقاط التي سجلها دوني لفريق المدرسة الثانوية الزراعية التابعة لمحافظة بريستول في مباراته ضد فريق دايتون وهي مدرسته الاولى. وبعدما كان فريق دايتون متفوقاً بنسبة ٣ - ٢ جاءت ضربة دوني الأخيرة لتحقق التعادل.

صبر ومحبة - الثقة التي اكتسبها دوني بنفسه أنسته "العاهة" التي يشكو منها. وسرعان ما بدأ لاعبو الهوكي الأحداث يقصدونه لكي يلعب وإياهم. ولكم سمع واحداً أو آخر يقول: "آه يا دوني، ليتك تعلمني تلك الحيلة التي لقنك إياها استاذك في شيكاغو." أما دوني فكان يحقق رغبات زملائه بصبر ومحبة.

وكلما سمع عن تلميذ يواجه صعوبة في التعلم كان يذهب مع زميل من الفريق الى منزل التلميذ حيث يساعدانه في دروسه. ويقول دوني تفسيراً لذلك: "لقد ساعدني أحدهم... فلماذا أحجب المساعدة عن سواي؟"

إن تلك المساعدات التي قدمها دوني الى الآخرين قوت ثقته بنفسه. وذلك أعانه على الجرأة في كلامه مع الجنس الآخر وباتت الفتيات يقبلن دعواته. والأهم من هذا انه صمم على الالتحاق بالجامعة ودخل معهد روشستر للتكنولوجيا في نيويورك لدراسة علم المختبرات الطبية.

وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٠، بعد انقضاء خمس سنوات على الدورة التي تابعها في مدرسة ستان ميكيتا، طار دوني الى مدينة فانكوفر الكندية كعضو في منتخب المدرسة الرياضي لتمثيل الهوكي الامريكية لذوي العاهات السمعية في مباراتها ضد فريق الهوكي الكندي الذي يتألف أعضاؤه من ذوي عاهات سمعية ايضاً لكنهم اكبر سناً.

ووقف الجمهور لدى عزف النشيدين الوطنيين الكندي والامريكي. ومع إعلان اسم كل لاعب كان هذا يأتي الى وسط الحلبة متزلجاً. وخفق قلب دونالد بولاسكي لدى سماع اسمه والتصفيق الذي رافقه.

واستطاع الفريق الامريكي بفضل دوني الفوز في الجولات الثلاث الاولى من المباراة. وجاءت الرابعة غير منقوصة لمصلحته بفضل دوني وحده، فسجل انتصاراً ساحقاً لفريق الولايات المتحدة.

وفي الاحتفال الأخير الذي تلا المباراة حمل رئيس الفريق الأمريكي كأس النصر عالياً وتبعه اللاعبون وهم يتزلجون بفخر حول الحلبة. وعانق الأمريكيون الكنديين ودعوهم للانضمام إليهم في التزلج.

ووجد دوني بولاسكي صعوبة في التزلج في تلك اللحظات. فقد ملأ الدمع عينيه وانتابه إحساس لم يعرفه من قبل بأنه جزء من واقع عظيم. وبعد ذلك لم يشعر أنه غريب.

■ ريتشارد شنايدر

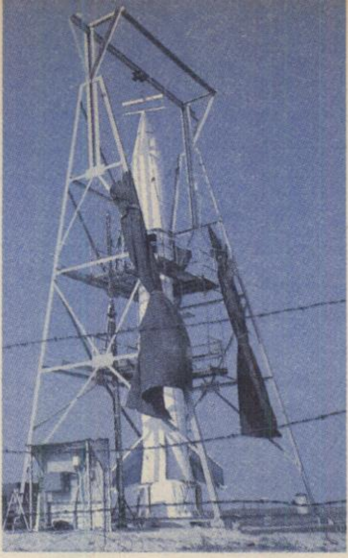

التجَّارُ يغـُزون الفضَـاء

في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٢ اطلق اول جرم اصطناعي امريكي خاص، فكان تحقيقاً اولياً لاحلام تجارية قد تتوصل الى التعدين والزراعة واقامة المستعمرات في الفضاء الخارجي

آمن ديفيد حنا بأن الله قدر له ان يطلق اول جرم فضائي امريكي خاص. وجاءه الحافز من اعماق كيانه، وهو يقول: "سأفعل ما شاء لي الله أن أفعل. لكني لا اعرف ما اذا كتب لي الله النجاح."

انه السادس من سبتمبر (ايلول) ١٩٨٢ اي قبل الاطلاق بيومين. فالثامن من ذلك الشهر كان موعد اطلاق الصاروخ "كونيستوغا - ١" من قاعدته في جزيرة ماتاغوردا (ولاية تكساس)، وكان مقرراً ان يبلغ ارتفاع ٣٠٩ كيلومترات فوق سطح الارض، وهذا يتجاوز بمقادر ثمانين كيلومتراً ما تعتبره وكالة الفضاء الامريكية الوطنية حدود الفضاء الخارجي. هناك يخضع الجرم لتجارب تحضيرية لحقنه بالوقود في مداره قبل ان يعود هابطاً الى خليج المكسيك.

ويعتبر "كونيستوغا - ١" بدائياً قياساً على المعايير الحالية المعتمدة في وكالة الفضاء الامريكية. فهو صاروخ اختبار شبه مداري وغير مأهول يبرز في عصر المكوك الفضائي. لكن شركة "الخدمات الفضائية" ليست وكالة الفضاء الامريكية، ولم تكن الغاية من اطلاق "كونيستوغا - ١" تحقيق اي تقدم علمي في مجال الاقمار الاصطناعية، بل مجرد المطالبة بحق المبادرة

Condensed from Texas Monthly (November '82). (c) 1982 by Texas Monthly, Inc., Austin, Texas.
Photo: Laurie Erskine Williams / Texas Monthly

الفردية في الفضاء الخارجي. فاذا حقق احد الناس ربحاً - وان زهيداً - في الفضاء الخارجي، فسوف تغدو معظم الصواريخ التي ستنطلق من سطح كوكبنا في المستقبل ذاهبة ليس في رحلات استكشاف فحسب، بل في سعي لاقتناص الربح المادي. هذا ما يرجوه انصار المشروع.

رعشة خيالية - غادر ديفيد حنا وزوجته كاثرين جزيرة ماتاغوردا متوجهين بسيارتهما جنوباً نحو روكبورت وهي قرية صيد صغيرة على خليج ارانساس. ففي ذلك الصيف اتخذت شركة الخدمات الفضائية مقراً في الجزيرة. وكان النصف الجنوبي من الجزيرة مزرعة طولها ٤٢ كيلومتراً يملكها الثري ورجل الاعمال تودي لي واين الذي تجاوز الثمانين، وهو مؤسس شركة النفط الامريكية "ليبرتي" واول المساهمين في شركة "الخدمات الفضائية". وكان واين بين ٥٧ شخصاً دعموا الشركة. وقد دفع كل من هؤلاء ما لا يقل عن ٢٥ الف دولار مستفيداً من حسومات ضرائبية على الاموال التي تنفق في سبيل الابحاث العلمية. وكان الشركاء يرجون ان يصيب احفادهم ذات يوم ثروات هي بمثابة عائدات لارباح منجم فضائي. ومع انهم رأوا في مشروع حنا بدعة تثير الفضول وتداعب الميل الى التسلية فقد كان واضحاً كذلك انهم يثقون بالرجل. وقال تودي لي واين: "انا لا أراهن على الحصان، بل على الفارس."

وكان حنا واحداً من المشاركين في المشروع من غير اي تمييز. فهو خريج جامعة رايس (هيوستن، تكساس) ومنخرط معهم في الاعمال التجارية والاوساط الاجتماعية ومجالس الادارة نفسها. انه مليونير في الستين يعمل في استصلاح الاراضي في مدينة هيوستن وصديق لجورج بوش نائب رئيس الولايات المتحدة. وهو جدّ مولع بأحفاده.

ديفيد حنا.

وجاءته تلك الرعشة الفضائية.

واذ اقترب آل حنا من روكبورت لاحظوا ضباباً خفيفاً يغطي الافق. والطقس عنصر جوهري في العملية، فادارة الطيران الاتحادية توجب ان يكون مدى الرؤية ثمانية كيلومترات على الاقل لاعتبار اطلاق اي جرم فضائي قانونياً، اذ انها لا تريد ان يصيب احد الصواريخ طائرة عابرة. وقد منحت الادارة المذكورة شركة الخدمات الفضائية "فرصة اطلاق" لمدة يومين بين ٨ و٩ سبتمبر (ايلول). واي تأجيل لهذا الموعد يجب ان يخضع لمفاوضات، وكان الوقت قريباً من موسم هبوب الزوابع. وتذكر ديفيد حنا الصاروخ

Photo: (c) Fred Winchell / Space Services, Inc., of America

"برشيرون" الذي اطلق في الصيف السابق ولقي نهاية فاجعة.

في شهر فبراير (شباط) ١٩٧٦ قرأ ديفيد حنا في مجلة "سميثسونيان" مقالا تناول انشاء مستوطنات مدارية دائمة ومكتفية ذاتياً بين الارض والقمر. انه عالم جديد خيالي متحرر من العوز يستمد الطاقة من الشمس ويحصد الغلال من مزروعات ينميها في التراب القمري الخصب.

حوّل ذلك المقال حياة حنا. فمنذ تلك اللحظة ادرك انه يرغب في الانخراط في اعمال الفضاء. ولم تكن هذه النزعة منطقية بالنسبة الى رجل في السابعة والخمسين تخصص باستصلاح الاراضي، لكن حنا كان بفطرته يهوى الاستقصاء ولا يعرف معنى للاستقرار.

وهو يقول: "حين قرأت ذلك المقال ادركت اننا لن نستطيع تأمين حاجات شعبنا بالاسلوب الذي نتبعه الآن. فما زلنا نفكر في العيش مما تيسر لنا. لكني اعتقد ان على الانسان ان يتوسع ويلج مناطق جديدة."

وهكذا أخذ حنا على عاتقه مهمة احياء الاهتمام بالفضاء. وفي العام ١٩٧٩ أصبح اول رئيس لـ"مؤسسة الفضاء" التي كانت تهدف الى جمع رجال الاعمال المهتمين بالفضاء مع ممولين لارصاد المبالغ الكافية للبحث العلمي المجرد الذي تضاءل نتيجة لخفض موازنات وكالة الفضاء الامريكية. وفي ديسمبر (كانون الاول) أقام حنا مأدبة لاجتذاب المتبرعين واستقدم غاري هدسون ليصور شريطاً عنها. وكان هذا في التاسعة والعشرين من العمر، وهو عبقري فذ لا يستقر على حال ويمارس اعمالا تتناول بعض نواحي الصناعة الفضائية من استشارات ومحاضرات وكتابة. غير ان الفكرة التي استحوذت على تفكيره كانت الانطلاق فعلا الى الفضاء.

صاروخ فجَّره الندى - اقترح هدسون على حنا ان يتخلى عن اغراء شركات اخرى بالمساهمة في الشؤون الفضائية ويشرع في صنع جهاز لاطلاق قمر اصطناعي خاص يبز بكلفته المنخفضة المكوك الذي صممته وكالة الفضاء الامريكية. وبدلا من اطلاق قمر اصطناعي باهظ الكلفة الى ارتفاع ٣٥ الف كيلومتر ووضعه في مدار متزامن مع دوران الارض بحيث يبقى دائماً فوق نقطة واحدة على غرار اقمار الاتصالات، يطلق قمراً اقل كلفة يبلغ وزنه ٢٣٠ كيلوغراماً الى ارتفاع ٨٠٠ كيلومتر فقط حيث يدخل مداراً استوائياً او قطبياً. وقد تجد مؤسسات تجارية عدة في مثل هذا القمر الاصطناعي مشروعاً معقولا من جهة كلفته يزودها بمعلومات قيمة كل ١٢ ساعة او نحو ذلك. وان شركة نفط تملك بئراً في غابات الأمازون، مثلا، يمكنها ان تقيم محطة ارسال فوق البئر تبث لها بيانات عن انتاج البئر كلما مر القمر الاصطناعي فوقها.

وفي وسع المكوك الفضائي الخاص بوكالة الفضاء الامريكية ان يضع مثل هذه الاقمار الاصطناعية في مداراتها، ولكن قد يكون على الشركة

المهتمة الانتظار سنوات قبل ان يتاح لها ان تضع قمرها الاصطناعي في المدار الذي يناسبها، بل انها قد لا توفق الى هذا ابداً. اما شركة حنا فيمكنها ان تعد شركة ما بتلبية رغبتها في موعد الاطلاق وفي المدار الذي تختاره. وما ان تحصل الشركة على موطىء قدم لها في الفضاء حتى ينفتح لها مجال بلا حدود: التعدين على سطح القمر، مختبرات بيولوجية مدارية، انشاءات عقارية على الكواكب، وسوى ذلك.

بدت فكرة هدسون الحماسية معقولة لحنا فطلب منه ان يصمم مركبة اطلاق تجريبية. وبعد بضعة اشهر أنجز هدسون تصميم "برشيرون" وهو صاروخ يستمد قوته من الوقود السائل ويمكن استخدامه غير مرة. وعلى اساس هذا التصميم اجتذب حنا اول الممولين وتوافر لدى هدسون ٢٠٠ الف دولار هي الدفعة الاولى من اقساط بلغت في مجموعها ١،٢ مليون دولار وكانت بداية مهمة خيالية. ولم يثبط من عزم هدسون انه لم يصنع صاروخاً من قبل. فاستأجر مخزناً في كاليفورنيا واستخدم ٢٠ شخصاً من المولعين برحلات الفضاء، وبعد انقضاء سبعة أشهر اكمل صنع صاروخ.

بلغ طول "برشيرون" ١٧ متراً، وكان يعمل بالوقود السائل على غرار المكوك الفضائي و"ساتورن - ٥". وفي منتصف اغسطس (آب) ١٩٨١ انتصب على منصة الاطلاق في ماتاغوردا. وكانت طريقة اطلاقه بسيطة جداً. فقبيل الاقلاع تفتح صمامات في خزاني الاوكسيجين السائل والكيروسين، وحين يمتزج السائلان بنسبة معينة يشتعل المزيج وينطلق الصاروخ.

لكن الامور لم تجرِ على هذا النحو. فقد انفجر "برشيرون" على منصته اثناء تجربة محركه قبل موعد اطلاقه باسبوع. وكشفت التحقيقات ان الندى تكثف وتجمد على صمام الاوكسيجين (★) ولذا لم يخرج السائل عبر الصمام لدى فتحه. وفي الوقت نفسه اشتعل الكيروسين في غرفة الاحتراق فأذاب اللهب الجليد المتجمع على الصمام ووصل الى الاوكسيجين ففجر الصاروخ وحوله كتلة هائلة من اللهب.

وكان ديفيد حنا جالسا في مكتبه العقاري في هيوستن عندما تلقى مخابرة هاتفية تبلغه بما حدث. وهو قال في ما بعد: "كانت تلك صدمة اليمة، بل خيبة امل حقيقية." غير انه اصر على مواصلة العمل لصنع الصاروخ "كونيستوغا - ١".

تجربة العصفور الابيض - كان "كونيستوغا - ١" اقصر من "برشيرون" التاعس بخمسة امتار ونصف متر، الا انه كان اكثر تطوراً ومكتظاً بأجهزة القياس اللاسلكية ومنصات التوجيه وجهاز تحديد المراحل وجهاز تفجير لاسلكي يدمره باشارة من الارض اذا انحرف عن مساره الصحيح او هدد بالسقوط في مكان آهل. وكان فيه كذلك شبه قمر

(★) تبلغ حرارة الاوكسيجين السائل ١٨٥ درجة مئوية تحت الصفر.

اصطناعي يحوي ١٥٠ ليتراً من الماء ويطلق حين يبلغ الصاروخ اعلى نقطة في مداره فيترك وراءه ذيلا من الرذاذ المتجمد تمكن مشاهدته من الارض.

وحين وصل حنا وزوجته الى روكبورت قبل يومين من موعد الاطلاق كان الصاروخ الجديد منتصباً فوق منصته وقد اكتمل بناؤه. وكان حقل من زهر دوار الشمس يحيط بالمنصة والسنونو تحوم فوقه باطمئنان. وكان "كونيستوغا - ١" مطلياً باللون الابيض من مسرب الغاز في اسفله الى رأسه المخروطي وله اربع زعانف زرقاء لحفظ توازنه.

لقد افترق غاري هدسون وحنا بعد كارثة "برشيرون"، لكن المموليـن ظلوا اوفياء في التزامهم المشروع. وكان الفريق الذي استخدمه حنا لبناء "كونيستوغا - ١" اوفر خبرة من سابقه ويتألف من ٤٠ شخصاً ينتمون الى ثلاث شركات تعمل في حقل الانشاءات. وعهد في الاطلاق الفعلي الى شركة "سبايس فكتور" في كاليفورنيا التي تتولى عادة اطلاق مركبات شبه مدارية لحساب الحكومة الامريكية. اما اجهزة القياس اللاسلكية والرادار فتعهدتها شركة المانية غربية، وتولت شركة "ايغل" للهندسة الاشراف العام على المشروع. وهي تضم في معظمها موظفين متقاعدين من وكالة الفضاء الامريكية.

واشار رجال "ايغل" على حنا بامكان الحصول على جهاز دفع من طراز "مينوتمان" من مخلفات وكالة الفضاء الامريكية. ففي اواسط الستينات بدأت صواريخ "مينوتمان - ١" تخرج من الخدمة وبقي لدى سلاح الجو الامريكي ووكالة الفضاء عدد من الطبقات الثانية لهذا الصاروخ العابر للقارات.

وكلف حنا وسيطه المسؤول عن العلاقات السياسية في واشنطن تشارلي تشافر بملاحقة هذه المسألة. واخيراً قدمت الوكالة لشركة الخدمات الفضائية جهاز دفع من طراز "مينوتمان" في مقابل ٣٦٥ الف دولار وهو الثمن الذي كان سلاح الجو يدفعه قبل ٢٠ سنة.

دقيقة صمت - في السابع من سبتمبر (ايلول) حضر نحو ٤٠٠ صحافي الى ماتاغوردا حيث دعوا الى مأدبة فاخرة اقيمت تحت سرادق كبير.

وعكف فريق العمل على التأهب للعد العكسي لاطلاق الصاروخ في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي.

لكن الطقس عاد يثير القلق، فقد تمركزت منطقة من الضغط المنخفض فوق الخليج واخذت السماء تنذر بالاحتجاب اياماً خلف غيوم كثيفة مما يوجب ارجاء موعد الاطلاق.

واستيقظ حنا في الرابعة الا ربعاً من صباح ٩ سبتمبر (ايلول) فرأى النجوم والقمر. وأوحى له هذا بأن الخالق راغب في اعطائه فرصة لاطلاق صاروخه. ومرت الساعات سراعاً واقترب موعد الاطلاق.

الا ان اخباراً مزعجةكانت تنتظر حنا. فقد توفي تودي لي واين تلك الليلة بسكتة قلبية. وكان الشعور العام حول منصة الاطلاق يتسم

بالنقمة اكثر من الاسى· فان وفاة اول ممولي شركة الخدمات الفضائية قبل ساعات من موعد الرحلة اضفى عليها طابع شؤم·

وتعالى عبر المذياع صوت نسائي رابط الجأش: "هنا مركز المراقبة والتوجيه· الوقت ٣٧ دقيقة قبل الاطلاق والعد جار· لقد قرر فريق العمل اهداء هذا الاطلاق الى تودي لي واين، فالرجاء من الحضور ان يقفوا دقيقة صمت اجلالا لذكراه·"

كان ذلك صوت سالي تشافر زوجة تشارلي وكانت تتكلم من مقطورة تعج بالاجهزة الالكترونية· وفي جوار المقطورة كان ديفيد وكاترين حنا جالسين يتحدثان بهدوء· ولكن قبل دقيقة من موعد الاطلاق توترت اعصاب ديفيد قليلا فشبك ذراعيه فوق صدره وقبع منتظراً·

بدأت سالي العد النهائي للثواني العشر الاخيرة وفي صوتها نبرة راعشة· وعندما وصلت الى الخمسة غلبها الاعياء· وفي اللحظة الصفر تحرك "كونيستوغا - ١"· وقالت سالي وقد هدأ صوتها: "لقد تم الاشتعال وها هو كونيستوغا - ١ اول صاروخ تطلقه مبادرة حرة في الولايات المتحدة ينطلق في سبيله·"

تجاوز الصاروخ الأفق وظل بادياً للعيان قرابة ٣٠ ثانية ثم توارى في الجو·

واعلنت سالي: "كونيستوغا - ١ هو الآن في··· في الفضاء!"

وفي الاعالي فوق رؤوس المشاهدين وخارج مدى البصر انطلق الصاروخ في سكون تام· واشتعل جهاز الدفع الذي قدمته وكالة الفضاء مدة ٦٠ ثانية ثم تولى جهازا التوجيه تحويل المركبة نحو الخليج· اما "كونيستوغا - ١" فبلغ نهاية رحلته عند نقطة ترتفع ٣٠٩ كيلومترات بعد ٣٠٩ ثوان من اطلاقه، وارسلت اشارة اخيرة فجرت عبوة ناسفة مزقت الجزء المشحون منه واطلقت ١٥٠ ليتراً من الماء تحولت ذيلا طويلا من الرذاذ المتجمد·

ان احداً من الناس لم يرَ هذا المشهد لأن الشمس كانت مرتفعة في السماء· وصاح تشارلي: "فلتحي المبادرة الحرة!"

وابتهج ديفيد حنا بنجاحه وهو الآن عاكف على خططه المستقبلية· انه يعتزم تحقيق اطلاق مداري بحلول العام ١٩٨٤، كما يأمل ان يتوصل عام ١٩٨٦ الى اطلاق ١٢ قمراً اصطناعياً كل سنة· وبعد ٢٠ او ٣٠ سنة قد يرسَل رجل آلي (ربوط) من انتاج شركة الخدمات الفضائية للتعدين في الكواكب الصغيرة ويشرع ورثة حنا في بيع مواقع للبناء في المستوطنات الفضائية·

■ **ستيفن هاريغان**

التراب يبقي الشجرة معلقة به في مقابل خدمته لها· أما السماء فلا تطلب منها شيئاً، بل تمنحها الحرية·

رابندرانات طاغور، شاعر هندي

رنين الأمل

في غرفة الطوارىء في مركز مكافحة الانتحار رُفع مكبر الصوت في الهاتف وجاء صوت الشاب عبره متقطعاً ... ترى ايصمد حتى بلوغ النجدة؟

"لقد ذهبت واخذت الطفل معها. ولا يمكنني أن أعيش في غيابهما... ها هو الغاز يسيل، لكني خائف من الموت وحيداً. فهل تبقين على الخط وتتكلمين لكي أموت بسلام؟"

لم يدر في خلدي وأنا أرتدي ثيابي استعداداً للالتحاق بمكتب مكافحة الانتحار أن على خط الطوارىء مأساة واقعية. وكنت أنهيت فترة التدريب عبر برنامج مكثف دام ستة اسابيع على ان تكون تلك الامسية امتحاناً نهائياً تنجز فيه مهمات محددة خلال أربع ساعات. وكان تدريبنا جرى على حالات تعليمية ومواقف ابتكرت لتلك الغاية. اما الآن فقد انتابني الاضطراب، علماً ان كل مخابرة تحمل مأساة كائن بشري يواجه الموت.

وبلغتُ المكتب قبل ربع ساعة من الموعد المحدد سابقة سائر الزميلات والزملاء. وقادني شعور غريب الى غرفة الطوارىء حيث كانت نانسي تتكلم بهدوء ورباطة جأش.

غير ان حركة كتفيها انذرتني بخطورة الأمر.

وعلى رغم ان معظم الذين يخابرون مراكز مكافحة الانتحار يفعلون ذلك في مراحل لا يحفها الخطر الكبير، فان اصواتهم تنم عن نداءات استغاثة قوية. وكلما رن هاتف الطوارئ توقعنا ان يكون على الخط الآخر شخص تناول كمية قاتلة من العقاقير او فتح مجرى الغاز ليقضي اختناقاً كما كانت الحال تلك الامسية.

وتابعت نانسي: "أخبرني اكثر عن مشكلتك: هل سبق ان تشاجرتما قبل ذلك اليوم؟ وبالمناسبة، ما اسمك؟ انا اسمي نانسي."

– اسمي جيم.

"حسناً يا جيم... هل تشاجرتما قبل الآن؟"

– ليس كهذه المرة. وهي قالت انها ذاهبة الى بيت امها لتبقى أياماً تفكر خلالها في الامر. لكني واثق من انها لن تعود البتة.

دوافع مختلفة – ترى ما الذي يدفع أياً منا الى التطوع في مؤسسة لمكافحة الانتحار؟ لا شك في ان هناك اسباباً عدة. لكني لاحظت خلال فترة تدربي ان ثمة عنصراً مشتركاً بين جميع المتطوعين وهو اختبارهم نوعاً من المأساة الشخصية. فهناك زميل اسمه ليونارد انضم الى المركز بعد إقدام أخيه على الانتحار وجاء آخرون في المرحلة الاخيرة من داء عضال. وثمة اناس مثلي فقدوا طفلا كان تعلقهم به شديداً.

وعاد جيم يقول: "نانسي، لا ادري لماذا خابرتُ المركز. ومن الحماقة ان أُبقيك على الخط فأنت مشغولة. من الافضل ان اضع السماعة."

– كلا، لا تفعل. فأنا لست منهمكة كما تظن والجو هادئ هنا هذا المساء. دعنا نتحدث اكثر وأخبرني عن طفلك، أليس فاتناً؟

في تلك الاثناء وصل عدد آخر من المتدربين. وكان اثنان من المسؤولين يذرعان الغرفة وقد كتب احدهما اقتراحاً على ورقة وضعها أمام نانسي.

وجاء صوت جيم من جديد: "اني احس حريقاً في عيني يا نانسي وانقباضاً في عضلات معدتي. ويبدو لي ان النهاية وشيكة."

– لا اظن يا جيم ان حالك ميؤوس منها الى هذا الحد. واذا كانت زوجتك... اسمها سالي؟... اذا كانت سالي قالت انها ستفكر في الامر بضعة ايام، فهي قد تعود. إذاً لماذا لا تنتظر يوماً او اثنين ريثما تحل المسألة؟ اتود ان ارسل عوناً اليك؟

"كلا، لا فائدة من هذا. فهي لن تعود البتة."

ويُسمع صوت بكاء جيم الخفيف ثم يقول: "لا استطيع العيش في غيابها وغياب الطفل."

فجأة يأتي صوت ضربة كما لو كان الهاتف وقع ارضاً. وتضطرب قلوبنا جميعاً خوفاً من ان يكون جيم فقد السيطرة.

وتقول نانسي: "جيم، اما زلت هناك يا جيم؟"

Condensed from «No Greater Love,» copyright (c) 1982 by Deseret Book Co., published by Deseret Book Co., Salt Lake City, Utah.

وبعد دقيقتين او ثلاث من الصمت الثقيل يعود صوت جيم: "نانسي؟ لقد ذهبت لالقاء نظرة على صورة طفلي."

وبدت كلماته اقل وضوحاً وصوته ضعيفاً. واذا كانت النجدة سترسل اليه، فيجب ان تصل في وقت سريع جداً.

غشاوة على المنطق - العديد منا لم يراجع أفكاره حول الانتحار واولئك المعرضين للاقدام عليه. والحق ان هذا النوع من اليأس لا تعترضه حواجز المال والسن والجنس والثقافة. فليس هناك اي فئة من الناس لديها مناعة اكيدة ضد الصدمات النفسية الوقتية التي تسدل غشاوة على المنطق.

وسمعنا طَرقاً قطع الكلام، وسقطت سماعة الهاتف مرة الاخرى. غير ان آمالنا كبرت هذه المرة ظناً ان الزائر سينقذ الوضع.

وما لبث جيم ان استأنف كلامه: "أما زلت على الخط يا نانسي؟ ذلك الطارق على الباب كان صهري. وما ان لمحته من ثقب الباب حتى وضعت المزلاج من غير ان ادعه يعرف بوجودي في الداخل. وهكذا لن يستطيع الدخول. لكني متعب جداً يا نانسي. وأرجوك ان تنتظري قليلا كي اضطجع على الاريكة وامد السماعة الي."

- جيم، لقد ذكرت اسم والد زوجتك في بداية حديثنا. انه اسم طريف، فهلاّ ذكرتني به؟

"اعرف ماذا تقصدين يا نانسي. إلا ان خطتك لن تجدي. ولكن لا بأس من ذكر اسمه إذ انه غير مدرج في دليل الهاتف. انه غريغوري كرايتر وهو شخص لطيف."

وللحال نهض أربعة زملاء لمراجعة دليل الهاتف، فوجدوا ان جيم لم يكذب بالنسبة الى عدم إدراج اسم حميه هناك.

وتذكرت اني سمعت الاسم قبل ذلك اليوم، ولا شك في ان حامليه قلائل. ولكنّ اين سمعت اسم غريغوري كرايتر؟

فجأة حضرني الموقف، إذ ان ابني ذكر هذا الاسم قبل سنوات عندما كان يمثل دوراً في مسرحية محلية. وقال لي آنذاك: "هناك شخص وحيد يأتي الى هذه المسرحية اكثر منك يا امي، وهو غريغوري كرايتر."

وهمستُ في اذن نانسي ان ابني يعرف رجلا بهذا الاسم وقلت لها: "انتظري كي اتحرّى الأمر."

وركضتُ الى هاتف في غرفة مجاورة ومعي شيري احدى المسؤولات في المركز. ورن الهاتف في منزلنا ثلاث مرات قبل ان يجيب ابني ستيف.

وبادرته: "لا تسألني عن اي تفاصيل يا ستيف. ولكن قل لي كيف اتصل بالمدعو غريغوري كرايتر. الديك رقم هاتفه؟"

- كلا يا امي. ولكن هل راجعتِ الدليل؟

وأجبته بعصبية: "فكر يا ستيف، كيف يمكننا بلوغه؟ اني في مركز مكافحة الانتحار... فكر يا حبيبي، فكر."

وبدا الاهتمام في صوت ستيف وهو يقول: "انتظري يا امي، سأخابر احد

أصدقاء غريغوري وأحصل منه على رقمه ثم اعطيك اياه."

نشيج متقطع ـ عدت مع شيري الى غرفة الطوارىء لمتابعة الامر. وسمعنا جيم يقول: "اتظنين يا نانسي ان سالي ستعود غداً او بعد غد؟"

وبات عسيراً فهم ما يقول. وأجهدت نانسي نفسها كي تدرك معنى كلماته. وبتنا كلنا قلقين على حياته بعدما وظف كل منا جزءاً من عواطفه وهو يلاحق المسألة.

وقالت نانسي: "لا يمكنني ان أجزم ما اذا كانت ستأتي. ولكن لماذا لا نحاول؟ الا يعقل ان تكون مخطئاً في رأيك يا جيم؟ ان الموت يدنو منك اكثر فأكثر. لذلك أرجو ان تخبرني اين انت."

ـ لا استطيع التفكير إذ ان رأسي يدور على غير هدى. وربما كنتِ على حق يا نانسي. ولكن ليس في امكاني ان اتذكر اين انا.

"اجل، انك تستطيع ذلك. ما اسم شارعك؟ ما هو العنوان الذي تذكره على رسائلك؟"

ـ لا اتذكر شيئاً من ذلك.

ورن الهاتف الآخر. وقال ستيف بجذل انه لم يجد صديق غريغوري في منزله لكنه وجد صديقاً للصديق اعطاه رقم الهاتف. وسحبت شيري الورقة من يدي واسرعت الى هاتف آخر. وسمعتها تسأل الشخص على الخط الآخر هل ان لديه ابنة اسمها سالي وهل هي زوجة شاب يدعى جيم. وأوضحت شيري انها تتكلم من مركز لمكافحة الانتحار وان ثمة حاجة ملحة الى مساعدة جيم قبل ان يُقضى الأمر.

وما هي إلا دقائق حتى سمعت نانسي طرقاً على باب جيم، قوياً هذه المرة بحيث ترددت اصداؤه في اذنها. وتذكرنا جميعاً ان جيم احكم إقفال بابه بوضع المزلاج.

وقالت نانسي: "جيم، أهناك احد على الباب؟ ربما كان ذلك زوجتك. ربما عادت سالي مع الطفل. انهض يا جيم الى الباب وافتح لهما."

وجاءت كلمات جيم حشرجة متقطعة: "لا... يمكنني... ان... افعل... ذلك."

ثم سمعنا وقع خطى في الداخل وصوتاً ينادي: "أحضر جهاز التنفس حالا."

وبقينا على اعصابنا دقائق بدت طويلة الى ان جاءنا صوت من هناك يقول: "أنا رجل إطفاء. لقد خابرتنا العائلة لموافاة هذا المكان. وجئنا ولم نستطع الدخول. إلا أن صهر صاحب البيت اتى ومعه مفتاح للباب الخلفي. ولما دخلنا كان صاحبنا على وشك الانهيار. وسنحمله حالا الى المستشفى، واظن انه سيعيش."

وضعت نانسي السماعة وغرقت في مقعدها فيما راح اثنا عشر متدرباً واثنان من المسؤولين يمشون باضطراب في محاذاة الجدران وقطع الأثاث.

تلك كانت تجربتنا الاولى في مواجهة الموت. ولقد تغلبنا عليه بعون الله.

■ **كريس ماكاي**

تأمّلات معاصِرة

الوعد الغامض

ان علامة الاستفهام المرتسمة على وجه كل مولود جديد هي تذكرة لنا بما هو الهي في نفوسنا: في عقولنا وادراكنا وبصرنا. وهذه العلامة تتعلق فوق مهد الوليد مثل قوس غمام، وتشير الى تلك الكتلة الضعيفة التي تنطوي على سحر وغموض كبيرين. ففي الرأس الضئيل قبس من عبقرية، على وجه يختصر جمال الكون. والطفل، اذ يغفو، يبدو بريئاً كالثلج الطاهر. ثم يغضب كمن له سلطان، وترتفع من يده قبضة صغيرة تمسك محراثاً او تدير دفة سفينة أو تمنح المرضى الشفاء أو تهز الجموع او تخط طريقاً الى عالم جديد.

ويات كوبر

الصوم الروحي

أحياناً ينقطع الناس اياماً عن مآكل وعادات كان يجب ان ينقطعوا عنها قبل زمن. وهذا الانقطاع تمرين للعضلات الروحية. الا ان ثمة أصواماً روحية يومية تقتضي تضحية أكبر وتسفر عن مكافآت أجل".

لماذا، مثلا، لا نحاول التخلي عن حلاوة الثأر وأطايب الثرثرة ومغذيات الغرور وخبز الكبرياء؟

فيث بالدوين

الجمال صنو القدم

اننا نحب المباني القديمة وقطع الأثاث القديمة والفضيات القديمة والقواميس القديمة والمطبوعات القديمة... لكننا نسينا جمال اولئك الذين تقدمت بهم السنون. وعندي ان تذوق هذا النوع من الجمال ضرورة لحياتنا. ويبدو لي ان الجمال، حتى في البشر، هو صنو القِدم.

لين يوتانغ
(فيلسوف وكاتب صيني)

التبذير في الحب!

كن مبذراً في الحب! فالحب هو الكنز الوحيد الذي يتكاثر بالقسمة. وهو الهدية الوحيدة التي تكبر كلما اخذت منها والتجارة الوحيدة التي تزدهر بالتبذير. لذلك اعطه للآخرين، افرغ جيوبك منه، اطرحه هنا وهناك وفي كل مكان... وستصحو غداً وقد امتلأت حباً كالأول واكثر.

كاتب مجهول

سن النضج

سأل صبي أباه كم يلزمه من الوقت كي ينضج ويفعل ما يشاء. فأجابه الوالد: "لا أدري يا بنيّ! فأن أحداً لم يعمّر ليبلغ تلك المرحلة."

بريان أوكونر

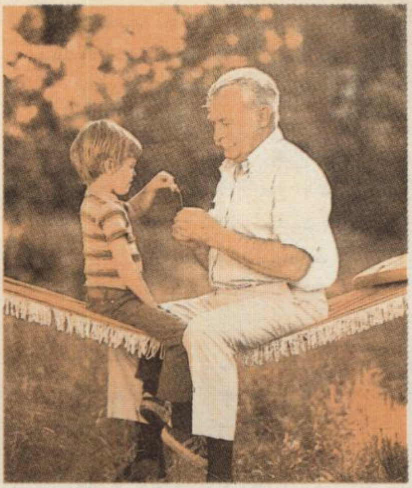

Phoebe Dunn

الجسمُ السّليمُ في العقل السّليمُ

قديماً قيل ان العقل السليم في الجسم السليم. ولئن يصح هذا، فالعكس ايضاً صحيح كما بينت الدراسات الحديثة

كان شعر جيم رمادياً وبشرته متغضنة وهو يمشي كعجوز. وكان يعاني اضطرابات قلبية ومنها مرض حاد في الشريان التاجي. ودهش الناس لدى معرفتهم أن جيم لم يبلغ الاربعين.

وعلى رغم ذكائه الخارق فقد كان عمله متقطعاً. وهو انسان كبير القلب لكن رقة فؤاده لم تحل دون اخفاق زواجه الوحيد. وكانت أحاديثه تنم عن فرح قليل وعن ترقب للنهاية.

ولما قادته مشاكله القلبية الى غرفة العمليات تقبل الأمر برزانة، وتوقع أطباؤه أن يحقق شفاء تاماً. ولكن ما هي الا أيام قلائل حتى ظهر أن قلبه لا يخفق على نحو طبيعي. ونقل على الفور الى غرفة الجراحة فلم يظهر أي عامل يمكن أن يُعد سبباً لذلك الاضطراب. وتوفي جيم على طاولة العمليات قبل يوم واحد من عيد ميلاده الثامن والثلاثين.

وكانت ادارة المستشفى عهدت الى

Condensed from The Washingtonian (November '82). (c) 1982 by Washington Magazine, Inc., Washington, D.C.

الطبيب النفسي الدكتور بروس سمولر في درس قضية جيم. وتبين له من أحاديثه الطويلة مع المريض أن حاله لم تكن طبيعية. ففي حداثته اصيب أبوه، وهو معلم مدرسة، بأزمة قلبية أجبرته على ملازمة البيت للنقاهة. وذات صباح طلب منه جيم أن يساعده في فروضه المدرسية على أن يعود ظهراً ليأخذها. ووعده أبوه بأن يفعل. وعاد جيم عند الظهر ليجد والده ميتاً، وكان في الثامنة والثلاثين.

ويقول الدكتور سمولر: "يبدو أن جيم كون قناعة لازمته طوال أيامه وهي أنه قتل أباه. ففي رأيه أنه لو لم يطلب اليه اعادة النظر في فروضه، لما قضى. وتأكدت من أن حس الذنب هذا يلاحق جيم أينما ذهب. ولم تكن الجراحة التي أجريت له سوى المحاكمة التي انتظرها طوال ثلاثين عاماً." وفي رأي سمولر أن جيم لم يشأ أن يعيش ليبلغ الثامنة والثلاثين.

أحداث الطفولة ـ تجسد هذه الحالة الأثر القوي الذي تتركه المواقف الشخصية في الصحة الجسدية، كما تبين أثر الطفولة في النمو. وعلى رغم أن الامثلة التي بين أيدينا يعوزها الوضوح الذي رأيناه في مَثَل جيم، فان ثمة شاهداً قوياً على أن الاحداث التي يختبرها المرء في طفولته تنضم الى عامل الوراثة ليؤديا الى العلل التي قد تسفر عن وجهها المقيت في منتصف الحياة كالسرطان والامراض القلبية والعقلية.

وان فهم هذه العوامل هو خير طريقة لتفاديها وتخفيف أخطارها عنا وعن أولادنا. ويقول الدكتور بريان شولمان استاذ الطب النفسي المساعد في جامعة جورجتاون في العاصمة الامريكية واشنطن: "من الخطأ أن يبحث المرء عن عامل وحيد للمرض. ولا بد من أن تكون هناك عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية متشابكة."

الدكتورة كارولين توماس استاذة فخرية في كلية الطب التابعة لجامعة جونز هوبكنز، وهي اخذت على عاتقها كشف هذه العوامل. واستهلت دراستها في العام ١٩٤٦، وهي اليوم أطول دراسة مستمرة من نوعها وغايتها كشف الاسباب الاولية للامراض. خصوصاً ما تعلق بالقلب.

واستمدت الدكتورة توماس معلومات وافرة لدراستها من ١٣٣٧ طالب طب في جامعة جونز هوبكنز. وهي معلومات قائمة على الكشف الطبي العام وعلى الأحوال الوراثية والعائلية والاجتماعية المحيطة باولئك الطلاب. وأضيفت الى ذلك سلسلة من الاختبارات النفسانية بهدف معرفة المواقف والخصائص الفردية. وشملت الاسئلة المطروحة حياة الطلاب في حداثتهم ومع عائلاتهم، فضلا عن أهدافهم ومواقفهم النفسية والعقلية. كما سجلت عاداتهم المتعلقة بالتدخين وشرب القهوة وتناول الكحول. وما برح الطّلاب منذ تخرجهم اطباء يجيبون عن تلك الاسئلة سنوياً ويرسلون أجوبتهم الى الدكتورة توماس.

وجاءت بعض النتائج الاولية صدمة بالنسبة الى المعنيين جميعاً، اذ تبين أن معظم الوفيات ناجم ليس عن أحداث خارجية او عن أمراض، بل عن الانقباض أو الاختلال النفسيين. وتقول الدكتورة توماس: "لم نسجل السكتة القلبية الاولى الا بعد تسجيل ١٣ حادث انتحار."

رابحون وخاسرون – مع ازدياد عدد الاطباء الخاضعين للدراسة الذين بلغوا منتصف العمر (علماً أن أعمار الصف الاول تراوح بين منتصف الخمسينات ومنتصف الستينات) ازداد حدوث الامراض والوفيات. وفوجئت الدكتورة توماس اذ لم تتمكن من تفسير الامر على أسس جسدية محضة. غير أنها عثرت في السجلات الخاصة بالاحوال النفسية على مجموعة عوامل أطلقت عليها اسم"القدرة على الاحتمال" (Stamina).

وفي تعريفها لهذه الظاهرة تلجأ الدكتورة توماس جزئياً الى القاموس فتقول انها القدرة على احتمال المرض والارهاق والمصاعب. لكنها تضيف الى ذلك صفة تجمع بين المرونة وسهولة التكيف. وتخرج بتحديد لهذه القدرة يذهب الى أنها تناغم بين العقل والجسد هو نتيجة الوراثة والتربية والمواقف.

وأهم العناصر التي تولد الطاقة هي مواجهة الحياة بانفتاح ومرونة وتقدير المرء لذاته وتمتعه بطبع غير معقد وتصرفه حيال الشدائد بأقل ما يمكن من قنوط وقلق وغضب. وتقول الدكتورة توماس: "هذه القدرة هي العنصر الذي يفرق الرابحين عن الخاسرين في الحياة."

ولئن قصرت النتائج التي يتوصل اليها دارسو العلاقات النفسية – الجسدية عن المقاييس الاحصائية الصارمة التي يقتضيها معظم العاملين في ميادين الطب الجسدي، الا أنها لا تحرم شواهد وبراهين بالغة الأهمية. ففي دراسة جونز هوبكنز المذكورة تبين أن معظم ضحايا الانتحار والامراض العقلية والسرطان كانت تنقصهم العلاقات الحميمة مع أحد الوالدين أو مع كليهما. والعديد منهم شكا برودة العاطفة لدى أبيه أو امه. وكثيرون شكوا الكبت والحرمان وأفصحوا عن صعوبة في التعبير عن مشاعرهم تجاه من يحبون. والعلاقة جاءت قوية احصائياً بين هذه الظواهر النفسية والعلل المذكورة.

من ناحية اخرى جاء في أجوبة معظم الاصحاء جسدياً أن والديهم عاملوهم "بحرارة وتفهم." ووصفوا علاقتهم معهم بكونها "أخوية وحميمة ومفعمة بالمحبة." وفي مواجهتهم الشدائد اختبر الاصحاء حالات نفسية شبيهة نوعاً بما عاناه ضحايا الانتحار والامراض العقلية والجسدية لكنها كانت مختلفة عنها من حيث الدرجة.

ويقول الدكتور سمولر: "الذين يعجزون عن مواجهة انفعالاتهم يصابون بمرض جسدي في المقابل." ومن هذا القبيل أن اولئك الذين يصعب عليهم الافصاح عن مشاعرهم يلجأون الى كبتها، الأمر الذي يحدث اختلال توازن في العلاقة الدقيقة بين

القوى النفسية والقوى الجسدية. وليس غريباً أن يظهر المرض عندما يكون الضغط الخارجي كبيراً والقدرة على تحمله ضئيلة.

التربية الحسنة ـ ان السقوط تحت ضغط الحياة والامراض المبكرة ربما كان نتيجة عوامل سلبية مزمنة وشبه واعية ظهرت في الطفولة. والظن السائد اليوم أن الحالات النفسية الانفعالية كالحزن واليأس تحدث ردود فعل في الدماغ. وهذا النوع من الاجهاد اللاواعي، اذا طال أمده، يمكن أن يؤدي الى افراز مستمر لمادة الكورتيزول التي تضعف جهاز المناعة ومقاومته لالتهاب المفاصل والسرطان والإمراض المـَعدية.

ويبدو أن الانفعالات العدائية كالغضب ونفاد الصبر تعتق مجموعة من الهرمونات والمواد الكيميائية المعروفة بـ"الكاتيكولامين" ومنها "الادرينالين". ولئن يصح أن افراز الادرينالين ضروري للبقاء لما له من أثر في تنشيط الجسم، الا أن الافراز المفرط أو المستمر من شأنه رفع ضغط الدم الذي قد يؤدي الى الصداع والسكتات القلبية والدماغية وأمراض الكلية.

والمعروف أن الجسم يسعى على الدوام الى تأمين اتزان بين عناصره المختلفة. فاذا مني بالاجهاد، حاول التعويض عبر انتاج مواد بيوكيميائية تعرض صاحبها لأمراض شتى. وأحياناً تؤثر العوامل الوراثية في ظهور هذه الامراض.

ترى كيف يستطيع المرء تربية أولاده بحيث يمنحهم فرصة لحياة أطول وأكثر عافية؟ كيف له أن يمدهم بالقوة والقدرة على الاحتمال؟

ما يبدو مهماً من ناحية أساسية هو السند النفسي والقبول والتفهم والمحبة، تلك العوامل التي ذكرها الاناس الأصحاء في دراسة جونز هوبكنز في سياق كلامهم حول تاريخهم العائلي. ويقول الدكتور سيدني كوب الرئيس السابق للجمعية الامريكية للطب النفسي ـ الجسدي والاستاذ الفخري للطب النفسي في جامعة براون (رود آيلند): "ثمة حاجة قصوى الى محيط عائلي يتيح لنا أن نكون أنفسنا ونعبر عن ذواتنا بانفتاح. وعلى الأهل تأمين جو كهذا في بيوتهم."

ولكن كيف يتم هذا؟

انه يتم عبر قبول الاولاد كما هم من غير السعي الشاق الى الطفل الكامل. كما يتم عبر العطف الذي يظهره الاهل تجاه أولادهم، خصوصاً، كما يقول الدكتور كوب، بالضم والعناق الجسديين.

فتش عن المحبة ـ من الضروري أيضاً تلقين الاولاد أن أهم القيم هي ما تنطوي عليه العلاقات الانسانية. وتشير جميع الدلائل الى أن سمو المستوى الاجتماعي والثراء المادي لا يمنحان الولد فرصة النجاح في فترة بلوغه. وتبقى العلاقات القائمة على المحبة هي الاساس النفسي الذي ينبغي أن ترتكز عليه حياة الصغار والبالغين معاً. وهذه العلاقات تساعد في خلق تقدير الذات وهو من العناصر

المهمة للقوة والقدرة على الاحتمال.

وترى الدكتورة توماس أن المرض "متعددالوجوه ومتقلب المزاج." إلا أن التغييرات التي تحصل في منتصف الحياة، كاتخاذ قرار حول الاقلاع عن التدخين أو مباشرة تمارين رياضية منتظمة أو اتباع نظام غذائي مدروس، هي تغييرات مستحبة تضع حياتنا على الطريق نحو مستقبل أفضل وتمنحنا فرصة لحياة أطول وأكثر صحة وراحة.

غير أن الدكتورة توماس تحذر من أنه ليس هناك وصفة سحرية للصحة وطول العمر. وتذهب الى أن الناس لدى تعرضهم للاجهاد يجدر بهم البدء بنشاطات تروقهم وتزيل الضغط الذي يعانونه. ومن الطرق التي برهنت عن جدواها العدو الوئيد والتأمل واليوغا والسباحة. وتضيف الدكتورة توماس: "على كل شخص أن يسأل نفسه هل هو يحب النشاط الذي يمارسه حقاً ام ان ممارسته هي من قبيل الواجب المحض. والاستمتاع بما نفعل هو العامل الاساسي للحصول على نتيجة مستحبة."

ويمكن أن نجمل ما تقدم لنقول ان الحقائق التقليدية القائمة على حب من هم في رعايتنا ومساعدتهم وقبول محدودياتهم، هي الطريقة الاجدى لترسيخ الثقة بالنفس والقابلية على التكيف لدى اولئك وتعزيز قوتهم وقدرتهم على الاحتمال. واذا بدأ هذا الامر في الطفولة واستمر لدينا، فهو كفيل باطالة أيامنا على الارض وملئها صحة وسعادة.

■ جون بيكانين

التمييز العنصري

في ثماني روايات وسبع مجموعات من القصص القصيرة رسمت الكاتبة نادين غورديمر خريطةلجنوب افريقيا متكاملة من النواحي الجغرافية والعاطفية والسياسية. وحول التمييز العنصري في تلك البلاد تقول:

"الطفل لا يسأل عن الاسباب والدوافع. ولقد ولدتُ في عائلة بيضاء متوسطة لا يتساءل أولادها عن حريتهم في ارتياد أماكن محظرة على السود، بل يعدون ذلك أمراً طبيعياً عادياً كشروق الشمس كل صباح. ولكن ما أن يدرك المرء طور النضج حتى يعرف ان الامرين مختلفان. فالحظر أمر اخترعه الانسان لا الله.

وتعتبر غورديمر أن بقاءها في بلادها وكتابتها عنها هما شهادة ضد نظام التمييز العنصري البائس.

صحيفة "نيويوك تايمس"

قال والد انه استدل على بلوغ ابنه عندما بات ينظر الى الفتيات كما كان ينظر الى قالب حلوى.

ج.د.

مأساة واقعية

انهار سطح المبنى فسقط الاطفائي في مرجل تتصاعد منه الأبخرة

المحرقة الحية

وسط ألسنة اللهب الحمراء راح الاطفائي المتطوع كيفين تشارلسن يصرخ طالباً النجدة. وبالقرب منه كان اطفائي آخر يتضرع قائلا: "يا إلهي! أخرجنا من هنا."

لقد علق الاثنان في جحيم وسط مبنى من طبقتين. وأدرك تشارلسن أن أحداً لن يسمع نداءات الاستغاثة أو يستطيع بلوغهما. وصعدت النار إليه من كل جانب. ترى أيستطيع النفاذ عبرها والتسلل خارجاً؟

غير أنه لم يتبين سوى النار الحمراء من زجاج خوذته الذي غشاه الدخان. ولاح في خياله وجه اطفائي ملأته الندوب بعد نجاته من حريق هائل. وتذكر أن معظم ضحايا النار يقضون من تنشق الدخان أكثر من قضائهم حرقاً. وقال لنفسه: "هيا تنشقها الآن... تنشق هذه النار كلها. فالأفضل أن تموت من أن تعيش مشوهاً."

وانتقلت أفكاره الى زوجته لين وولديهما مايكل (٩ سنوات) وماتيو (٥ سنوات) وهو يقول لنفسه: "آه يا إلهي، كم أنا أحبهم." وفي تلك اللحظة ادرك أنه لا يجوز التفريط بحياته وإنما عليه المقاومة حتى النهاية بكل ما اوتي من قوة وإمكانات.

واستجمع تشارلسن طاقته ونظر الى أسفل. ومن حسن حظه أن الهواء فوق أرض الغرفة والى ارتفاع نصف متر تقريباً كان خالياً من الدخان. وذلك وهبه أملا في الحياة.

وكانت عاصفة هبت طوال يوم الجمعة ذاك الواقع فيه الثاني والعشرون من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢ في بلدة ستيلووتر من ولاية مينيسوتا الأمريكية. وجهز تشارلسن، وهو رجل رياضي تعلو وجهه لحية سوداء مشذبة، جرافة جليد ووضعها أمام مرأبه استعداداً لأي طارىء يدعوه إليه عمله التطوعي في دائرة مكافحة الحريق التابعة للبلدية.

وفي وقت متقدم من مساء ذلك اليوم، بينما كان آل تشارلسن يتناولون العشاء في منزل أحد الجيران، أخذ المنبه الالكتروني الذي يحمله كيفين على الدوام يصفر علامة الانذار. وفي دقائق بلغ دائرة الاطفاء حيث ارتدى سترة صفراء واقية وخوذة وحذاء عالياً. وكانت الساعة السابعة والدقيقة الثامنة عشرة مساء عندما قفز على سلم شاحنة متوجهة الى مكان الحريق.

جهنَّم الحمراء - كان الدخان يتصاعد كثيفاً من مخزن اللحوم الذي يقوم ضمن بناء مؤلف من ثلاث

طبقات في الشارع الرئيسي. واضطر ديفيد شيال رئيس دائرة الاطفاء في ستيلووتر الى استدعاء اطفائيين من المدن المجاورة لمساعدة عناصره.

ووقف أربعون اطفائياً طوال ساعتين يصبون الماء من خراطيمهم على أعمدة النار. وبعد إخماد الحريق قفز تشارلسن الى محل مجاور لبيع الملبوسات. وكشف مصباحه اليدوي خيوط دخان سوداء ضعيفة فأدرك أن ثمة ناراً هناك تبحث عن متنفس لها.

وبناء على تعليمات شيال أخذ كيفين آلة نشر دائرية من الشاحنة وفتح ثقباً في سقف المحل لينفذ منه الدخان والحرارة والأبخرة. وتطوع اثنان من الاطفائيين لمساعدة كيفين.

وأخذ الدخان يتسرب من ثقوب البناية. وبينما كان كيفين ينشر السقف ضاق نفسه بفعل الدخان. فهو لم يكن يرتدي قناعاً كزميله. وقال: "سابذل محاولتين أو ثلاثاً لفتح الثقب ثمّ أنسحب من هذا المكان قبل أن أختنق."

وفي التاسعة والدقيقة السابعة والأربعين انهار السقف كله وهوى كيفين والآخران الى هوة كالجحيم. وقال كيفين لنفسه: "لقد كتب علي الموت وأنا في الرابعة والثلاثين."

ووقف على قدميه والركام ينهمر كالمطر حوله. ولكن أين النار؟ لا بد من أن يكون سقوط السقف عليها أخمدها. وعاد الرجاء الى نفس كيفين وهو يؤمّل الخروج من ذلك المكان.

ولكن سرعان ما ارتفعت سحب الدخان واندلعت ألسنة اللهب بارتفاع ثلاثين متراً في سماء الليل. وتراجع الاطفائيون على سطح مبنى الأدوات المعدنية المجاور. وصاح أحدهم في جهاز الارسال: "لقد سقط السقف والرجال معه." وانتشر الخبر من فم الى فم وظُنّ أن الثلاثة باتوا في الطبقة الأرضية من المبنى الذي يرتفع ٣٤ متراً.

والواقع أنهم سقطوا الى طبقة تتوسط الدور الأرضي وما فوقه. وهناك توفي الاطفائي جامي رايبون فوراً على أثر سقوط مكيف هواء فوقه. واخترق زميله روبرت هايس النار الى زاوية لم يجد فراراً منها فمات اختناقاً.

عرق وبخار – راح كيفين يقاوم من أجل السيطرة على جسده المرتجف ونفسه المتقطع. وبذل جهداً كي يبقي رأسه مخفوضاً في اتجاه هواء الأرضية الخالي من الدخان. وعند سقوط كتل ثلج عن السطح التقطها بقفازيه ووضعها على رأسه للوقاية.

وزيّن لنفسه أنه إذا استطاع اجتناب تنشق الكثير من الدخان، فربما نجا، علماً أن جسده لم يكن معرضاً للحرارة اللاذعة. وكانت سترته مصنوعة من مادّة الأراميد المقاومة للنار، وفي إمكان خوذته احتمال الحرارة حتى ٦٥٠ درجة مئوية لفترات قصيرة.

وفيما هو يلحس الجليد الذائب وقعت بعض قطرات ماء على سترته. ولا بد من أن يكون مصدرها خراطيم زملائه فوق.

ثمّ هوت كومة ثقيلة من الركام كبلت قدم كيفين اليمنى عند الكاحل وأضرمت النار في حذائه. ونظر من خوذته ليرى ألسنة اللهب في كل مكان حوله وحتى فوق سترته. واستحال العرق المتصبب منه بخاراً وأحس غلياناً في جلده. وراح يصلي قائلا: "يا إلهي، لا يمكنني أن أتحمل المزيد... أرجوك أن تأخذ روحي."

ولم يكن للمياه المنسكبة عليه من وقت الى آخر أي أثر في رفع معنوياته. وانتابه شعور بالذنب لانصرافه الى عمله وإهماله إقامة علاقة حميمة مع زوجته وولديه. وتوجهت أفكاره الى عائلته وهو يقول: "أتعرفون كم أنا أحبكم؟"

وفي العاشرة والربع ليلا خابرت لين تشارلسن حماها لتقف منه على آخر التطورات. وكان في تلك اللحظة يتابع الأخبار على جهازه اللاسلكي الخاص، فسمع الاثنان أصواتاً تصيح: "لقد حصل انهيار وسقط بعض الرجال مع السقف."

وانتاب لين الخوف للمرة الاولى خلال السنوات السبع التي أمضاها زوجها في مكافحة الحريق. وخابرت دائرة الاطفاء فقيل لها إن هوية الرجال لم تعرف بعد. لكنها قدرت أن في الجواب إخفاء للحقيقة. ووضعت السماعة لتقول: "انه كيفين... أنا أعرف ذلك."

الطوفان — لم يصدق رجال الاطفاء أن خراطيمهم تكاد تكون بلا نفع. وكان هناك خرطومان يصبان الماء من سقف مجاور واثنان آخران من الأبواب الخلفية وخامس من المدخل الرئيسي، فضلا عن خرطوم عملاق يصب الماء من سلم الشاحنة أمام المدخل بمعدل ٣٨٠٠ ليتر في الدقيقة.

إلا أن ذلك الطوفان كان موجهاً الى المبنى كله لعدم تحديد المكان الذي وقع فيه الرجال. لكن بيرني بيلتيير، وهو اطفائي كان يحمل خرطوماً في الجزء الخلفي من البناية، وجه الماء الى الطبقة المتوسطة تقديراً منه أن زملاءه سقطوا هناك.

وبعد انقضاء أكثر من ساعة على سماع أصوات الرجال آتية من هناك أقنع بيلتيير نفسه باستحالة الصمود وسط تلك المحرقة. إلا أن قلبه حثه على عدم الاستسلام علماً منه أن كيفين تشارلسن في الداخل وانه شخص عنيد لا يلين.

والواقع أن كيفين كان على بعد ستة أمتار من رفيقه. والسبب الرئيسي الذي أبقاه حياً كان المياه المنصبة عليه من خرطوم بيلتيير ومن خرطوم آخر في الجهة المعاكسة كانت مياهه تنصب على الأرض وتمنع صعود النار الى جسمه. ولكن لم يكن له خلاص من الركام المشتعل فوقه وعن جانبيه.

وذاب القار في السقف الهاوي وأحرق قدم كيفين اليمنى حتى الكاحل مخترقاً اللحم الى العظم. وتصاعد الغليان الى ظهره ومؤخر رجليه وأوشكت سترته وحاشية خوذته على الانحلال. وسفع طرف اذنه لكنّه لم يشعر بذلك بعدما خدره الألم.

وكان روب دانيال عمدة البلدة المساعد يحمل خرطوماً ويوجه الماء الى حطام الطبقة المتوسطة وهو على سطح محل الأدوات المعدنية. وبعدما خمدت النار ولم يبقَ سوى حرائق صغيرة هنا وهناك، رأى كومة ملتهبة وسط الظلام فوجّه إليها ماء خرطومه.

عودة مظفَّرة - انسكبت المياه الباردة فوق كيفين فأفاق من خدره وظن أنه يغرق. ثم رفع رأسه ليجد أن النار خمدت فقال: "عظيم! المسألة لم تستغرق أكثر من عشرين دقيقة."

فجأة سرت قشعريرة في أوصاله وخشي أن يقضي تحت صقيع الماء. وصرخ: "النجدة! أخرجوني من هنا!"

ولم يصدق دانيال ما يسمعه. واخترق الممرات الضيقة المدخنة في محل الأدوات المعدنية وهو يصيح: "ثمّة شخص حي في الداخل." وعلى رغم معرفته القديمة لرفيقه فانه لم يتبيَّن صوته المكبوت وأطل من السقف وصرخ: "انتظر أيها الرفيق، وسنخرجك من حيث أنت."

وفي الحادية عشرة والربع حمل كيفين خارجاً بعد انقضاء ٨٨ دقيقة على محرقته الحيّة.

غير أنه لم يفقد اتزانه العقلي، بل راح يروي قصة عذابه في قسم الطوارىء في المستشفى بينما الأطباء ينتزعون ثيابه. وهالهم مشهد الحروق التي اصابته وأمروا بنقله حالا الى قسم الحروق في مستشفى سان بول - رامزي. وعلى تلك الطريق التي امتدت أربعين كيلومتراً بدأ كيفين يصرخ طالباً المورفين المسكن.

وفي قسم الحروق هناك وجد الأطباء أن ثلث جسم كيفين تعرض لحروق من الدرجتين الثانية والثالثة. وعاش كيفين وسط كابوس من الألم طوال شهر فبراير (شباط) ومعظم مارس (آذار). وأجريت له حمامات خاصة لأزالة الجلد الميت. وانتزع بعض الجلد من مقدم جسمه ليزرع في مواضع من ظهره ومؤخر قدميه، فيما أخذت عضلة من تحت إبطه لتزرع في قدمه اليمنى وكاحلها.

وفي الحادي والثلاثين من مارس (آذار)، بينما كانت لين تشارلسن تنقل زوجها كيفين في السيارة الى البيت، اصطفت سيارات الاطفاء والشرطة على طول الطريق الرئيسية ثمّ تبعت سيارة آل تشارلسن وأطلقت الزمامير ابتهاجاً بعودة كيفين المظفَّرة. وفي عرض الوفاء ذاك سالت الدموع على خدّي كيفين وراح يتمتم: "أشكرك يا إلهي."

وبعد ثمانية أشهر برئت قدمه اليمنى بنسبة خمسين في المئة وعاد كيفين تشارلسن الى ممارسة نشاطه في دائرة الاطفاء.

■ بيتر مايكلمور

الحب يبعد الشيخوخة

قالت الممثلة الفرنسية جان مورو: "تقدم السن لا يحمينا من الحب. لكن الحب، الى حد، يحمينا من تقدم السن".

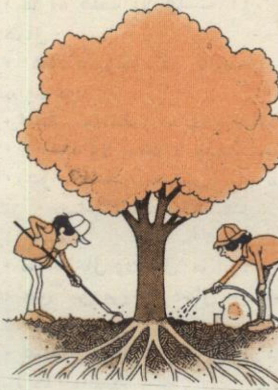

دَائرة المعَارف

الإتباع في اللغة العربية هو الاتيان بكلمة على وزن كلمة سابقة لتعزيز معناها، وتضم الدائرة في هذا العدد عبارات تنطوي على اتباع والمطلوب من القارىء ان يختار الكلمة التي يعتبرها اتباعاً مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ · ما له عاجل ولا: آجل ـ راجل ـ هاجل ـ واجل.

٢ · مكان بلقع: بشلقع ـ فلقع ـ برقع ـ سلقع.

٣ · زرعٌ في كل حَقّ: وشق ـ ورق ـ ولق ـ ودق.

٤ · وقع في حيص: ويص ـ بيص ـ خيص ـ هيص.

٥ · رجل شاحم: لاحم ـ راحم ـ فاحم ـ طاحم.

٦ · افّ: وتف ـ وكف ـ وخف ـ وسف.

٧ · ذهب حِبْره: وخبره ـ وصبره ـ ونبره ـ وسبره.

٨ · لسان ذلْق: ملق ـ فلق ـ طلق ـ جلق.

٩ · لا ادري اين سكع واين: سقع ـ هكع ـ ركع ـ لكع.

١٠ ـ ساقط بن: راقط ـ باقط ـ شاقط ـ لاقط.

١١ · جائع: نائع ـ لائع ـ بائع ـ ضائع.

١٢ · حسَن: غسن ـ بسن ـ لسن ـ يسن.

١٣ · تفرقوا شذر: نذر ـ مذر ـ هذر ـ بذر.

١٤ · ما له حلَب ولا: كلب ـ طلب ـ سلب ـ جلب.

١٥ · صادّه: ونادّه ـ وشادّه ـ ورادّه ـ وضادّه.

١٦ · العقَر: والعصر ـ والنقر ـ والوقر ـ والدقر.

١٧ · لا يفقه ولا: ينقه ـ يفقر ـ يفقع ـ يفقى.

١٨ · جواد مِكَرّ: مجر ـ مهر ـ مفر ـ معر.

١٩ · ما له عال ولا: خال ـ مال ـ بال ـ غال.

٢٠ · هَيّ بن: ري ـ شي ـ ني ـ بي.

٢١ · صديق في السرّاء: والقراء ـ والشراء ـ والضراء ـ والجراء.

٢٢ · هو من لفيفنا: وعفيفنا ـ وطفيفنا ـ وضفيفنا ـ وزفيفنا.

٢٣ · الفاتق: الراتق ـ العاتق ـ الفالق ـ الناتق.

٢٤ · بينهم هرج: وبرج ـ ومرج ـ وكرج ـ وسرج.

٢٥ · رجل هشّ: كش ـ نش ـ تش ـ بش.

٢٦ · ما له هارب ولا: سارب ـ ضارب ـ قارب ـ عارب.

٢٧ · العامّة: والغامّة ـ واللامّة ـ والسامّة ـ والهامّة.

٢٨ · العُسْر: والعشر ـ واليسر ـ والقسر ـ والحسر.

٢٩ · جاء بالهَوش: والبوش ـ والطوش ـ والحوش ـ والنوش.

٣٠ · ادبر غريره واقبل: غديره ـ عريره ـ غزيره ـ هريره.

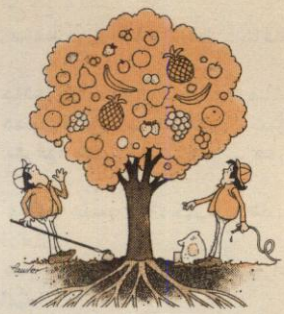

الأجوبة الصحيحة

٠١ **ما له عاجل ولا آجل:** ما له شيء. الآجل: المتأخر.
٠٢ **مكان بلقع سلقع:** قفر. البلقع ايضاً: المرأة الخالية من كل خير.
٠٣ **زرع في كل حـَقّ ولَق:** اي في كل وهدة وشق من الارض.
٠٤ **وقع في حيص بيص:** اي في حيرة وضيق.
٠٥ **رجل شاحم لاحم:** ذو شحم ولحم. ايضاً: يطعم الناس شحماً ولحماً.
٠٦ **اف ّ وتف ّ:** مثل يضرب في القلة والحقارة.
٠٧ **ذهب حـِبْره وسِبْره:** اي جماله.
٠٨ **لسان ذلق طلق او ذليق طليق:** فصيح وذو حدة.
٠٩ **لا ادري اين سكع واين هكع:** اي اين ذهب واين اقام.
٠١٠ **ساقط بن لاقط:** اصله من العبيد فهو خسيس.
٠١١ **جائع نائع:** جائع وعطشان. نائع ايضاً: متمايل جوعاً.
٠١٢ **حسَن بسَن:** حسن. ابسن الغلام: حسنت سحنته.
٠١٣ **تفرقوا شذر مذر:** ذهبوا في كل وجه.
٠١٤ **ما له حلب ولا جلَب:** اي لا نياق ولا جمال.
٠١٥ **صادّه وضادّه:** قاومه. صادّ: زاحم ودافع.
٠١٦ **العقـَر والنقر:** العاهة والافتقار.
٠١٧ **لا يفقه ولا ينقه:** لا يفهم شيئاً.
٠١٨ **جواد مـِكـَرّ مـِفـَرّ:** اي منقاد. مـِكـَرّ: يصلح للهجوم. مـِفـَرّ: يصلح للفَرار عليه.
٠١٩ **ما له عال ولا مال:** ما له شيء.
٠٢٠ **هيّ بن بيّ او هيان بن بيان:** لا يعرف هو ولا ابوه.
٠٢١ **صديق في السرّاء والضرّاء:** اي في الرخاء والشدة.
٠٢٢ **هو من لفيفنا وضفيفنا:** اي ممن نضمهم الينا.
٠٢٣ **الفاتق الراتق:** مالك الامر. فتق الشيء: شقه وهو ضد رتقه.
٠٢٤ **بينهم هرج ومرج:** اي اختلاط وفتنة واضطراب.
٠٢٥ **رجل هشّ بشّ:** اي طليق الوجه.
٠٢٦ **ما له هارب ولا قارب:** ما له شيء، ليس من يهرب منه ولا من يتقرب اليه.
٠٢٧ **العامـّة والسامـّة:** العامة والخاصـّة.
٠٢٨ **العـُسْر واليسر:** الفقر والغنى. هو اعسرُ يـَسـَرُ اي يعمل بكلتا يديه.
٠٢٩ **جاء بالهـَوش والبوش:** اي بجمع كثير مختلط.
٠٣٠ **ادبر غريره واقبل هريره:** زال حسَنه وجاء سيّئه.

---

٢٥ ــ ٣٠: ممتاز.

المستوى ١٩ ــ ٢٤: جيد.

١٣ ــ ١٨: مقبول.

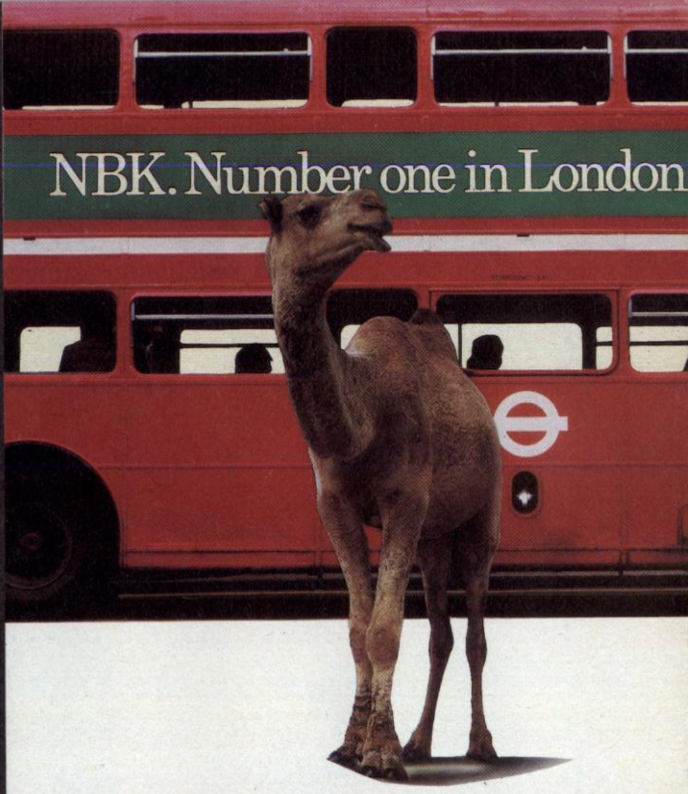

كافة الخدمات المصرفية

يقدمها لك بنك الكويت الوطني عند زيارتك القادمة للندن

يسر بنك الكويت الوطني، رائد البنوك الكويتية، ان يعلن عن إفتتاح فرع ثان له في لندن مثبتاً بذلك وجوده على الساحة العالمية الذي يشتمل أيضاً على فرع تمثيل في سنغافورة وشبكة عالمية تشمل أكثر من ٧٥٠ بنكاً مراسلاً.

لقد تم إفتتاح فرعنا في بيشوبس جايت لمساعدة الشركات في تطوير عملياتها الخارجية. وبالاضافة الى الخدمات المصرفية الشخصية يقدم فرعنا خدمات عالية شاملة كالقروض المشتركة، تمويل الشركات، تبديل العملات، إيداعات بالعملات الأوروبية، وتمويل للعمليات التجارية كفتح الاعتمادات واصدار الكفالات المصرفية. هذا بالاضافة الى خدمات إدارة الاستثمارات والمشاريع العقارية المتوفرة من بنك الكويت الوطني لما وراء البحار (لندن) على العنوان نفسه.

فرعنا في الوست اند من لندن تأسس خصيصاً لمساعدة الزوار الكويتيين في جعل زيارتهم للندن كاملة وذلك بتقديم النصح لهم وتوفير مجموعة شاملة من الخدمات المصرفية الشخصية.

خدمات الفرع تشمل: الحسابات الجارية وحسابات الايداع، منح القروض، أوامر الدفع الثابتة لتسديد الفواتير، خدمة تبديل العملات لشراء وبيع الأوراق النقدية والشيكات السياحية.

كما تستطيع صرف شيكات على حسابك بالدينار الكويتي أو استعمال بطاقة الداينرز كلوب لسحب ما تحتاجه من النقد من حسابك في الكويت.

أوقات الدوام كالآتي: من الاثنين الى الجمعة ٩,٣٠ إلى ٣,٣٠ بعد الظهر، أيام السبت من ٩,٣٠ حتى ١٢,٣٠ بعد الظهر.

لتكن زيارتك للندن كاملة وذلك باتصالك بمدير فرعنا فور وصولك وكن على ثقة بأنك ستكون موضع عنايتنا وخدمتنا المميزة.

بنك الكويت الوطني ش.م.ك

The National Bank of Kuwait SAK

مكتب لندن الرئيسي: ٩٩ بيشوبس جايت، لندن EC2، تلفون ٢٦٢٠-٩٢٠(٠١)، تلكس ٨٩٢٣٤٨

فرع وست اند: ١٨ أورشارد ستريت، لندن، W1 مقابل محلات سيلفريدجز، تلفون ٦٨١١ ٩٣٥(٠١)

مكتب الكويت الرئيسي: ص.ب ٩٥ الصفاة، الكويت، تلفون ٤٢٢٠١١/٤٦٣٣٣٤، تلكس ٢٢٠٤٣

غرفة تداول العملات: تلفون ٤٦٢٠٤٦، تلكس ٢٢٣٢٢٧

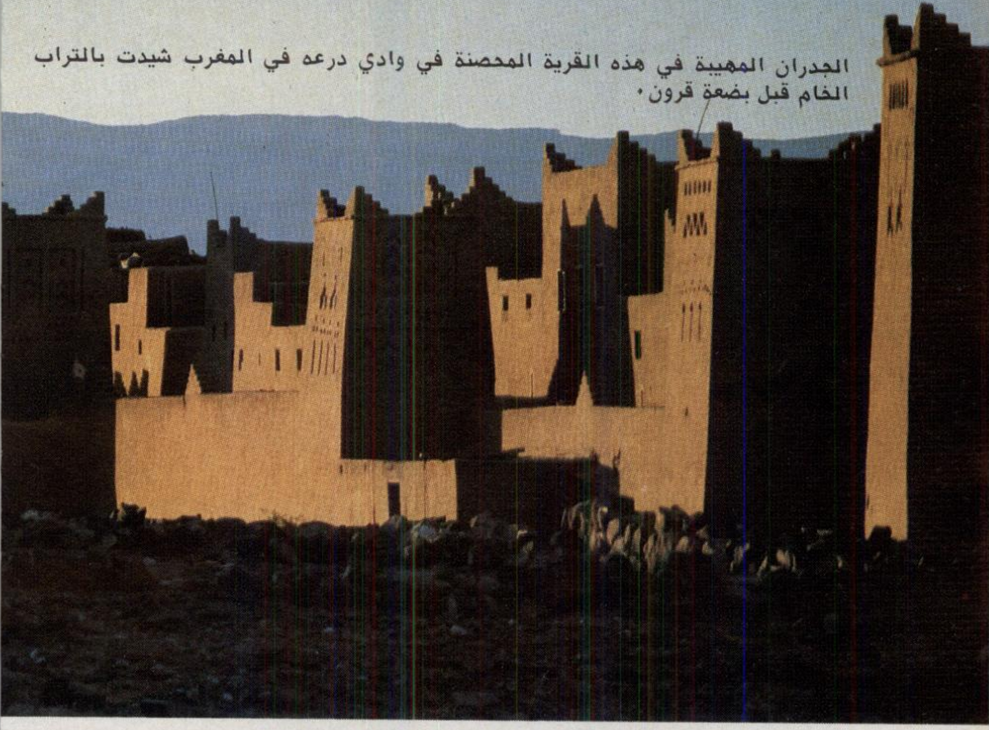

الجدران المهيبة في هذه القرية المحصنة في وادي درعه في المغرب شيدت بالتراب الخام قبل بضعة قرون.

Christine Bastin / Jacques Evrard, 1980

Christine Bastin, 1981

(الى اليسار) يجبل العمال المغربيون الطين ويصبونه في قوالب خشبية ليرفعوا الجدار مدماكاً بعد مدماك.(في الوسط) يضرب اللبن في قوالب خشبية كما يبين هذا المنظر في الجزائر. (فوق) كنيسة كريستو راي المبنية باللبن في سانتافي (نيو مكسيكو).

عصر الطين

عاد الطين الى الواجهة كمادة بناء اساسية، وتشاد به ابنية حديثة جميلة في الجزائر والمغرب واليمن وبريطانيا والمانيا وسواها من البلدان العربية والاجنبية

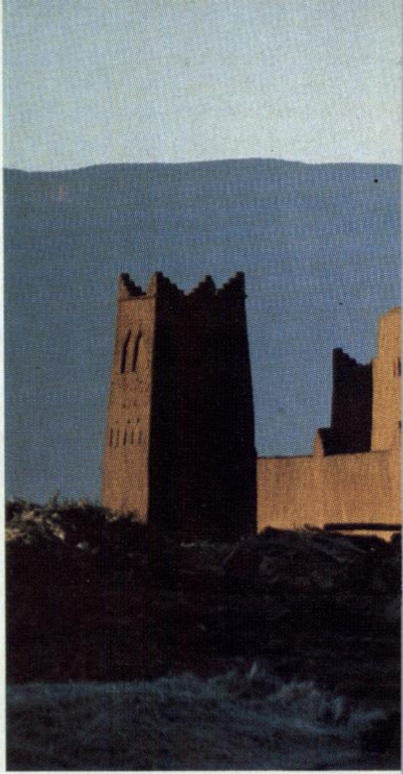

Christian Lignon, 1981

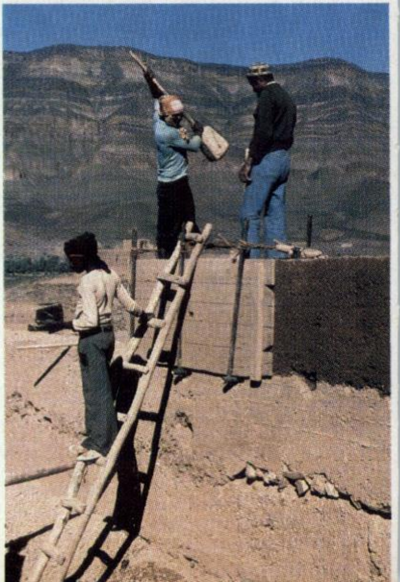

طنف قديم يظهر كيف استخدم المصريون القدماء اللّبن لبناء الأهرام الاولى.

هو شيء مألوف جداً حتى اننا نكاد لا نفكر فيه ويغطي ثلاثة أرباع اليابسة ويتوافر بلا ثمن لمن يطلبه. فلا غرو ان يقطن ثلث بني البشر في بيوت مبنية به. هذا الشيء هو التراب الخام، أول مادة استخدمها الانسان في البناء. انه مزيج من ثرى وماء عمره عمر الزمن. وهو يعرف باسم آخر: الطين. دعه يجف فتحصل على المادة التي بني بها جدار الصين العظيم وجوامع مالي وبيوت الريف في بريطانيا.

ولئن يكن مظهر الطين يوحي بأنه لا يصلح الا للاكواخ البدائية، فان مندسي العمارة يقدرون ان قرابة ١٥ في المئة من مساكن المزارعين في فرنسا واسكنديناڤيا وبريطانيا والمانيا الغربية مبنية بهذه المادة الموجودة بوفرة في كل مكان. وقد شقت فرنسا الارض في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٢ لتقيم أسساً لمجموعة سكنية من البيوت المبنية بالتراب في مدينة "ليل آبو" الجديدة.

وفي الفترة الممتدة بين اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١ وفبراير (شباط) ١٩٨٢ أقيم في مركز جورج بومبيدو للفن والثقافة في باريس معرض للصور والرسوم والنماذج المعمارية، أبرزت الانجازات التي تحققت في ٤١ بلداً في مجال العمارة الترابية. ومن باريس انطلق المعرض في رحلة حول العالم تستغرق خمس سنوات وتشمل القارات الخمس.

قبل ٩٠٠٠ سنة إستخدم الطين في البناء في الشرق الاوسط ومنه بنيت أريحا وأسوارها في فلسطين وبابل وبرجها الشهير في بلاد ما بين النهرين. وقد عفا الزمن هذه العمائر واستحالت غباراً منذ عهد سحيق، الا ان كثيراً من الابنية القديمة التي شاهدها الانسان من التراب الخام لا تزال صادمة الى يومنا. ويرقى تاريخ بعض اجزاء جدار الصين العظيم الى القرن الثالث قبل الميلاد. كما ان مدناً افريقية قامت في العصور الوسطى مثل تمبكتو في مالي ومراكش في المغرب لا تزال صامدة بعدما مرت عليها عشرة قرون. كذلك فان الكنائس التي شيدت باللِّبن في نيو مكسيكو بين القرن السادس عشر واوائل القرن التاسع عشر لا تزال تخدم الغاية التي من اجلها شادها المستعمرون الاسبان الاوائل.

وعلى رغم ان ثمة أساليب تكاد لا تحصى لتحويل الطين مادة تصلح للبناء، فالطريقتان الرئيسيتان المتبعتان هما الطين الصبّ واللِّبن. وكلتاهما تبدأ بخلط التراب بالماء. في الطريقة الاولى يُصب الطين المجبول في قوالب خشبية. وعندما يستقر تنزع القوالب من حوله وتترك الاقسام المصبوبة لتجف. وتكرر العملية افقياً وعمودياً حتى يكتمل الجدار. وفي الطريقة الثانية يجبل الطين ويدعك حتى يصبح كالعجين ثم تضاف اليه مواد ليفية كالتبن. بعد ذلك يضرب في قوالب ليتخذ شكل الحجارة ويترك في الشمس ليجف، ثم يجمع ويبنى جدراناً او قناطر او قباباً مع استخدام مزيد منه كملاط للصق القطع بعضها ببعض.

A.F. Kersting, 1966

منزل في ديفون (بريطانيا) من القرن السادس عشر.

في جرود مملكة النيبال تبنى الجدران السميكة بالطين وتقي سكانها عاديات شتاء جبال حملايا.

Jean-Marc Charles / RAPHO 1976

يحتشد المؤمنون لصلاة العشاء يوم الجمعة امام الجامع المبني بالتراب في موبتي، مالي.

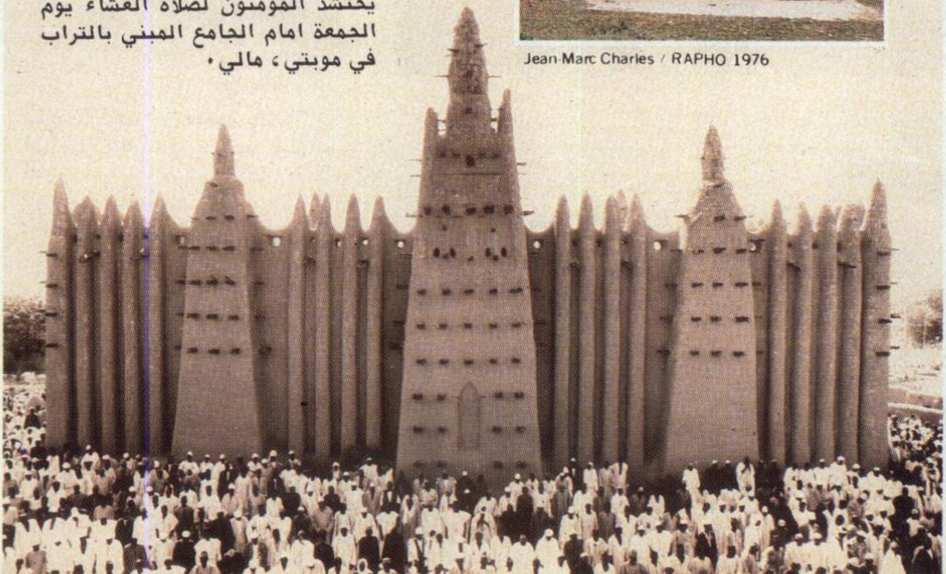

Georg Gester / RAPHO, 1978

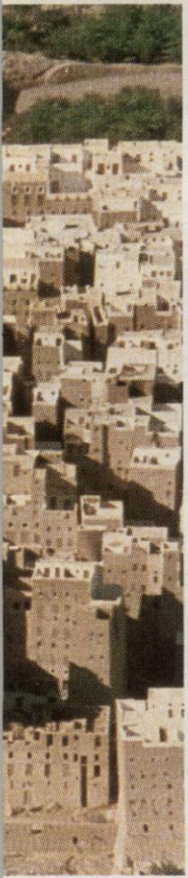

Jean-François Breton / Christian Darles, 1976

مئذنة بنيت بالطين قبل ٣٠٠ سنة
تشمخ الى ارتفاع ٤٠ متراً
في تريم، اليمن الجنوبية.

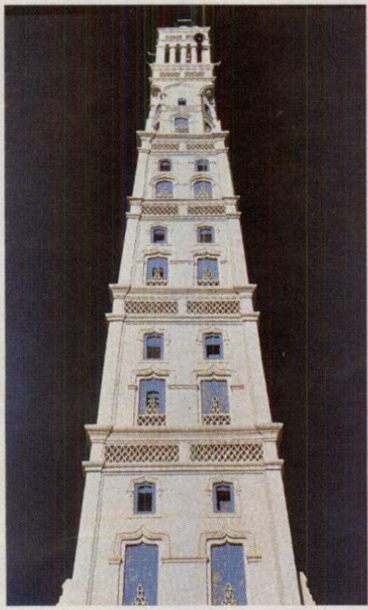

Jacques Evrard, 1982

Michel Renaudeau, 1970

مسكن في زندر، النيجر،
يزهو بجدرانه الترابية.

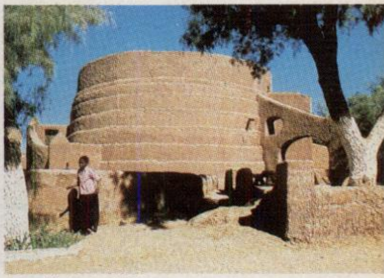

Anne Rochette, 1980

يستخدم التراب الخام ايضاً
في بناء السدود والجسور
وحتى ابراج الماء، كهذا
البرج البسيط في واحة
صحراوية في الجزائر.

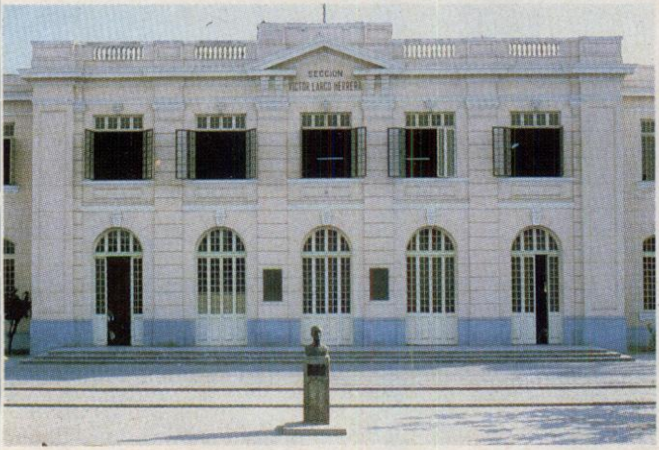

Ovidio Oré, 1981

مدينة شبام في اليمن الجنوبية تدعى احياناً "مانهاتن الصحراء" وتؤوي الالوف من سكانها في أبنية ترتفع ثماني طبقات٠

تبين هذه المدرسة في ليما (بيرو) كيف يمكن التفنن في العمارة بالتراب٠ وهي بنيت عام ١٩٣٠ ولا تزال في حال ممتازة٠

ولمنع تآكل هذه المواد بفعل المطر او الماء المتسرب تستخدم مادة لزجة كالقار الممزوج بالتراب او ملاط الكلس او يغطى الجدار بطبقة من التراب الصرف ويملس على ظاهر البناء وعلى طول قاعدته. ومن اجل تأمين صمود المساكن في اوروبا وسواها من المناطق الغزيرة الامطار فانها تبنى على أسس من الحجار الصخرية وتقام فوقها سطوح ذات اطناف بارزة خارج حدود الجدران. وقد اتاحت أساليب البناء هذه اقامة ابنية ذات ارتفاع مدهش قد يبلغ ثماني طبقات في بلدان مختلفة من ألمانيا الغربية الى اليمن.

والحاجة الى إنشاء مساكن رخيصة الثمن في انحاء العالم لفتت مهندسي العمارة الى فوائد التراب الخام. واحدث التحولات حصل في الجزائر وهي المحطة الاولى للمعرض خارج اوروبا. وتخطط الحكومة الجزائرية لتكريس التراب مادة بناء للمستقبل.

وغالباً ما تتوافر المواد الاساسية اللازمة في موقع العمل، وهذا يوفر جانباً كبيراً من كلفة نقل حجار الاسمنت او قطع الآجر المطبوخ. وعلى نقيض هذه المواد يتطلب البناء بالطين الصب او باللبن مقداراً هزيلا من الطاقة مما يقلص الكلفة الاجمالية. وتكون الجدران الترابية سميكة جداً بحيث تحفظ برودة المسكن في الصيف وحرارته في الشتاء. كما ان معالجة الطين من طريق مزجة بمواد كالأسمنت تعزز متانته وقدرة احتماله.

وتختلف نتائج هذه التطويرات - كما تظهر الصور الملحقة - بين الانشاءات الريفية والمباني الفخمة والمساكن العملية والبيوت الفاخرة المنمقة. انه بون شاسع حقاً بين هذه المساكن وأكواخ الطين الحقيرة.

■ **جان ديتييه**

مهندس معماري بلجيكي في الثانية والاربعين نظم معرض فن العمارة بالطين.

العز للرز

كنتُ أتمشى في "فيفث افينيو" الشهير في مدينة نيويورك عندما مررت بباب أحمر براق في محل اليزابيت آردن لمواد التجميل. وشاهدت البواب الأنيق منهمكاً في مهمة ما. ولما دنوت منه وجدته حاملا طلاء أظافر أحمر وهو يغطي به لطخات الباب.

ا.س. صحيفة "نيويورك تايمس"

التجربة أكبر برهان

في موسم الحسومات، علّق محل لبيع الأسرّة الاعلان الآتي على واجهته: "تعالوا وجرّبوا النوم في هذا المحل."

ت.ف.

شهيّة...
مغذية
Swiss Maggi Soup
Chicken noodle
Volaille au vermicelle
مَاجي
شوربة دجاج
مع شعيرية
لكافة أفراد العائلة
مجموعة أصناف شوربة ماجي الواسعة تضمّ أطباقاً
من الحساء بلحوم الدجاج والبقر الخالصة لتحوّل وجباتك
اليوميّة، ظهراً ومساءً، إلى ولائم غنيّة كاملة. ان طعمها
اللذيذ ونكهتها الشهيّة يجعلان منها غذاءً لاغنى عنه
لجميع افراد العائلة.
طبق كلّه عافية
مَاجي
PI 3159 A

شفروليه "كابريس"

فخامتها المتناهية
تجعلها صفقة رابحة.

بإمكانك شراء سيّارة بثمن أقلّ ممّا تدفعه لشراء سيّارة شفروليه "كابريس". ولكنك بذلك سوف تحصل على سيّارة أقلّ مستوى.

"كابريس" هي واحدة من جيل السيّارات الأمريكيّة الجديدة من صنع جنرال موتورز مما يضمن لك الراحة والأمان.

إنها فسيحة ومتينة، ومع نوابضها اللولبيّة المختارة بمساعدة الكومبيوتر ستشعر بسلاستها وبنعومة قيادتها.

كل ما تنتظره من سيّارة أمريكيّة فخمة وجيّدة التصميم من صنع جنرال موتورز سوف تجده في شيفروليه "كابريس" إذ تشمل تجهيزاتها الأساسية محوّل سرعة أوتوماتيكي بالإضافة الى مقود هيدروليكي وفرامل آليّة ومكيّف للهواء.

للمزيد من المعلومات عن شفروليه "كابريس" ندعوك لزيارة الوكيل المعتمد لسيّارات جنرال موتورز الأمريكيّة الشماليّة.

مع "كابريس" سوف تحصل على أكثر ممّا تدفع.

GM

THE NEW AMERICANS FROM GENERAL MOTORS

CHEVROLET PONTIAC OLDSMOBILE BUICK CADILLAC GMC

الجدّان اللــذان
يســبغان
على احفادهما
كل حب ورعاية
هما في الغالب
اتعس ضحايا الطلاق

الآباء يأكلون الحِصْرِم والأجداد يَضرسون

لطالما تاق لو درايبر وزوجته آن الى تلك اللحظة التي تجعل منهما جدين.

وعندما اعلن ابنهما ان زوجته حامل تملكهما فرح لا تعبر عنه الكلمات. وبعد اشهر قليلة ولد لهما حفيد تبعته حفيدة بعد سنتين. وأسبغ آل درايبر الوقت والمحبة والحكمة والهدايا على حفيديهما دونما حساب. وعندما توفي لو تمحورت حياة آن حول الصغيرين فكانت تلازمهما عندما يخرجوالداهما وتصحبهما الى بيتها في عطلة نهاية الاسبوع. وعندما صرح لها ابنها بانه وزوجته يسعيان الى الطلاق اضاف قائلا: "لاتقلقي، فسيبقى في امكانك ان تزوري الصغيرين."

في بادىء الامر بقيت العلاقة السابقة بين آن وحفيديها سائدة بانتظام. ولكن عندما تزوجت كنتها وانتقلت مع ولديها الى مدينة بعيدة اوضحت هذه للجدة ان للولدين "جدين جديدين" وسيكون في "مصلحة الجميع" ان تكف عن زيارتهما قطعاً.

وفي اقل من ثلاث سنوات فقدت آن زوجها وكان عليها ان ترضخ لفقدان حفيديها بحكم الظروف. واذ بدأ ابنها يلملم اطراف حياته الخاصة فانه رفض ان يتوسط. وكانت نتيجة الضغوط التي تعرضت لها الجدة ان تدهورت صحتها وارهقها المرض حتى انتهت الى مركز للعناية الصحية.

واذ ازدادت نسبة الطلاق في زماننا فان هذه الظاهرة لم تعد وضعاً استثنائياً. ففي المرحلة التي يفيد الاجداد والاحفاد من علاقة حميمة بناءة نرى الكثيرين منهم "يطلّقون" عنوة بعضهم من بعض.

وبحكم كوني طبيباً نفسانياً أمارس مهنتي في خضم هذه المشاكل العائلية فقد شهدت عواقب هذا الانقطاع القسري في العلاقة الطبيعية بين الأجداد والأحفاد والعذابات النفسية التي تخلفها في كلا الجيلين. ومن حسن الحظ ان ثمة اموراً تساعد في تجنب الوضع القائم وحتى عكسه.

● تفهم العلاقات في عائلتك.

ان افتراق الجد والحفيد، المفروض فرضاً، غالباً ما يحدث اثر انفصال او طلاق في عائلات شهدت احتكاكاً بين الوالدين والجدين. وهناك وسيلة ناجعة للتخفيف من حدة هذا الاحتكاك هي التأمل ملياً في علاقات عائلة سعيدة ومقارنة وضعك العائلي بها.

يسكن آل جونز على بعد ساعة في السيارة من منزل ابنتهما ماريا وزوجها سوني واولادهما الاربعة. وهما يزوران العائلة كل يوم أحد او يدعوانها الى العشاء في منزلهما. وعندما تغادر ماريا وزوجها البيت لسبب ما ينتقل الجدان للعيش مع احفادهما. وهكذا يتبادل الوالدان والجدان الادوار من دون ان تتوتر العلاقة بينهم او تتنافس المهمات. وهذا هو مفتاح القضية. فالجدان لا يحاولان فرض ارادتهما والتدخل في شؤون العائلة.

في عائلة كهذه تتساوى العلاقات ولا تتناقض ويمكن احتواء اي مشكلة قد تنجم.

الفيلم الأكثر مبيعًا في العالم!

لماذا؟

لأنه يُعطيك أفضل النتائج من الكاميرا.

Kodak

والآن خذ وضع عائلتك. ثمة احتمالات بوجود بعض الخلافات بين الوالدين والاجداد. وان اعرابك عن مشاعرك ومحاولتك تصحيح المواقف سيساعد في تعميق العلاقة ويساهم في تجنب المشاكل بين الاجداد والاحفاد حتى في حال حدوث طلاق.

وربما بانت قضية انعكاس الادوار. فهناك عدد لا يستهان به من الاجداد الذين يصبحون آباء بديلين لاحفادهم خلال السنوات الاولى من زواج ابنائهم. فلننظر الى مسألة ليزا ورالف اللذين تزوجا وهما ما زالا طالبين في الجامعة وعاشا مع والدي ليزا لأسباب مادية لا تخفى. وعندما أنجبا طفلين رعاهما الجدان. وحتى بعد انتقال ليزا ورالف الى بيت مستقل بقي الجدان يؤديان الدور الاساسي في رعاية الطفلين لغياب الوالدين كل في عمله.

وبعد سبع سنوات انفصل الزوجان و"اعطت" ليزا ابويها الولدين وانطلقت تبحث عن حياة جديدة في اماكن جديدة.

خلال تلك الفترة تزوج رالف ثانية وعاش مع زوجته وابنيها في بلدة مجاورة. وما ان استقرا حتى طلب من الجدين ان يعيدا ولديه ليعيشا في كنفه. واذ لم تظهر ليزا اي اهتمام فقد رأى الجدان ان هذا الحل هو الافضل كما ان رالف وزوجته الجديدة لم يعترضا على زيارة الجدين ثلاث مرات في الاسبوع واصطحابهما الولدين للعشاء احيانا.

ومع الوقت شعر رالف ان الجدين "يسيطران" على حياة الولدين ويقللان

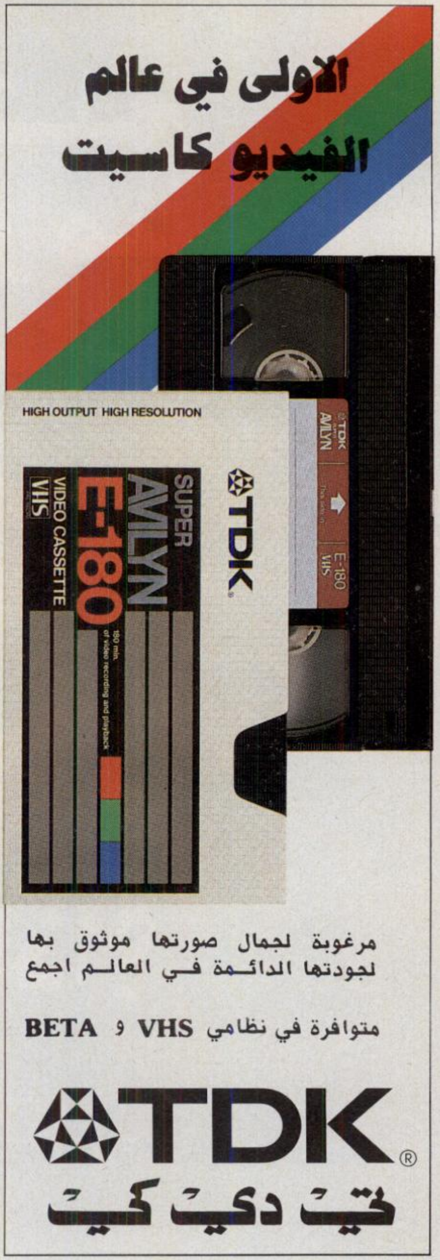

بذلك من سلطة زوجة ابيهما ويهددان بتقسيم العائلة. فطلب منهما ان يكفا عن زيارتهما.

لقد اخذ الجدان على عاتقهما اداء مهمات الام والاب خلال سنوات الطفلين الاولى فصعب عليهما التخلي عنها بعد زواج صهرهما. ونتيجة لهذا الوضع خسرا فرصة التمتع بحفيديهما وهما يكبران كما حرم الطفلان تجربة الافادة وتلقي المحبة والمعرفة في العلاقة مع الجدين.

ولكن حتى لو لم يفرض الجدان نفسيهما كابوين بديلين فكثيراً ما تحدث المنافسة على السلطة في العائلات. فما دام الجدان اكثر تمرساً في تربية الاولاد فمن الصعب عليهما الاكتفاء بدور مساند. بل انهما قد ينغمسان في مهمات العناية بالطفل على نحو شبه كامل من دون ان يتيحا للابوين الجديدين فرصة التعلم. ويصف العديد من الآباء الجدد اهلهم بانهم ذوو نزعة مسيطرة تطفلية وانهم يظهرون الكثير من عدم الثقة. وبناء على هذا كله يسعى هؤلاء الى ايجاد طرق لوقف تأثير الجدين في مجريات الامور واخراجهما من اطار العلاقات العائلية الفاعلة.

ان البحث عن وسائل تحول الجدين من شخصين "آمرين" الى شخصين "مساندين" يساهم في تحسين العلاقات العائلية ولكن تلزمه في حالات كثيرة مساعدة محترف.

● **للجدين ان يفيدا من حقوقهما الشرعية.** حتى سنوات قليلة لم يكن في وسع الاجداد الذين ابعدوا عن احفادهم تغيير الواقع باي مستند قانوني. بل كان عليهم ان يرضخوا لرحمة اولادهم او ازواج اولادهم. اما اليوم فقد تغيرت الامور كما يقول المحامي ليلاند انغلبارت من ولاية كونتيكت المتخصص بالقانون العائلي. ويضيف: "في كونتيكت اليوم قانون يلزم المحكمة النظر في حقوق الاجداد الذين يرغبون في المحافظة على جدول زيارات لاحفادهم." اما في فرجينيا فيمكن المحاكم ان تمهد لزيارات الاجداد في حال طلاق الابناء. ويخول قانون اوهايو القضاة ان يمنحوا حقوق الزيارة "اي شخص يظهر اهتماماً شرعياً يكون لمصلحة الطفل."

ولكن يجب ان يكون اللجوء الى الضغط القانوني آخر باب يطرق. فمعظم القضاة يجهلون التعقيدات النفسية في موضوع العلاقة بين الاجداد والاحفاد وكثيراً ما يصدرون قراراتهم مسقطين أهمية هذه العلاقة.

ولحسن الحظ ان المحاكم في بعض الولايات الامريكية لجأت الى مرشدين اجتماعيين واطباء نفسانيين واختصاصيين آخرين ليساعدوا جميعاً في اسداء المشورة اللازمة الى الاطراف المتنازعة ليتم تحديد برامج للزيارة بحسب ما تقتضيه مصلحة الولد.

واذ يعين المستشار العائلة في تحديد مصاعبها فانه يحافظ على سلامة العلاقة بين الجد والحفيد. ولا يقلل هذا من الاحتكاك السائد لكنه يجسد للاولاد مثلا جيداً في طريقة حل الناس خلافاتهم بعقلانية واعية.

● **أفيدوا الى اقصى الحدود من زيارتكم لاحفادكم** • إذا وقع الطلاق، اليكم خمس قواعد يتبعها الاجداد للمحافظة على علاقة حميمة مع احفادهم:

١ • حاولوا أن تدركوا أهمية الوقت الذي تقضونه معاً • لا تنظروا اليه بلا مبالاة على انه "عصر يوم آخر نقضية مع الاولاد" • اجعلوهم يشعرون انهم جانب ثمين ومهم في حياتكم وانكم تتمتعون بتلك الفترة التي يوكلون بها اليكم • اصغوا اليهم •

٢ • حاولوا ان تحضروا المناسبات العائلية • فايام العطل واعياد الميلاد وحفلات التخريج تحمل معاني خاصة للاولاد سيتكلمون عنها طويلا، ووجودكم هناك سيدخلكم دائرة حياتهم ويجعلكم جزءاً منها •

٣ • اذا كانت تفصلكم المسافات، ارسلوا اليهم صوراً وتذكارات تكشف حبكم واهتمامكم • أذكر واحدة من مرضاي هي طفلة في العاشرة لم تكف يوماً عن ان تريني آخر صور لجديها على رغم وجود جدين جديدين بحكم زواج ابيها ثانية •

٤ • اتصلوا بهم هاتفياً بين زيارة واخرى واكتبوا اليهم • فالاولاد يحتفظون بالرسائل ويتباهون بها امام اصدقائهم • ثم ان الرسائل تمكنهم من تكوين صور ذهنية عنكم وعن طبيعة حياتكم •

٥ • حدثوهم عن آخر اخبار الاقرباء • ففي وسعكم ان تكونوا رابطاً جوهرياً ليس فقط بلملمة ما تفرق ولكن ايضاً بالتحبب والتقرب من الاولاد •

ان الاجداد الذين يبذلون الجهد ولا يضنون بالوقت للمحافظة على العلاقة مع احفادهم هم نماذج تحتذى • فبالتعبير عن حبهم وتفانيهم يهبون احفادهم تلك المعرفة الخاصة وتجربة الانتماء الى عائلة • وهذا عامل حاسم في نمو الاولاد صحياً وعاطفياً واجتماعياً • وانفصال الاجداد عن الاحفاد بسبب الطلاق هو محصلة جانبية مؤلمة لما يحدث في العائلات اليوم • ولكن ليس من الضرورة ان يبقى الامر كذلك •

■ **آرثر كورنهابر**

اسد ديبلوماسي

صادف أسد ضخم الجثة سعداناً صغيراً في الغاب، فأسرع نحوه وسأله: "من هو ملِكُ الغاب؟" فأجاب السعدان وقد أخذه الهلع: "أنتَ يا سيدي" •
وتركه الأسد يمضي في طريقه •

ثم مرّ حمار وحش، فأوقفه وزمجر فيه: "من يكون ملك الغاب؟" فقال له وهو يهتز خوفاً: "أنتَ يا سيدي" • فتركه هو الآخر يتابع طريقه •

وبعد قليل صادف الاسدُ فيلا، فطرح عليه السؤال نفسه • لكنَّ الفيل انقض عليه ورماه بعيداً • واستجمع الأسد قواه وعاد الى الفيل خائباً وهو يقول: "المعذرة! ولكن لا يجوز أن تثور ثائرتك لأنكَ لا تعرف الجواب" •

ج • ر •

نحوّل همسك صراخًا...
النهار العربي والدولي
إنطلاقاً مِن قناعتها بأنها مجلّة القارئ أولاً، تفتح النهار العربي والدولي صدر صفحاتها منبراً تستطيع أن تعرض آراءك مِن خلاله بحرية كاملة فتصبح، وأنت في موقعك، واحداً مِن محرّريها.
عالج أيّ موضوع تشاء - في السياسة أو الاجتماع أو العلم أو الأدب أو الفن أو شؤون المرأة وارسل مقالاتك (في ٣ أو ٤ صفحات بالآلة الكاتبة)، وارفقها بصورتك إلى العنوان التالي:
صندوق البريد ١١٦٨٨ بيروت-لبنان P.O.BOX 11688 BEIRUT-LEBANON

صديق العمر

اشتركوا في المختار

NAME	....	الاسم :
ADDRESS	....	العنوان :
	....	
PROFESSION	....	المهنة :
SIGNATURE	....	التوقيع :

NAME	....	الاسم :
ADDRESS	....	العنوان :
	....	
PROFESSION	....	المهنة :
SIGNATURE	....	التوقيع :

تملأ القسيمة ـ بالعربية او الاجنبية ـ وترسل بالبريد الجوي المسجل (المضمون) مرفقة بشيك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً، وهو بدل الاشتراك بـ١٢ عدداً لمدة سنة، الى العنوان الآتي:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت. لبنان

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار".

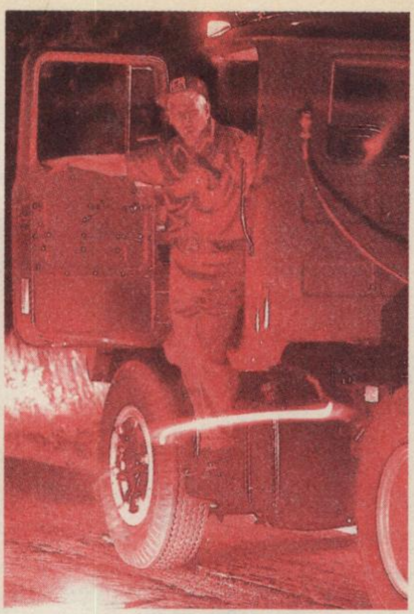

الفارسُ المَجهُول

كان يهب للمساعدة كلما وجد احداً في ضيق وينسحب من غير ان يذكر اسمه... وأخيراً جاءته المكافأة إذ بات عمله قدوة للآخرين

وقرر توم كارني ان يلقب نفسه "بلو ماكس" بعدما تدخل للمرة الاولى في حادث اصطدام وقع على طريق ولاية فرجينيا الامريكية التي تصلها بالولايات الاخرى، وذلك في مساء ربيعي من العام ١٩٧٢. فقد اتكأ رجل نازف على شجرة يبكي ويصيح: "أخرجوا زوجتي من هناك." ورأى كارني المرأة تسقط داخل السيارة المسحوقة. وركض اليها، فوجد نفسها منقطعاً. واخرجها وباشر انعاشها بنقل الهواء عبر الفم.

ولما استعادت المرأة وعيها صعد كارني الى شاحنته الزرقاء وادار محركها. وفي البعيد رأى سيارة شرطة آتية نحو مكان الحادث. وسألته المرأة: "ما اسمك يا سيد؟" فأجاب: "بلو ماكس. سميني بلو ماكس."

وفي الاشهر اللاحقة بدأ سائقو الشاحنات يتناقلون الروايات المختلفة عن شخص مجهول يهب لنجدة ضحايا حوادث السير على تلك الطريق ثم يختفي بعد ان يعلن ان اسمه بلو ماكس.

وعند هبوب عاصفة ثلجية تولى الشخص نفسه انقاذ احد عشر سائقاً انهالت على شاحناتهم اكداس الثلج، ونقلهم في شاحنته الزرقاء الى مكان آمن. وفي عاصفة جليدية اخرى في

Condensed from Yankee (September' 82), (c) 1982 by Yankee Publishing, Inc., Dublin, N.H. Photo: Carole Allen.

مدينة بفالو في نيويورك وجد بعض اصحاب السيارات التائهين ملاذاً في مقطورة شاحنة زرقاء، فيما قدم السائق الجزء الامامي الدافىء من شاحنته لأطفال اولئك الناس. ثم زودهم بالمال والطعام واللباس وقال لهم قبل ان يتركهم: "لا اريد سوى مكافأة واحدة في المقابل، وهي ان تفعلوا شيئاً مماثلا في مواقف مماثلة."

كيلومترات شاقة - يرفض توم كارني ان يبوح بعدد الاشخاص الذين انقذهم. وهناك اغنية شعبية يرددها سائقو الشاحنات تقول انه انقذ ١٤ شخصاً. لكنه يهز كتفيه كمن لا يعرف شيئاً. ولقد لقبه زملاؤه "بطل سائقي الشاحنات." لكن ذلك يزعجه كما لو كان يرتدي قميصاً خشناً فوق لحمه العاري. وهو في السادسة والخمسين وأب لستة اولاد ويعيش في بلدة سيكونك من ولاية مساتشوستس. وتلتمع عيناه الزرقاوان في وجه خال من التغضّن وتحت شعر أبيض وقلنسوة خاصة بسائقي الشاحنات.

ويقدر كارني انه خلال ٢٨ سنة من قيادة الشاحنات قطع قرابة خمسة ملايين كيلومتر. وهي "كيلومترات شاقة" كما يصفها. ولقد احترق بعض الشعر في رأسه وهو يرفع ضحايا الحرائق من الركام. وعانى ارتجاجاً دماغياً أربع مرات مما سبب له صداعاً يفقده وعيه احياناً. وهو يقر اليوم بما رفض الاقرار به سابقاً، ألا وهو عدم ملاءمة قيادة الجرارات الكبيرة له.

ويروقه ان قلة خارج محيطه تعرف أنه هو بلو ماكس عينه. وأحياناً يجلس في استراحة لسائقي الشاحنات ويتناول فنجان قهوة يتخلله بعض كلام حول شؤون المهنة. وهو يحب في تلك المناسبات سماع الروايات الاسطورية. وفي سوق المزايدات تلك كان يجد نفسه مضطراً الى اخبار بعض ما حدث معه.

وكتبت احدى اولئك الذين تسنى له انقاذهم الى دائرة الشرطة تقول: "لم يترك وقتاً لأحد كي يشكره، إذ كان يولي سريعاً بعد انجاز عمله الانساني."

عندما كان كارني في الثانية عشرة توفي ابوه الذي لم يعرفه اولاده البتة، إذ انه ترك عائلته في مساتشوستس خلال فترة الجمود الاقتصادي التي عانتها الولايات المتحدة في مطلع الثلاثينات. مات الوالد في حريق شب في احد سجون كولورادو يوم كان نائباً لعمدة المدينة. وأُخبر الولد ان اباه قضى وهو يحاول انقاذ سجنائه من الحريق. وما لبثت والدة كارني ان توفيت بعد اصابتها بالسرطان. ووجد نفسه وحيداً وهو في الثالثة عشرة، فوقف على الطريق وراح يتنقل من سيارة الى اخرى حتى بلغ ولاية ماين. وهناك صادف تاجر خيول رق لحاله ووافق على ان يعطيه فرصة للعمل لديه. وكان الاثنان ينقلان الجياد الى شاريها في شاحنة مخلعة وينقذان كل زميل يريانه متعرضاً لحادث على الطريق.

واضطر كارني الى تلفيق رواية

حول سنه للحصول على وظيفة في الاسطول التجاري وهو في السادسة عشرة. وتعرف على فتاة من بلدة بروفيدنس في رود آيلند وتزوجها عام ١٩٥١. ومع الوقت تحول ذلك المتشرد رب عمل يملك شاحنته.

تحت الشاحنة – في يوم من ربيع ١٩٦٤ كان كارني يقود شاحنته بتمهل بالقرب من الحدود بين فيرمونت وكندا. وسمع صوت الهواء وهو يتسرب من كابح الشاحنة ذات العجلات الثماني عشرة. وكانت السيارات متوقفة على الحدود امامه. وانعطف يميناً على أمل العثور على حقل يوقف الشاحنة فيه. واتى عليه الخوف لدى مشاهدته اولاداً يعبرون الطريق عند اسفل التلة. وإذ ذاك ادار الشاحنة يساراً حتى كادت ان تنقلب. لكنها توقفت بفعل ارتفاع التلة. وحاول العودة من حيث اتى لكنه وجد ان الكابح لا يعمل. وهنا انعطف يميناً فانقلبت الشاحنة وسقط هو تحتها.

وكانت الصدمة من القوة بحيث لم تُتوقع له النجاة. وجاء في التقرير الطبي انه اذا كان سيخرج حياً من ذلك الحادث، فهو سيبقى مقعداً طوال حياته. وحاول مريض آخر في المستشفى ان يرفع معنوياته في الأيام اللاحقة. وذات يوم قال له كارني: "اذا قُيض لي الخروج من هنا، فاني سابذل قصارى جهدي لمساعدة الآخرين. ولن أجبن او اهرب من اي حادث اراه، بل سأقف وافعل كل ما استطيعه من اجل المصابين."

وبعد اسابيع غادر كارني المستشفى. وغدا كأنه مرسل من العناية الالهية الى ضحايا الحوادث. وفي احد المنتجعات شاهد مراهقَين في سيارة ولاحظ دخاناً يتصاعد من نوافذها. فأسرع الى المكان وطرق حديد السيارة. وإذ لم يأته اي جواب حطم الزجاج ودخل. واشتدت الرائحة المتصاعدة من العادم وهو يحملهما خارجاً. وهناك انعشهما بنقل الهواء عبر الفم.

وعلى اثر فيضان مفاجىء مر بسيارة عُقدت شريطة بيضاء في رأس الهوائي الصاعد منها. وكان الماء يكاد يغمر السيارة عندما ركض كارني ووجد زوجين شابين داخلها يحضنان طفلا. واخبراه ان حرارة الطفل مرتفعة وان عليهما الاسراع به الى مستشفى. وبلل كارني منشفة ولف بها الطفل فزالت الحمى عنه. وجرّ السيارة الى الطريق الجافة. وبعد اسابيع سمع زملاءه يتكلمون عن امرأة قالت ان شخصاً اسمه بلو ماكس انقذ حياة طفلها.

القدوة – أقام سائقو الشاحنات في ولاية كونتيكت لوحة تكريمية حفروا عليها الآتي: "الى بلو ماكس، اجلالا لأفعاله الانسانية على الطرق." ووضعوا اللوحة في موقف شاحنات املا في ان يأخذها ذلك الشهم المجهول. وتوقف كارني هناك غير مرة وسمع زملاءه يخبرون بفخر كيف ركبوا مرة مع بلو ماكس. وحاول بعضهم ادعاء حقه في اللوحة. وأخذ كارني ورقة نقدية من فئة الدولار وقطعها اثنين وارسل احد نصفيها بالبريد الى موقف

الشاحنات مع الملاحظة الآتية: "إن بلو ماكس هو الشخص الذي يحمل النصف الآخر من هذه الورقة." وفي السنوات التالية لم يكف السائقون عن كلامهم حول اللوحة التي لم يظهر صاحبها الحقيقي بعد، كما رووا اخباراً عن مزيد من السائقين الذين يتوقفون لمساعدة ضحايا الحوادث.

وفي يوم من العام ١٩٧٧ سمع كارني زميلا يقول لآخر في موقف كونتيكت للشاحنات انه بلو ماكس وان اللوحة ستكون من حصته. وعندئذ سحب كارني نصف الدولار من جيبه واعطاه لابنه كي يسلمه الى المرأة المسؤولة هناك. وفي المساء التالي تسلم كارني اللوحة وسط عدد من زملائه المتهللين. وللمرة الاولى عرفت انجلينا كارني هوية زوجها الاخرى.

وكان التاسع من يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩ يوم توم كارني في رود آيلند على مقربة من منزله في سيكونك. ذلك ان حفلة تكريمية اقيمت له على ما بذله من أجل احداث المدينة وعلى افعاله البطولية لانقاذ ضحايا الحريق. ولم تُذكر اي كلمة عن شخصيته الاخرى، عن بلو ماكس الذي كان شبه مجهول خارج عالم الشاحنات.

وبعد سنة كان توم مصاباً بذات الرئة وهو طريح الفراش عندما سمع عبر جهاز الراديو الخاص بالشرطة ان صبياً سقط في بركة جليد قريبة. ولدى وصول كارني الى المكان شاهد حشداً من المتفرجين واطفائياً يرمي حبل نجاة الى البركة. وفيما الصبي يحاول يائساً التقاط الحبل، هرع كارني الى حافة البركة ثم قفز وأدنى الحبل من الصبي الذي تشبث بسلسلته هذه المرة. ورُفع كارني من البركة وهو على وشك الاغماء.

وطار كارني حديثاً الى ولاية فلوريدا وباشر سلسلة رحلات في سيارة صديق. وهو يقطع ٢٥٠٠ كيلومتر شمالا من غير توقف طوال ثماني ساعات كما كان يفعل في شبابه. إلا أنه رضخ للواقع، وهو عجزه عن قيادة الشاحنات الضخمة او بالأحرى عدم ملاءمة ذلك له.

ولدى مروره بمواقف الشاحنات ما زال يرى احياناً لافتات تشكر بلو ماكس على اعماله الشهمة في مينيسوتا وكاليفورنيا وولايات اخرى. وهي أمكنة لم يرها منذ سنين، لكنه عرف ان سواه اقتدى به في تلك الأعمال الانسانية.

■ ميل آلن

سرقة اللص بألف

سرق لص عقداً من عنق سيدة، فأمسكته من ياقة قميصه محاولة القبض عليه. لكنه أفلت منها واختفى. ولما سُئلت لاحقاً عن أوصافه، قالت: "ان أوصافه لا تهمني البتة. فالعقد الذي سرقه ليس له من الذهب سوى البريق. أما القلادة التي انتزعتها من عنقه فهي من الذهب الخالص."

ر.١٠

من الغريب كيف ينطق المرء
احياناً بكلمات حقيقية لا يعرف هو معناها

النجمة و الوزير

م من بين رؤساء التحرير الذين عملت معهم في صحيفة "كريمزون" الناطقة باسم طلاب جامعة هارفرد الأمريكية كان كاسبار أكثرهم هدوءاً ولياقة. وكان يستميحني عذراً كلما أرسلني في مهمة أو كلفني أمراً. والحق اني لم أره منزعجاً إلا في عطلة نهاية الاسبوع التي أمضيناها قبل سنوات طويلة في المنزل الصيفي الذي يخص ذوي الآنسة ماريون خطيبة صديقنا الزوورث.

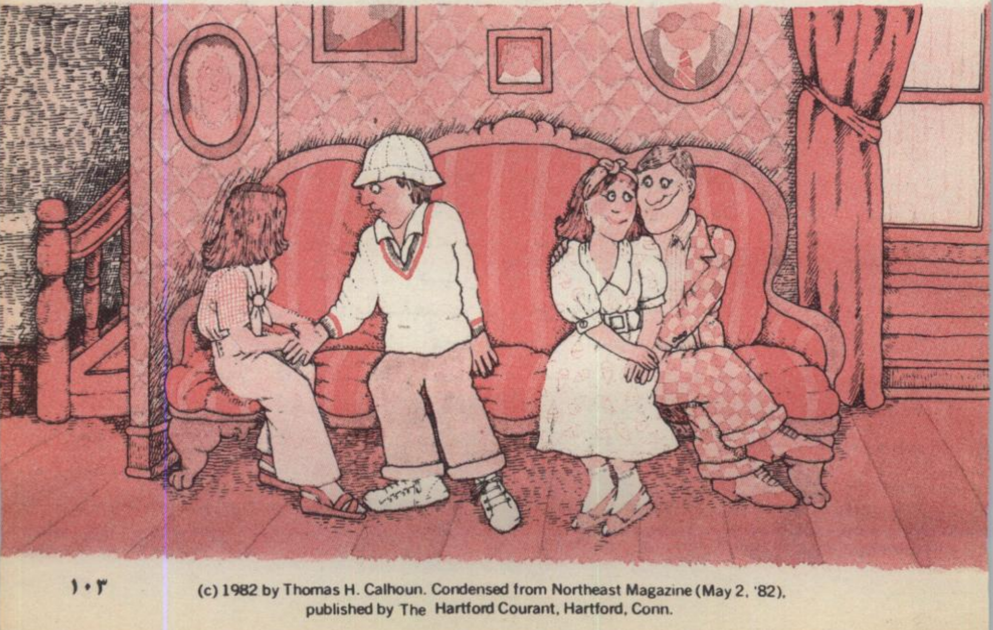

(c) 1982 by Thomas H. Calhoun. Condensed from Northeast Magazine (May 2, '82), published by The Hartford Courant, Hartford, Conn.

كنا نحن الثلاثة، انا وكسبار والزوورث، في طريقنا الى كاليفورنيا.

وكان كاسبار متوجهاً الى سان فرنسيسكو لتمضية الصيف مع عائلته، فيما حصل الزوورث على وظيفة صغيرة مع مخرج سينمائي هو صديق كيت شقيقة ماريون. أما أنا فكنت أعرف شخصاً في شركة مترو - غولدوين - ماير للأفلام وعد بأن يعرفني على بعض نجوم السينما.

غير أن ذلك كله حدث بعد نهاية الاسبوع الغريبة التي اقضيناها في بلدة فينيك من اعمال ولاية كونتيكت. وليس عجيباً ان يتذكر كل منا ما حدث بطريقته الخاصة. إلا اني سأسرد الأحداث كما بقيت في ذاكرتي منذ ذلك الحين.

زعيق نساء - كان المنزل مكاناً قديماً يحوي نحو ١٥ غرفة ويقوم على الشاطىء مباشرة وقد علت مدخله قبة مثلثة وحافة ناتئة. ولدى وصولنا في العصر الباكر من ذلك السبت كانت ماريون وأمها في انتظارنا. أما والد ماريون - وهو طبيب - فقد أخرته جراحة في مستشفى هارتفورد عاصمة ولاية كونتيكت. وبقيت احدى شقيقتي ماريون في بيننغتون (فيرمونت) لاجراء امتحاناتها الجامعية، فيما كان متوقعاً وصول الشقيقة الاخرى كيت من نيويورك في وقت لاحق وحدها او مع شخص يدعى هوارد.

وقادتنا والدة ماريون، أنا وكاسبار، الى غرفة ضيوف. وكان هناك حمام مشترك بين تلك الغرفة وغرفة اخرى للضيوف. وبعد العشاء خرجت ماريون مع الزوورث للتنزه على الشاطىء وانطلقت الام لاعداد غرف اخرى للزوار. وقال كاسبار الذي تؤثر عنه النظافة وحب النظام إنه سيستحم ويأوي الى السرير.

وبينما أنا في غرفتنا أصغي الى لحن يغنيه كاسبار تحت الدوش عن فتاة أحلامه، سمعت ضرباً قوياً على باب الحمام رافقه زعيق انثوي. وقال الصوت: "من هو الجلف الذي يستخدم الدوش؟"

وقطع كاسبار اغنيته عند عبارة "أحلى الفتيات جميعاً" وأطبق الصمت علينا بعد قطعه الماء.

وعاد الطرق على الباب أقوى مما كان وزمجر الصوت من جديد: "لقد سألت عن الجلف الذي يستعمل الدوش في الداخل."

وقطع كاسبار الماء مرة اخرى وظهر التعجب في صوته الآتي عبر الجدار: "هذا أنا، كاسبار."

وصاحت الفتاة الحانقة: "لا يهمني من أنت، بل المهم أن تخرج من حيث أنت إذ ان الدوش يخص هوارد وحده."

الوسواس - في الدقيقة التالية فتح بابا الحمام معاً. وخرج من أحدهما كاسبار الى غرفتنا وقد وضع منشفة حول خصره ومن الآخر دخلت فتاة ناحلة طويلة حمراء الشعر وفي عينيها الخضراوين نار الغضب العارمة.

وتبين أنها كيت شقيقة ماريون. وأوضحت أن صديقها هوارد يخشى

تسلل الجراثيم الى جسمه مما جعله يستحم تحت الدوش مراراً في اليوم الواحد. لكنه رفض البتة أن يستحم تحت دوش يستخدمه سواه خوفاً من انتقال الجراثيم إليه. وكانت غرف الحمام في ذلك المكان اسوة بالمنازل القديمة تحوي مغاطس فقط. لذلك ارتأت كيت، التي كان عملها في نيويورك يدر عليها مقداراً وافراً من المال، إقامة دوش خاص بصديقها. ويبدو أن هوارد كان في طريقه لتجريب ذلك الدوش للمرة الاولى. ولم تشأ كيت الفخورة بما أنجزت أن يدخل صديقها الحمام ليجد جراثيم كاسبار هناك.

وكانت كيت تلك فتاة ذات عزيمة قوية. وإذ رأت كاسبار واقفاً والماء ينزل من رأسه الى جسمه أمرته أن يعود الى الحمام وينظفه بدقة لئلا يعرف هوارد أن أحداً سبقه إليه.

وكانت الساعة بلغت الحادية عشرة ليلا وبدأت كيت تعبر عن غيظها لتأخر هوارد. ورجع الزوورث وماريون من نزهتهما على الشاطىء. ودخل المنزل شخص عرف عن نفسه بالأخ ديك الذي يعيش في العلية ويؤلف قصصاً مسرحية. وبما أن هوارد لم يأتِ والسهرة انقضت فقد أوينا كلنا الى أسرتنا، في ما عدا كيت التي ازداد غيظها وأصرت على انتظار صديقها.

وأفقت وكاسبار على انهمار المطر صباح الأحد. وبعد اهتدائنا الى غرفة حمام اخرى اغتسلنا وارتدينا ثيابنا ونزلنا الى الطبقة السفلى لنرى ما حصل بالنسبة الى هوارد. وعرفنا أنه لم يأتِ. وكانت كيت جالسة على أريكة وهي تتمتم. ونظرت الى كاسبار بغيظ شديد وقالت ان هوارد لم يخابرها أيضاً.

وجلست ماريون والزوورث على الطرف الآخر من الأريكة وشبكا يداً بيد. وراحت الأم وهي في مقعدها الكبير تخبرنا عن دورها في الحركة التي قامت في شبابها لمنح النساء حق الاقتراع. ونزل الأخ ديك من عليته شاكياً إعتاماً في عينيه يصيب الكتاب الممتهنين. ولكن بعدما رأى منظرنا استعاد بصره وقفل راجعاً.

أسرار كاسبار - بقينا هكذا نحو خمس دقائق اخرى. فجأة أعلنت كيت بحماسة: "أتعرفون ماذا؟ سأقرأ كفوفكم." ونظرت بخبث الى كاسبار كما لو كانت تحمله مسؤولية ما جرى لصديقها هوارد. وقالت له: "أنت... لقد نسيت اسمك."

وأجاب باحتشام: "كاسبار."

قالت بلهجة حازمة لا تخلو من وعيد: "حسناً يا كسبار، سنبدأ بك. تعال اجلس بالقرب مني ودعني أرى كفك."

ومن غير أن يتخلى قيد شعرة عن لياقته جلس كاسبار حيث اشارت ومد يده. وحملت كيت راحته واخذت تتفرس فيها دقيقة وهي لا تقول شيئاً. وبدا ذلك غاية في التركيز.

وقالت كيت: "يا لها من يد تحوي أخباراً كثيرة."

وبدأ كاسبار كما لو أعتق أخيراً من كابوس. وهو كان يعتقد أن كلمة رقيقة واحدة من شأنها إزالة الغضب.

ودفعت إحدى أصابعه قليلا

وأضافت: "يبدو بحسب الظاهر أنك سهل القياد. لكنك في الواقع شديد العناد."

ودهش كاسبار قليلا فيما تابعت كيت: "الواقع أنك تخفي تحت هذا الهدوء شخصاً هجومياً عنيفاً."

وهنا ارتخى فكا كاسبار الذي سقط عليه نبأ "العرافة" كالصاعقة.

وصمتت قليلا ثم قالت: "يمكنني أن أرى في مستقبلك شيئاً ذا طبيعة عسكرية قوية. وأنا لا اطيق الروح العسكرية البتة." وأضافت وهي تشد يده كأنه تلميذ شقي: "لماذا أنت مزمع على فعل هذا كله؟"

– على فعل ماذا؟

"كل هذه الأمور العسكرية."

– ربما لن أفعل شيئاً مما تقولين.

إلا أن كيت لم تكن تصغي الى ما يقول، بل تفحصت كفه من جديد وقالت: "أظن يا كاسبار أن في إمكانك أن تضلل الناس عن عمد. فهذا الخط هنا ينم عن طموح غير طبيعي أو بالأحرى عن طموح تعوزه الشفقة. وهذا لا يصعقني فحسب، بل يخيب أملي."

أبيض وأحمر – ارتفع الدم غيظاً الى وجه كاسبار وعلا اللون الاحمر قميصه الأبيض.

وعبست الآنسة وقالت: "إني أرى القوة في مستقبل أيامك. وهي قوة كبيرة ومخيفة."

ولا شك في ان هذا كان بعيداً عن الحقيقة، إذ ان طموح كاسبار الوحيد كان أن يغدو محامياً في سان فرنسيسكو، كأبيه.

وأضافت كيت مرنمة: "كن حريصاً يا كاسبار... كن حريصاً بالنسبة الى طريقة استخدامك هذه القوة."

ولم يعد كاسبار يطيق ذلك وحاول التملص من كيت. لكنها كانت كل مرة تحكم قبضتها عليه. وراح يسعل بعصبية.

وسألها: "ماذا عن المال؟ هل سأصبح غنياً؟" وتقطب جبين كيت وهي تجيب: "ما منفعة المال اذا لم يعرف المرء كيف يستخدمه؟"

وكاد كاسبار أن يفقد معنوياته لكنه طرح سؤالا أخيراً: "وهل سأعمر طويلا؟"

ونظرت إليه كيت بهدوء وقالت: "طويلا، طويلا جداً." وأفلتت يده.

وللحفاظ على المظاهر قرأت كيت كفي انا أيضاً وأخبرتني أني سأستهل رحلة بحرية طويلة. وصح ذلك إذ اني لم أرَ اليابسة طوال أربع سنوات إبان الحرب العالمية الثانية. ورحت أتساءل هل ان نبوءتها ستصح يوماً بالنسبة الى كاسبار.

واليوم أعرف، كما نعرف جميعاً، ما حدث. غير اني لا أدري كيف امكن تلك الفتاة أن تقول ما قالت. كذلك أجهل ما إذا كانت الممثلة كاترين هيبورن، المولودة عام ١٩٠٩، تتذكر ذلك الأحد الماطر من صيف ١٩٣٧ يوم قرأت كف كاسبار واينبرغر، المولود عام ١٩١٧ ووزير الدفاع الأمريكي حالياً، وهي تنتظر عبثاً مجيء هوارد هيوز (١٩٠٥ – ١٩٧٦) الصناعي والطيار ومنتج الأفلام والمليارديرالامريكي الغامض.

■ **توم كالهون**

الانكليزية لغة العصر

كما كانت اللاتينية في ايامها لغة العصر، هكذا الانكليزية اليوم. فما هي اسباب انتشارها؟

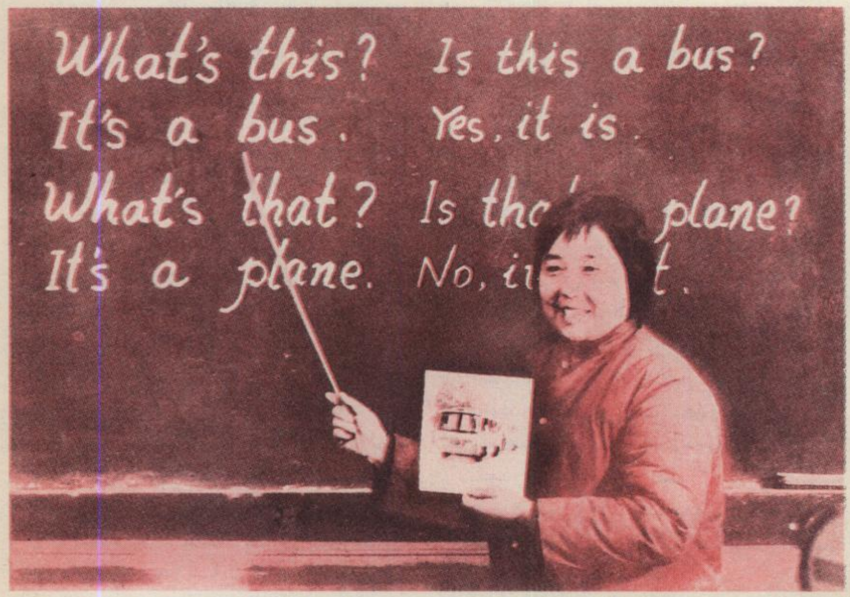

تعليم الانكليزية في احدى مدارس جينان شمال شرق الصين.

□ يبث التلفزيون الصيني اثنتي عشرة حلقة اسبوعية او نحوها من برامج تعليم اللغة الانكليزية. واكثر هذه الحلقات شعبية واحدة باسم "اتبعني" اعدتها هيئة الاذاعة البريطانية لتعليم الانكليزية حول العالم. والطريف ان نجمة الحلقة كاثي فلاور غدت شخصية مرموقة في الصين، وبات المعجبون الصينيون يكتبون اليها الرسائل بمعدل مئة رسالة في الاسبوع بينها عروض زواج.

□ المغني البولوني ميشال لوجينسكي يؤدي معظم اغانيه بالانكليزية، إذ

Condensed from Newsweek (November 15, '82), (c) 1982 by Newsweek, Inc., New York, N.Y. Photo: New China Pictures.

انها من نوع "الروك" العصري الذي تكثر فيه عبارات مثل "بيبي بيبي" و"بيه بيه" ولا مرادف لها في لغته.

□ في الهند ١٥ لغة وأكثر من ١٥٠٠ لهجة. ولم يجد الهنود بدأ من الانكليزية للتفاهم في ما بينهم. وتقول احدى نسائهم: "كان مستحيلا علي الزواج لولا الانكليزية. فزوجي من الشمال ويتكلم الهندية، وأنا من الغرب حيث الكونكاني هي اللغة السائدة. ولا أزال أجد صعوبة في الكلام مع امه، وان لم يكن هذا بالأمر السيء."

ولئن تكن الشمس في ايامنا هذه تغرب بانتظام عن علم بريطانيا، إلا أنها لا تغرب البتة عن اللغة الانكليزية. ومهما يكن موقف المرء الشخصي من هذه اللغة، فلا نكير انها اقرب ما تكون الى اللغة الشاملة حول العالم كما كانت اللاتينية يوماً. ويبلغ عدد الناطقين بها ٤١٤ مليوناً، اي واحداً في العشرة من سكان العالم، بزيادة ١٥ في المئة خلال السنوات العشرين الاخيرة.

والانكليزية احتلت مكان الفرنسية في عالم العلاقات الديبلوماسية وأخذت مكان الالمانية في العلوم. وهي اللغة السائدة في حقول الطب والالكترون وتكنولوجيا الفضاء والطيران والتجارة العالمية والاعلانات والراديو والتلفزيون والسينما. ويقول روبرت بورتشفيلد محرر قاموس اكسفورد للغة الانكليزية: "كل متعلم على سطح الارض يكون محروماً إذا جهل الانكليزية."

وهذا ليس بالرأي الغريب. فتعليم الانكليزية كلغة ثانية أضحى تجارة تدر على اصحابها الملايين في بلدان العالم قاطبة.

والازدهار الذي تشهده اللغة الانكليزية يُرَدّ الى عوامل مختلفة:

١. التجارة العالمية. الانكليزية هي اللغة التي يتفاهم بها رجال الاعمال اليابانيون مع زبائنهم في الكويت والاسوجيون مع المكسيكيين. وهي اللغة التي يعتمدها صيارفة هونغ كونغ في سنغافورة. والسكرتيرات اللواتي يعرفن الانكليزية في المكسيك يمكنهن رفع رواتبهن على نحو ملحوظ. وفي مصر قد تتضاعف رواتب السكرتيرات عشر مرات إذا كن يعرفن الانكليزية.

وهناك شركات كثيرة متعددة الجنسية لا تنتظر ان يتعلم موظفوها الانكليزية بمبادراتهم الفردية بل تنظم لهم دورات تعليمية على حسابها. ومن هذه المؤسسات "تشيس منهاتن بنك" الذي يمنح موظفيه في زوايا المعمورة صفوفاً في اللغة الانكليزية. وفي المملكة العربية السعودية تتولى شركة "ارامكو" تعليم الانكليزية لأكثر من ١٢ الف موظف لديها. وثمة شركات اخرى ترسل ادارييها الى بريطانيا لمتابعة دورات اللغة والتدرب على المحادثة مع عائلات محلية.

٢. الديبلوماسية. في مؤتمر فرساي للسلام الذي عقد عام ١٩١٩ كانت الانكليزية احدى اللغات الرئيسية. وزعماء العالم اليوم من

اندريه غروميكو الى ياسر عرفات يجيدون الانكليزية. وهي اللغة الرسمية التي بات يعتمدها عدد لا يحصى من المؤسسات العالمية ومنها هيئة الألعاب الاولمبية ومنظمو مباريات ملكات الجمال.

٣. الفنون الشعبية. تطغى الانكليزية على موسيقى "الروك" في العالم كله. وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢ وُجد ان ١٣ اسطوانة من أصل افضل عشرين اسطوانة روك انتجت في اليابان تحمل عناوين انكليزية. ومعدل الكلمات الانكليزية التي تنطوي عليها اغنية الروك الواحدة في المانيا الغربية هو ٥٦ كلمة. وفي اسبانيا انزلت فرقة من مغني الروك الشباب اسطوانة حديثة حول تعلُّم الانكليزية ما لبثت ان انتشرت على اوسع نطاق.

٤. العلوم. هنا ايضاً أخذت الانكليزية مكان الالمانية على اثر هجرة عدد كبير من العلماء الالمان الى بريطانيا والولايات المتحدة إبان الحرب العالمية الثانية. وثلثا الدراسات العلمية اليوم يُنشر بالانكليزية.

لكن هذا كله لا يعني ان الانكليزية هي اللغة الاكثر انتشاراً في كل مكان. فالذين يتكلمون الصينية يفوقون المتكلمين الانكليزية إذ يبلغ عددهم ٧٣٠ مليوناً. إلا ان قلة ضئيلة من غير الصينيين تعرف هذه اللغة. كما ان هناك من يحاول الانتقاص من قدر الانكليزية. فقد عمد اكثر من ١٢ بلداً الى حصر انتشار الانكليزية الى حد إصدار قوانين تحرم استعمالها. وفي اواسط السبعينات عمد الرئيس الفرنسي الاسبق جورج بومبيدو الذي كان يجهل الانكليزية الى وضع "السلامة اللغوية" في رأس الاهتمامات القومية. وانشأ لجاناً حكومية غايتها محو الآثار الانكليزية من لغة الفرنسيس وابتكار معادلات فرنسية.

واقتفت الحكومة الاشتراكية الحالية أثر بومبيدو. ففي العام ١٩٨١ اصدر جان - بيار شوفنمان وزير الابحاث والصناعة آنذاك مرسوماً يحتم ترجمة كل ما تتناوله المؤتمرات التي تعقد على الاراضي الفرنسية وتعتمد الانكليزية، وإن يكن معظم المؤتمرين لا يتكلم الفرنسية. وفي الفترة نفسها دعا وزير الثقافة الفرنسي جاك لانغ - الذي تذكر كنيتُه بالأسماء الانكليزية - الى شنّ حملة قوية على ما سماه "الامبريالية الثقافية والمالية" الامريكية كما تتجلى خصوصاً في الأفلام والموسيقى والبرامج التلفزيونية.

وفي مقاطعة كيبيك الكندية باشرت الاكثرية الناطقة الفرنسية حملة شعواء ضد الانكليزية في السنوات الخمس الاخيرة. وحظرت الحكومة الانفصالية استخدام الانكليزية في الاعلانات واللوحات التجارية واسماء المحلات. وهي مزمعة على شطب عبارة «STOP» عن مواقف الحافلات والاكتفاء بعبارة «ARRET» الفرنسية. كما فرضت

قيوداً قاسية على ارتياد المدارس التي تعلم اللغة الانكليزية.

جواز مرور — من البلدان الاخرى التي حاولت صد هذه الموجة المكسيك. إلا ان جهودها لم تثمر كثيراً طوال العقود التي انتهجت فيها هذه السياسة. وها هي "لجنة مدينة مكسيكو للدفاع عن اللغة الاسبانية" تواجه اليوم مداً واسعاً للغة الانكليزية. ففي منطقة تجارية تمتد ١٥ كيلومتراً في العاصمة المكسيكية يحمل نصف المحلات اسماء أجنبية معظمها انكليزي. وفي اجزاء من العاصمة نفسها، يستطيع المواطنون التقاط شبكات التلفزيون الامريكية.

وتحاول سلطات تايلند منع اللاجئين الكمبوديين في مجمّع "خاوي - اي - دانغ" من دراسة الانكليزية على أمل ان يعودوا الى كمبوديا يوماً. غير ان آلاف اللاجئين يعمدون الى تعلم الانكليزية على رغم الغارات الدورية التي يشنها المسؤولون على صفوفهم السرية واسواقهم السوداء لبيع الكتب ومواد التعلم. ويهرع هؤلاء الى الخيم ثلاث مرات يومياً لدراسة الانكليزية على واحد منهم سبق ان تلقاها بالطريقة عينها. وهذه اللغة ذات أهمية بالغة بالنسبة اليهم، إذ تعني الخروج من بلد يرفضهم وتأسيس حياة عزيزة في الغرب.

هذا الانتشار الواسع النطاق للغة الانكليزية ولد حاجة الى صناعة مزدهرة هي اعداد المعلمين. وهناك اكثر من خمسين معهداً وجامعة في الولايات المتحدة اليوم اعتمدت برامج تعليمية تمنح بموجبها درجة ماجستير في تعليم الانكليزية كلغة اجنبية. وادى ذلك الى ازدهار في ميدان نشر الكتب التعليمية التي تدر على اصحابها في الولايات المتحدة وحدها ما يزيد على عشرين مليون دولار سنوياً.

ويبدو مستقبل الانكليزية القريب، كلغة عالمية شاملة، آمناً. بيد ان للانكليزية عدواً لدوداً هو الانكليزية نفسها. ويقول بورتشفيلد محرر قاموس اكسفورد: "كما تفرعت اللاتينية الى الفرنسية والايطالية وسواهما، ارى ان الانكليزية تنحلّ هي الاخرى الى انواع عدة. وهذه عملية ربما استغرقت قروناً." وقبل سنوات ثلاث نشرت المؤسسة المذكورة ما سمته "قاموس اكسفورد للغة الامريكية." وهذا الامر قد يبرد قلوب اولئك الذين يجدون في انتشار الانكليزية نوعاً من الاستعمار الثقافي. فاللغات المغيرة، مثلها مثل الجيوش المغيرة، قد تبدو كأنها تتجاوز كل ما يعترضها من عقبات، في حين انها قد تسقط في الشرك وهي لا تدري.

■ **جوزف ترين**

لغة المحامين

المحامي حاملا الوصية: "لكي اختصر قصة طويلة، اقول انه لا احد من الحاضرين هنا سينهمّ للضريبة المفروضة على الارث."

م.م.

أصداء من عالم الطب

جراحة الجياد

عندما يكسر حصان ساقه تطلق عليه النار! أليس هكذا؟

كلا! هذا كان في الماضي. أما اليوم فقد تغير الوضع. ففي المستشفى البيطري التابع لجامعة تافتس الامريكية (ولاية مساتشوستس) بدأ الاطباء يستقبلون الجياد المصابة منذ ينابر (كانون الثاني) ١٩٨١، مستخدمين البراغي والصفائح المعدنية وألياف الكربون لمعالجة الجروح البالغة في قوائمها.

ويقول الدكتور غوستاف فاكلمن استاذ الجراحة في المستشفى وأحد أشهر أطباء الجياد في الولايات المتحدة: "اننا نجري عمليتي تجبير أو ثلاثاً في الاسبوع، حيث نعالج كسوراً حصلت خلال السباق". والدكتور فاكلمن أحدث طريقة جديدة في معالجة الكسور تقوم على التجبير الداخلي. وطريقته هذه التي طورها في السنوات الأخيرة، أنقذت عدداً كبيراً من الجياد الاصيلة وأطالت سني خدمتها في حلبات السباق. ومن هذه الجياد واحد اسمه "بيت موس" اشترك في ٤٢ سباقاً بعد معالجته وكسب نحو ٣٠٠ ألف دولار.

وجراحة الجياد ليست بالعمل السهل. فالحصان يعطي مسكناً في البداية، ثم حقنة تؤدي الى استرخاء العضلات. وبعد ذلك يتمدد على الأرض، فيحقن بالمخدر ويحمله الاطباء الى طاولة العمليات. ويدخلون انبوباً في قصبته الهوائية لتبقى مفتوحة، وأحياناً يصلونه بآلة للتنفس الاصطناعي. ويقيس طبيب التخدير ضغط الدم لديه ومعدل دقات قلبه وعمل عينيه.

وتدوم الجراحة عادة ساعة أو أثنتين. وينهض الجواد على قوائمه بعد مدة تراوح بين ٢٠ دقيقة و٤٥ دقيقة. وبعد أربعة أيام يُصرف من المستشفى ليتبع تمريناً، من عناصره السباحة، قبل أن يعود الى حلبة السباق بعد فترة تراوح بين الأشهر الاربعة والسنة.

"اسوشيتدبرس"

القلب والانفعالات

"كان من الاضطراب بحيث ظننت أنه سيصاب بسكتة قلبية."

الذين يستعملون تعبيراً كهذا لا يقصدونه، في الغالب، بمعناه الحرفي. الا ان مجموعة من اختصاصيي القلب في بوسطن (ولاية مساتشوستس الامريكية) بمعاونة عدد من الأطباء النفسيين، نشرت تقريراً في "مجلة الاتحاد الطبي الامريكي" يُظهرُ علاقة بين الانفعالات والقلب. وقد بني التقرير على مراقبة ١١٧ شخصاً من مرضى القلب الذين عانى بعضهم ازمات قلبية حادة. وتبين ان ٢٥ من هؤلاء تعرضوا لاضطرابات نفسية قوية خلال الساعات الأربع والعشرين

التي سبقت ظهور الاعراض القلبية لديهم.
ومن المواقف التي لازمتها الاضطرابات النفسية المناوشات وانهيار الحياة الزوجية ووفاة أحد المقربين. وفي ١٧ حالة كان الغضب هو الانفعال الذي سبق النوبة القلبية. والحالات الاخرى تراوح بين الانهيار العصبي والخوف والغم والقلق الذي يصاحب تأدية الواجبات.
ويظن الباحثون ان هذه الاضطرابات تنتقل من الجهاز العصبي الى الوظائف القلبية. وينبهون أطباء القلب الى ضرورة مراقبة سجل حياة المرضى وانفعالاتهم، فضلا عن تخطيط قلوبهم المصابة.

مجلة "ديسكافر"

التشنُّج خلال النوم

طالما تشكى كثيرون من التشنُّج أو العُقَّال الذي يصيب أسفل أرجلهم أو اقدامهم ليلاً. وهذا نوع من التشنُّج يختلف كثيراً من حيث مصدره وأهميته عن الألم الذي يعانيه بعضهم في المكان نفسه خلال المشي أو التمرين. والنوع الثاني ناجم عن نقص في دوران الدم في تلك النقطة من الرجل. أما عُقَّال النوم فلا علاقة للدورة الدموية به، وانما هو يأتي من تشنُّج تلقائي لأعصاب الساق وباطن القدم.
وهذا معناه ان وضع القدم يتجه الى أسفل خلال النوم، مما يؤدي الى تقليص العضلات عند أسفل الرجل وعقب القدم. ويتأتى هذا الوضع عموماً من غطاء السرير الذي يشد على أقدام النائمين المستلقين على ظهورهم أو بطونهم. ويجدر بهؤلاء أن يضعوا أقدامهم في مكان ملائم بحيث لا يحشرها الغطاء في الاتجاه المؤدي الى التشنُّج. فاذا كنت تنام على بطنك، مثلا، دعْ قدميك تتدليان فوق حافة السرير.
ويمكن ان يفيد التمرين في تحرير أسفل الرجل والقدم من العُقَّال. والتمرين يحصل بأن يتكىء الشخص المعني بيديه على جدار وقدماه مثبتتان بقوة الى الأرض. ومزاولة هذا التمرين بين خمس ثوان وعشر يومياً قد يعين على طرد زائر الليل البغيض.

رسالة جامعة هارفرد الطبية

زرع الكبد

ان جراحة زرع الكبد لم ترافقها الضجة الاعلامية التي رافقت جراحة زرع القلب. وكان رائد الجراحة الاولى الدكتور توماس ستارتزل الذي يعمل حالياً في جامعة بيتسبورغ الامريكية في ولاية بنسلفانيا. وهو زرع أول كبد قبل ١٨ سنة. ومنذ ذلك الحين أجري ما يزيد على المئتي جراحة من هذا النوع في الولايات المتحدة. وقد عاش أحد مرضى ستارتزل ١٢ سنة بعد زرع كبد له، محطماً الرقم القياسي في التعمير بعد تلك الجراحة. ومن النساء اللواتي أجريت لهن العملية هناك اثنتان أنجبن أولاداً طبيعيين.
وبريطانيا تلي الولايات المتحدة نجاحاً في هذا المجال. وفي البرنامجين الامريكي والبريطاني اثبت عقار اختباري اسمه "سيكلوسبورين - أ" جدواه في تقوية المناعة واطالة العمر، خصوصا لانه يخفف الحاجة الى استخدام هرمونات الستيرويد التي تحول دون نبذ الجسم الغريب والتي تعوق نمو الاطفال على نحو خاص. وبرنامج الدكتور ستارتزل يشمل معالجة الاطفال الذين يعانون خللا في القناة الصفراوية.
وعلى رغم أن عملية زرع الكبد ما زالت محفوفة بالأخطار، إلا أنها تجاوزت المرحلة الاختبارية وبلغت طور النمو. وهي أمل كبير لمرضى الكبد الذين لا علاج آخر في حالهم.

مقتبس عن "المجلة الطبية البريطانية"

كتابُ الشهر

صانعو التاريخ

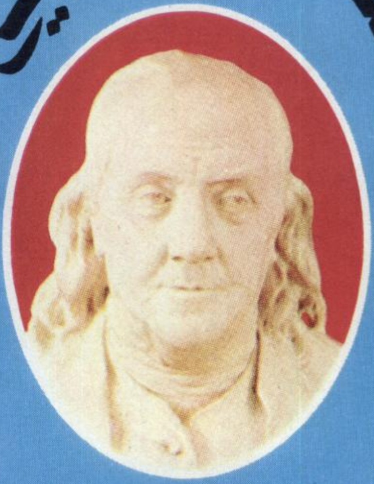

مُلخص من كتابٌ
بقلم توماس فلمينغ

صانعو التاريخ

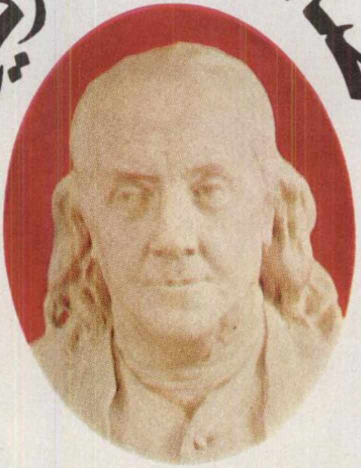

قلائل هم رجالات التاريخ الذين كانت لهم عبقرية بنجامين فرانكلين المتعددة الوجوه. فهو كان عالماً وسياسياً وفيلسوفاً ومخترعاً ومؤلفاً وديبلوماسياً. إلا ان عطيته الاولى كانت سحر شخصيته التي اجتذبت قلوب الأطفال والملوك على السواء.

في هذه السيرة الجديدة استطاع توماس فليمنغ ان يضع يده على ينبوع الغنى الانساني لدى فرانكلين. كما كشف النقاب عن مأساة ذلك الوالد الذي قدّم قوميته على الحب الاكبر في حياته.

Condensed from «The Man Who Dared The Lightning,» copyright 1970 by Thomas Fleming, published by William Morrow & Co., Inc., New York, N.Y. Bust of Franklin by Houdon, courtesy Metropolitan Museum of Art, New York, N.Y. Photo: Lee Boltin.

فيما أخذت الغيوم التي تحمل في طياتها الرعد تلبد سماء مدينة فيلادلفيا الامريكية، تلاطمت النوافذ واغلق التجار ابواب محلاتهم ووقفت النسوة يدعين اولادهن من الخارج. ورجا الناس ان تعتقهم تلك العاصفة من الرطوبة والحرارة في ذلك العصر من يونيو (حزيران). ولكن ما ان انطلق هزيم الرعد حتى سرت في بعضهم قشعريرة الخوف لادراكهم ان تلك الغيوم الكثيفة تحمل صواعق قاتلة من البرق.

ثمة شخص واحد ابتهج لهبوب العاصفة. ذلك كان بنجامين فرانكلين الذي انتظر اياماً حلول طقس كذاك. ولما رأى الغيوم وهو في منزله الواقع على مشارف المدينة، صاح بسرور: "بيلي!"

وبعد هنيهة جاء ابنه وليم ووجهه مشرق حبوراً. كان ذلك الشاب الوسيم في الحادية والعشرين وطوله ١٨٣ سنتيمتراً. وبهذا فاق أباه. لكنه، على قوة بنيته، كانت تعوزه عضلات والده وضخامة جثته، خصوصاً عند الصدر والمنكبين.

وسأل فرانكلين: "كل شيء جاهز، اليس كذلك؟"

وهزّ وليم رأسه. ثم ارتدى كل معطفه ودخلا غرفة امضى فيها فرانكلين معظم ايامه طوال السنوات الاربع الاخيرة. وكانت الغرفة مختبراً خصصه فرانكلين لاكتشاف اسرار الكهرباء.

وعلى طاولة مستطيلة هناك وُضعت أنابيب زجاجية وكُرات وقوارير غريبة الشكل يغلفها التنك تدعى "قناني ليدن" ويمكن اختزان الشحنات الكهربائية فيها. وظهرت في زاوية من الغرفة طيارة يدوية غير مألوفة، صُنعت من قطعة حرير كبيرة ورُبط شريط طويل برأس عمودها المستقيم. وأخذ وليم الطيارة وحمل بنجامين قارورة ليدن وغادرا المنزل.

وتحت المطر المتساقط رذاذاً قطعا المسافة الى منطقة المراعي المحيطة بالبلدة. وانتظر بنجامين داخل حظيرة اقيمت لاتقاء الأحوال الجوية الرديئة، فيما اسرع وليم عبر الحقل وأرخى العنان لطائرته التي ارتفعت وسط الريح الشديدة، ثم عاد الى حيث والده.

وكان فرانكلين يترقب بانفعال علّ ذلك يسفر عن نتيجة مُرضية. والمعلومات المتوافرة لدى الاوساط العلمية حول الكهرباء كانت ضئيلة جداً الى ان بدأ فرانكلين اختباراته. وفي تلك الاختبارات والبراهين التي تلتها، استطاع ان يرفع الحجاب عن اسرار الكهرباء الاولية ويستنبط فرعاً علمياً جديداً. وكان تسنى له اكتشاف الشحنات الموجبة والسالبة وابتكار مصطلحات مثل "بطارية كهربائية" و"موصل" و"مكثف." وهو الآن شرَع في اختبار فرضية جريئة تقول بان الكهرباء واحد والبرق.

وفي دقائق قليلة غدت الطائرة نقطة راقصة في صدر السماء. ووضع وليم الخيط في يد ابيه. وعلى ارتفاع سنتيمترات قليلة من يد فرانكلين رُبط السلك بعقدة حرير. والحرير مادة عازلة لا توصل الكهرباء. وهكذا غدت العقدة الوقاء الوحيد الذي يمنع

Insurance Company of North America

لوحة تعرض اختبار الطائرة. والحقيقة ان فرانكلين كان في السادسة والاربعين في ذلك الوقت، وابنه بيلي في الحادية والعشرين.

بلوغ شحنات البرق. ووضع مفتاح منزلي صغير بين السلك وعقدة الحرير، كان فرانكلين يأمل ظهور الشرارة الكهربائية عليه. وضرب المفتاح بعقدة اصبعه، لكنه لم يحس شيئاً.

وازدادت حدة العاصفة واكفهرت السماء واخذ البرق يومض. واشار وليم الى غيمة كبيرة كانت تعبر فوقهما وتنفجر راعدة. وراحت الطائرة تضطرب وسط تلك الدوامة، لكن المفتاح بقي بارداً خامداً.

وحدّق فرانكلين الى السماء وهو على حافة اليأس. واتجهت افكاره الى مئات الاختبارات دفعة واحدة وهو يحاول اكتشاف الخطأ. ثم نظر الى السلك المرتفع من يده. وشهق وهو ينقر ظهر ابنه لكي ينظر الى الحبل.

هناك انتصبت ابرة من كل جانب. ولمس فرانكلين المفتاح بعقدة اصبعه مرة اخرى، فسرت في يده الصدمة الكهربائية الأليفة.

وانهمر المطر بغزارة. وبينما هو يبلل الحبل رفع فرانكلين القارورة التي خرج سلك من سدادتها. وجعل السلك يلامس المفتاح، فراحت الشحنات الكهربائية تنسكب داخل القارورة.

وكانت تلك اللحظة تنطوي على اعظم الاخطار. فالعلماء يجمعون على ان نزول ومضة برق على الطائرة في

تلك الاثناء كان يعني اختراق الحرير وتحويل فرانكلين وابنه كتلتين من فحم. غير ان الأمر قضي بسلام ومرت العاصفة. وعاد الأب والابن الى المنزل وقد غمرهما فرح لا يوصف.

ولعجبه الشديد، تلقى فرانكلين بعد اسابيع عدداً من الرسائل التي تعلمه ان ثلاثة فرنسيين تأكدوا عبر الاختبار من صحة نظريته، بعد اعتمادهم طرائق شرحها في مقال علمي نشره قبل سنتين. وعرف إذ ذاك ان مقاله تُرجم الى لغات عدة وتلقفته الاوساط العلمية في اوروبا بحماسة.

إلا أن فرانكلين كان يفكر في فائدة اكتشافه العملية. وفي وقت متقدم من ذلك العام، وكان ذلك في اكتوبر (تشرين الاول) ١٧٥٢، نشر فرانكلين الوصف الاول للقضيب البرقي. وكما فعل بالنسبة الى اكتشافاته الاخرى، ومنها الموقد الذي يحمل اسمه والعدسة الثنائية البؤرة، طرح افكاره على الملأ من غير اي محاولة للحصول على براءة اختراع لحفظ حقوقه المعنوية والمادية. ولم ينقضِ وقت طويل حتى بات لقضبان البرق فعل السحر في انارة سموات فيلادلفيا وبوسطن ولندن وباريس.

وفي خمسينات القرن الثامن عشر كان الاعتقاد السائد لدى غالبية الناس ان البرق ينطوي على اسرار إلٰهية. فسقوطه المفاجىء والمدمر في مكان ما كان يفسر بسهولة على انه غضب إلٰهي. و"مروّض" البرق كان يُنْظَر اليه كشخص خارق. وأطلق ايمانويل كانت، أكبر فيلسوف في عصره، لقب "بروميثيوس" على بنجامين فرانكلين لأنه أنزل النار من الفضاء الى الارض. كما تلقى فرانكلين تهنئة شخصية من ملك فرنسا. ومنحته كل من جامعتي ييل وهارفرد درجة دكتوراه فخرية، واختير عضواً في الجمعية الملكية التي تمثل نخبة المشتغلين بالعلوم في بريطانيا.

وسُمّي فرانكلين "فيلسوف الكهرباء"، وغدا من أشهر الناس في العالم.

صبيٌ في فيلادلفيا

ذلك الرجل الذي ملأ اسمه العالم المتمدن وشغل الناس ترك المدرسة في السنة الابتدائية الثانية. وهو وُلد في بوسطن عام ١٧٠٦، وكان أصغر أبناء جوزيا فرانكلين صانع الشمع والصابون الذي أنجب ١٧ ولداً. وأدرك جوزيا أنه لا يستطيع ارسال اي من ابنائه الى الجامعة. وما ان ترك بنجامين المدرسة حتى الحقه بمصنعه. لكن الصبي اعلن لوالده بوضوح أنه يمقت حرفة إنتاج الشمع وهدده بالفرار الى البحر وامتهان الملاحة.

وفي الثانية عشرة من عمره انضم فرانكلين الى اخيه جيمس الذي كان ينشر صحيفة. وفي ساعات الراحة كان يقرأ كل كتاب تقع يده عليه. ولدى بلوغه السادسة عشرة كان اكتسب اسلوباً نثرياً جميلاً.

ومرة عنّ على باله ان يخدع أخاه، تقديراً منه ان شقيقه يرفض نشر اي قطعة تحمل توقيعه. لذلك زيف خطه

لوجبة خفيفة.
Moulinex
كل شيئ من مولينكس مُمتاز وسعرُه بسيط.
ان فتاحة العلب مولينكس لا تكتفي بحماية الأيدي من خطر أطراف المعدن الحادّة بل تتعدّى ذلك إلى شحذ السّكاكين.
كما أن الشوّاية "إكسبرس ديلوكس" فعّالة في تقمير السّاندويش كما هي في شوي أشهى اللحومَات.
أمّا مجمُوعة خفّاقة البَيض والكريما "مايجور" فهي الأداة المثلى لخفق البَيض وتحضير الكريمات الخفيفة كما أنها تغنْي عن عناء تحضير المعجّنات للحلويّات.
مولينكس تجعل الوَجبة الخفيفة بَسيطة.
فتّاحة علب مع مسَن سكاكين - مرجع ٣...
شوّاية إكسبرس ديلوكس - مرجع ٧٠٧
مجموعة خفّاقة "مايجور" - مرجع ...٥٨
سَلِمَت يَداكِ يا
مولينكس
Moulinex

وكتب مقالا بلا توقيع ووضعه ليلا تحت باب المطبعة. وكان ذلك نقداً قاسياً للعادات والاعراف السائدة في مستعمرة خليج مساتشوستس. ونشر جيمس تلك القطعة مع ثلاث عشرة قطعة على غرارها جاءته لاحقاً، قبل ان يخبره بنجامين انه هو الكاتب.

ولقيت تلك المقالات نجاحاً كبيراً. غير ان جيمس فرانكلين لم يرَقه الاهتمام الذي ابداه اصدقاؤه الادباء بأخيه بنجامين. وما لبث الخصام ان قام بين الاخوين، وغالباً ما كان جيمس يلجأ الى صفع بنجامين لفض النزاع. ولم يمضِ وقت طويل حتى أعلن بنجامين استقلاله. وتوجه من بوسطن الى فيلادلفيا، أهم مدينة امريكية في ذلك الحين. وبشجاعته المستمدة من براءة فتى في السابعة عشرة، أبحر أولا الى نيويورك وعبر نيوجرزي قبل ان يبلغ فيلادلفيا وقد هدّه الجوع والارهاق ولم يبقَ في جيبه غير دولار واحد. واشترى ثلاثة أرغفة كبيرة وهام على وجهه يلتهمها عبر الشوارع.

ووجد عملا في مطبعة. وما لبث ان صادف ديبورا ريد التي غدت زوجته. وهي ابنة صاحب حانوت كانت واقفة في مدخل بيتها عندما شاهدته ووقعت في حبه من النظرة الاولى. وكان افقه محملا بهموم يروقه تحرّيها أكثر من الزواج.

وفي العام ١٧٢٤ تعرّف على حاكم بنسلفانيا الجديد السير وليم كيث الذي وعده بأن يجد له عملا صحافياً لديه اذا وافق بنجامين على الذهاب الى بريطانيا لشراء عدة الطباعة.

وضرب فرانكلين بتوسلات ديبورا عرض الحائط وغادر المدينة في اسرع ما يمكن.

وجاءت نتيجة الرحلة اخفاقاً ذريعاً وكان كيث طلب من بنجامين شراء المعدات وتحويل ثمنها على حسابه المصرفي. ولكن سرعان ما تبين له ان حساب الحاكم لا وجود له البتة في لندن. واضطر الى العمل الوقتي في الطباعة بعدما وجد نفسه خالي الوفاض. وبقي في بريطانيا ١٨ شهراً عاد بعدها الى فيلادلفيا وقد زاد حكمة.

وكتب في سيرته لاحقاً: "بت أؤمن ان الحق والاخلاص والتمسك بالمبادىء الصحيحة هي أهم وسيلة للعلاقة بين الناس." ووضع لنفسه لائحة بالأولويات الخُلُقية وحاول التقيد بها على اتم وجه.

لكن ذلك لم يكن بالأمر السهل على الدوام. ووجد فرانكلين نفسه من الفقر بحيث لا يستطيع الزواج. وفي تلك الأثناء أقام علاقة مع امرأة أنجبت له ولداً غير شرعي. إلا ان فرانكلين اعلن مسؤوليته الكاملة تجاه الصبي الذي سماه وليم. وعلمته التجربة انه خير له ان يتزوج لئلا يتمادى في تلك السبيل.

وكان أسس مطبعة خاصة وأحس حاجة ماسة الى زوجة ترعى شؤونه. وادرك مع الأيام ان ديبورا هي نعم الشريك. وكانت تعيش في فقر مدقع بعدما هجرها زوجها الأول. ولما طرح عليها فرانكلين فكرة الزواج قبلت شاكرة. وبعد زواجهما وافقت على مجيء وليم الى البيت.

عشاء الفقراء

بعد سنوات قليلة من زواجه غدا فرانكلين اكثر الناشرين والمحررين والكتاب نجاحاً في امريكا. وأهم اعماله صحيفته "بنسلفانيا غازيت" التي سرعان ما غدت أوسع الصحف انتشاراً في تلك المستعمرات. ولم يقل عنها نجاحاً "تقويم ريتشارد الفقير" الذي بيعت منه عشرة آلاف نسخة سنوياً. وكان، كالصحيفة، مليئاً بتعليقات فرانكلين الذكية.

وفي صحيفته نشر فرانكلين رسائل من كتاب خياليين سرعان ما نالوا إعجاب القراء. كما ملأ صفحاتها بعشرات الأمثال التي استمدها من مصادر مختلفة، منها الكتاب المقدس والكاتبان الفرنسيان لا روشفوكو ورابليه. وغالباً ما كان يدخل تعديلات جمالية على تلك المختارات. والكثير منها كان مفعماً بحكمة هذا العالم:

"الاسماك، كما الزوار، يلزمها ثلاثة ايام لاصدار رائحة كريهة."

"اسوأ عجلات العربة تصدر اعلى الاصوات."

"افتح عينيك جيداً قبل الزواج، واغمضهما نصف اغماضة بعده."

إلا أن روح النكتة كانت جانباً واحداً من شخصية فرانكلين وعاملا مفرداً من العوامل التي جعلته مواطن فيلادلفيا الأول. وكان اسس جماعة "الجنتو" للقاءات الثقافية والمناظرات. والف مجموعة من ٢٤ سؤالا كانت تُطرح في كل اجتماع، احدها الآتي: **"هل لاحظت اخيراً اي انتهاك لحريات الشعب العادلة؟"**

وبمساعدة الجمعية والصحيفة انشأ فرانكلين اول دائرة اطفاء تطوعية في امريكا واول مكتبة عمومية تعتمد مبدأ الاشتراك. وبفضله اقيم مستشفى بنسلفانيا واكاديمية فيلادلفيا التي اصبحت مع الوقت جامعة بنسلفانيا. وساعد في تأسيس اول جيش غير نظامي في المستعمرة، وكان له الدور الاول في اصدار الاوراق النقدية هناك.

وبقي ست عشرة سنة مديراً للبريد في فيلادلفيا، متخذاً من تلك الوظيفة وسيلة لحماية صحيفته. وكان مديرو البريد يقتصرون على ارسال الصحف التي يملكونها. وفي العام ١٧٥٣ عُين فرانكلين نائباً للمدير العام للبريد في امريكا الشمالية كلها، وباشر برنامجاً لاعادة تنظيم الخدمات البريدية.

وادخل تعديلات ضخمة على البريد. وبعدما كان وصول الرسالة من بوسطن الى فيلادلفيا يستغرق ستة اسابيع بات يأخذ ثلاثة. وفتح فرانكلين باب الخدمة البريدية لجميع الصحف. وعهد في وضع اشارات على الطرق البريدية لهداية الموزعين على نحو افضل. وصمم طرقاً ومعابر مائية جديدة. وفي سنوات ثلاث تبدلت اوضاع البريد كلياً. وفي السنة الرابعة بدأ يدرّ ارباحاً للمرة الاولى في تاريخه.

وكانت شخصية فرانكلين الجذابة سبباً لان يظنه الناظر سهل القياد. إلا انه كان يخفي بعض خشونة تحت ذلك الغطاء. وفي مطلع عهده الصحافي، يوم كان يخوض حرباً ضد الصحيفة المنافسة "ميركوري": جاءه وفد من الاصدقاء لنصحه بتعديل

مواقفه السياسية. وكانت "ميركوري" تؤيد "حزب المالكين" الذي وقف الى جانب ابناء وليم بن الحاكمين، في حين عارض فرانكلين خطّ آل بن في الحكم.

ولما عرف فرانكلين ما يجول في اذهان اعضاء الوفد قال لهم ان لا وقت لديه للاصغاء اليهم ودعاهم الى العشاء في منزله. وتحلق الزوار حول المائدة، لكنهم اخذوا ينظرون بعضهم الى بعض بارتباك بعد رؤيتهم ان ديبورا لم تقدم لهم سوى العصيدة المصنوعة من دقيق الذرة واتبعت ذلك بأكواب الماء البارد.

وصب فرانكلين قليلا من العصيدة في صحنه وباشر الأكل. وحذا الضيوف حذوه. ولكن كلما هموا بالكلام لشرح موقفهم وجدوا ان العصيدة تسد افواههم وتكاد تحملهم على التقيؤ. وتابع فرانكلين طعامه من غير تعليق او حركة من وجهه. واخيراً طفح كيل الضيوف وسألوا عما يأكلون. فأجابهم فرانكلين على الفور: "أرأيتم الطعام المتواضع الذي يمكنني العيش عليه؟ إن الذي يعيش على الماء والنخالة المحلاة لا يحتاج الى وصاية احد."

الابن سرّ ابيه

مع ازدهار اعماله واستثمار ارباحه في العقارات اقترح فرانكلين على احد طابعي صحيفته، وهو ديفيد هول، ان يدير الصحيفة ويقاسمه الحصص والأرباح، على ان تنتقل ملكية الصحيفة والمطبعة والتقويم السنوي الى هول بعد ١٨ سنة. وبعد موافقة هول على الامر كرّس فرانكلين السنوات الأربع التالية من حياته لدراسة الكهرباء.

واكسبته اختباراته في ذلك المجال شهرة عالمية كما جعلته اسطورة في اعين مواطنيه. وكان فرانكلين يُسر بعرض الاعيبه الكهربائية على اصدقائه. وابتكر سهاماً برقية اصطناعية وجعل المعادن تتوهج والأسلاك تهتز. ووضع قضيباً برقياً على مدخنة منزله في الخارج ووصلها بجرسين على السلم. ووضع كرة نحاس صغيرة بين الجرسين ثبتها بخيط حرير. وكلما استمد القضيب شحنة كهربائية من الغيوم، كانت الكرة تتراقص وتضرب الجرسين معلنة ان البيت كله دخل ضمن طقوس الكهرباء.

وكان حب فرانكلين للخدمة العامة لا يقل عن حبه للعلم. ولم ينقض وقت طويل حتى أدرك انه ينبغي ان يعمل في السياسة. وفي العام ١٧٥١ انتُخب نائباً في مجلس ولاية بنسلفانيا.

وسرعان ما اصبح فرانكلين قائد المعارضة في وجه آل بن الذين كانوا يعيشون في بريطانيا ولا يهمهم من المستعمرة الامريكية سوى الحصول على اكبر مقدار ممكن من المال. ولدى اندلاع الحرب الفرنسية – الهندية على حدود بنسلفانيا عام ١٧٥٧، رفض آل بن ان يدفعوا اي ضريبة على اراضيهم من شأنها تقوية دفاع المستعمرة الذاتي. وصوّت المجلس بسرعة على ايفاد فرانكلين الى لندن بغية وقف تلك السياسة الهدامة.

وقبل فرانكلين ذلك على رغم ما يقتضيه من غياب طويل عن عائلته وعمله. وكان اعتاد العمل بعيداً عن ديبورا التي بقيت ابنة صاحب الحانوت الامية. وقاومت عمل زوجها في ميدان الخدمة العامة. وفضلا عن ذلك كانت تكره ابنه وليم.

ولم يكن في وسع فرانكلين ان يفعل شيئاً لتبديل ذلك الوضع. وأنجبت له ديبورا ولدين، فتاة اسمها سالي وهي صورة عن امها وفتى سماه فرنسيس لكنه قضى في سنه الرابعة على أثر اصابته بداء الجدري. وبعد وفاة ابنها حولت ديبورا حياة وليم جحيماً الى حد حمله على مغادرة المنزل. وكان فرانكلين يحب ديبورا، ولكن لم يخفَ على احد انه وهب ابنه وليم الجزء الاكبر من قلبه. ذلك ان وليم اخذ عن ابيه قوة التفكير وكان رفيقه الامين في جميع اعماله. ولدى ذهابه الى بريطانيا اخذ وليم معه.

وبقي الاثنان ست سنوات في لندن يخوضان حرباً قضائية ضد آل بن ويقيمان صداقات قوية. وكبرت عرى المحبة سنة بعد سنة بين الوالد وولده وقد اقتسما أوقات النصر والهمّ. وعندما اخبر وليم اباه انه غدا اباً لطفل غير شرعي، اخذ فرانكلين الصبيّ على عاتقه وسخا على تربيته وتعليمه. وتابع وليم دروسه وحاز شهادة في الحقوق. وتابع الاثنان قضية المستعمرة ضدّ آل بن حتى أُرغم حزب المالكين على التراجع واخضاع اراضي افراده للضريبة.

وكان ذلك نصراً ساحقاً. وتلاه نصر آخر يعود الى ديبلوماسية فرانكلين الذي تمكن في العام ١٧٦٢ من تعيين ابنه وليم حاكماً على نيوجرزي. وبعد اشهر وقف فرانكلين في قاعة المحكمة يصغي الى وليم وهو يُقسِم ان يحافظ على مُلك جورج الثالث فَي مقاطعة نيوجرزي. وفي تلك اللحظة اختبر فرانكلين فرحاً يفوق الوصف. فقبل الرحلة الى بريطانيا كان وليم موضع سخرية مجتمع فلوريدا وازدرائه من جراء الظروف التي رافقت ولادته. اما مستقبله الآن فبات مؤمناً بعدما رجع الى امريكا مع عروسه اليزابيت داونز ونال مركزاً يغدق عليه القوة والجاه.

وبعد تعيين وليم حاكماً عاد فرانكلين الى مزاولة حياته السياسية في بنسلفانيا. وكان انتُخب نائباً عن الولاية خلال وجوده في لندن. وفي تلك الأثناء اندلعت حرب هندية جديدة على طول الحدود الغربية لولايات نيويورك وبنسلفانيا وفرجينيا. ولم تنقضِ سنة على عودته حتى أُثيرت مسألة الضرائب مرة اخرى.

غير ان فرانكلين اعدّ هذه المرة مشروعاً ضريبياً منسجماً وبنود الاتفاق الذي وُقع في بريطانيا. وساءه كثيراً ان يكون آل بن استنكفوا من دفع اي ضريبة على اراضيهم التي تبلغ مساحتها ملايين الهكتارات، في حين ان اصغر الملاكين لم يتوانوا عن تسديد ما عليهم.

وسرعان ما اعد فرانكلين عريضة يطلب فيها من الملك انتزاع حكم بنسلفانيا من ايدي آل بن ووضعها في رعاية التاج مباشرة. وصوت

المجلس النيابي من جديد على ايفاده الى انكلترا· ورغبة منه في حل المسألة جذرياً وافق على الأمر، واعداً ديبورا بالعودة في مدة اقصاها اثنا عشر شهراً·

وفي ٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٧٦٤ رافقه وفد من ٣٠٠ صديق على ظهور الجياد من فيلادلفيا الى تشستر على نهر ديلاوير، حيث كانت السفينة "ملك بروسيا" في انتظاره· ولدى صعوده الى السفينة حياه دوي مدفع استُعير من مخزن الأسلحة في فيلادلفيا، وانطلق اعضاء الوفد بنشيد مُرتجل تحية للملك·

"اللهم احفظ ملكنا العظيم جورج،
ووفق ممثلنا فرانكلين···"

وعند ابحاره في اليوم التالي لم يَدْرِ في خلد فرانكلين ما كان ينتظره·

رسائل من الوطن

ما ان وصل فرانكلين الى لندن حتى توجه الى المنزل الرقم ٧ في شارع كرافن، وهو الذي سكنه خلال اقامته السابقة في انكلترا· وكان ذلك موضعاً ملائماً لقربه من مجلس النواب، وغدا مكان تجمع للاصدقاء·

لكن الزوار حملوا أنباء سيئة هذه المرة· فقد جاءه ممثلو الولايات الامريكية المختلفة في لندن بخبر مفاده ان البرلمان البريطاني على وشك اصدار تشريع يقضي بفرض رسوم بريدية على كل معاملة قانونية تتم في امريكا وتتناول مسائل شخصية كالزواج والشراء والارث·

وروع فرانكلين لدى سماعه النبأ· فالبرلمان البريطاني فرض سابقاً ضرائب خارجية على التصدير والاستيراد الامريكيين· لكنها المرة الاولى التي يقرر فيها البرلمان فرض ضرائب داخلية على الامريكيين· ووصلت أنباء ذلك المشروع الى امريكا واثارت رَوع المواطنين·

Charles Mills

ديبورا ريد فرانكلين·

وراح فرانكلين يوماً بعد يوم يتتبع تطورات المشروع في البرلمان· وعقد لقاءات في شأنه مع اصدقائه· غير ان جهوده ذهبت ادراج الرياح· وكتب الى صديق في فيلادلفيا قبل اقرار المشروع: "يبدو ان البرلمان سيقر مشروع الرسوم البريدية على رغم المعارضة التي اظهرناها·"

لكن فرانكلين لم يتوقع ردود الفعل

التي قامت في المستعمرات. ففي صيف ١٧٦٥ بلغت لندن أنباء تقول إن الامريكيين رفضوا الضريبة الجديدة. وقد عارضتها جميع المجالس التمثيلية والصحف من بوسطن الى فرجينيا. وهاجمت الجماهير منازل المسؤولين عن تحصيل هذه الضريبة وأضرمت في بعضها النار حاملة اصحابها على الاستقالة.

وتلقى فرانكلين رسائل عدة تحذره من العنف المتأجج. وكتب اليه شريكه في المطبعة ديفيد هول: "أتمنى لو كنتَ هنا، لكني في الوقت نفسه اخشى على سلامتك. والواقع ان الشعب يكنّ أقوى مشاعر العنف تجاه كل من يظنه ذا علاقة بقرار الرسوم البريدية. ولقد تسربت اخبار مفادها ان لك يداً في الأمر." وأسف الحاكم وليم فرانكلين لـ"سلوك الجماهير الغوغائي" في بوسطن، وأعلن بحزن استقالة مدير الضرائب البريدية في نيوجرزي.

إلا أن بيت القصيد في تلك الرسائل جاء في ما كتبته ديبورا فرانكلين التي أخبرت زوجها بلغة مفعمة بالانفعالات الحية – وإن تكن رديئة جداً من حيث قواعد الكتابة – باضطرارها الى الدفاع عن نفسها. وكانت جماهير فيلادلفيا هددت بتقويض بيوت المسؤولين عن إقرار ذلك المشروع، وأولهم في نظرها بنجامين فرانكلين.

وكتبت ديبورا: "حوّلنا احدى الغرف مخزناً. وطلبت ان توضع في الطبقة العليا عدة دفاعية يمكنني استخدامها بنفسي. ولما نصحني الجيران بالفرار وقفتُ في وجوههم قائلة إنك لم تفعل شيئاً يؤذي اي مواطن."

ومن حسن الحظ أن أصدقاء كثيرين هبوا الى نجدة آل فرانكلين، وتمكنوا من إقناع الجماهير بعدم اللجوء الى هدم أي منزل في فيلادلفيا.

من جهة، استخدم فرانكلين عدداً من الأسماء المستعارة للرد على الاتهامات الموجهة الى الامريكيين في الصحف الانكليزية. وأخبر احد المراسلين انه كان يمضي كل ساعة من ساعات النهار "في اعلام المشترعين الانكليز وشرح الموقف الامريكي لهم واستشارة بعضهم والرد على البعض الآخر."

وتهلل فرانكلين عند التبديل الوزاري ومجيء المركيز روكنغهام الى السلطة، وهو كان معارضاً علنياً لمشروع الضريبة البريدية. وبدأ فرانكلين يكتب قائلا انه والسفراء الامريكيين الآخرين سيبذلون محاولة لالغاء القرار.

وعلى رغم عدم ظهور بوادر على امكان ابطال القرار، وافق روكنغهام على اثارة القضية في مجلس العموم طالباً الى فرانكلين الادلاء بشهادته. وصمم فرانكلين على ان يكون لكلامه اكبر اثر. وبمساعدة عدد من مؤيدي روكنغهام اتُّفق على الاسئلة التي ستُثار، واعد فرانكلين اجوبته سلفاً من غير ان يخشى الاسئلة الاخرى التي ستأتيه دونما توقُّع. فان له من سرعة خاطره ما يكفي. وكان وقوفه امام البرلمان في ١٣ فبراير (شباط) عام ١٧٦٦.

ارتداء الملابس القديمة

"ما اسمك ومكان اقامتك؟"

- فرانكلين من فيلادلفيا.

وارتحل الصوت الهادىء الى مقاعد مجلس العموم الخلفية. كانت القاعة تغص بالناس، وقد اضفى عليها اعضاء المجلس وضيوفهم جواً مرحاً. وامتلأت المقاصير بالأشراف الرافلين بالحلل المذهبة والاوسمة وقد اشرقت وجوههم تحت الشعور المستعارة المصففة، كذلك بالدوقات وبنات الاشراف الموشحات بالحرائر.

أما الرجل الجالس في الجانب الآخر من القاعة فلم يعلق وساماً او يلبس انيقاً من الثياب. لكنه اكتفى بملابس تاجر انكليزي ووضع شعراً أبيض مستعاراً تخطاه الزمن. إلا ان مسحة من الجلال ظهرت على فرانكلين جعلت الأزياء المترفة تبدو كلها غير ذات بال.

"فرانكلين من فيلادلفيا." تلك الكلمات قرعت في رأسه كالجرس. ذلك ان فرانكلين ما انفك طوال حياته ينظر الى نفسه كمواطن موال للملك، والى مسقط رأسه كجزء لا يتجزأ من تلك الامبراطورية الرائعة المدعوة بريطانيا العظمى. وكانت الانتصارات الانكليزية موضع اعتزازه. أما الآن فقد أرغمته الاحداث على مواجهة واقع لا فرار منه: فان مئة وخمسين سنة كانت كافية لنشوء أمة جديدة، او على الاقل لنشوء شعب جديد، على الجانب الآخر من المحيط.

ووقف جيمس هيويت، وهو من انصار روكنغهام، مستهلا الاسئلة بالآتي: "هل يدفع الامريكيون ضرائب كبيرة؟"

- لا شك في انهم يدفعون ضرائب كثيرة ومرتفعة ايضاً.

"أوليس في إمكان الجميع دفع هذه الضرائب؟"

- كلا. فالمناطق الحدودية افتقرت كثيراً بعد تعرضها لغارات الأعداء المتتالية بحيث لم يبقَ في استطاعتها دفع الكثير.

ونهض جون هسك للكلام، وهو واحد من فئة صغيرة في البرلمان وُلد افرادها في امريكا. وسأل فرانكلين عن الحيف الذي ينطوي عليه قانون الضرائب البريدية. فقال فرانكلين ان القانون ليس جائراً فحسب، لكنه غير عمليّ ايضاً. يُضاف الى هذا ان البريد منعدم في المناطق القليلة الناس وما من طوابع بريدية، مما يحرم اهلها الحصول على الخدمات التي تقتضي هذه الطوابع ومنها الزواج ونقل الملكية ومعاملات الشراء والبيع العقارية، ويحتم عليهم قطع مسافات طويلة للحصول على طوابع. وهذا يعني ان المواطن "يدفع ثلاثة جنيهات او أربعة لكي يحصل التاج على نصف شيلنغ."

فجأة انهالت اسئلة المعارضة القاسية. فقال احدهم: "ألا تعرف ان الضريبة المجباة من الطوابع تُصْرَف كلها في امريكا؟"

- اعرف ان هذا صحيح نظرياً. لكن المبلغ يذهب الى المستعمرات المخضعة التي يملأها الجند، مثل كندا وفلوريدا، وليس الى المستعمرات التي جُبي منها.

A century ago the average housewife worked 16 hours a day, 365 days a year.

Today she gets the job done twice as well in half the time. But we still don't think that's good enough. So what are we doing about it? Lots!

Laundry products: ACE, ARIEL, BIZ, BOLD, BONUS, BOUNCE, CHEER, DASH, DAZ, DON MAXIMO, DOWNY, DREFT, DUZ, FAIRY SNOW, GAIN, IVORY FLAKES, OXYDOL, LAVA, LENOR, SALVO, TIDE. Household cleaners and cleansers: COMET, FLASH, MR. CLEAN, SPIC & SPAN, TOP JOB. Bar soaps: CAMAY, FAIRY, IVORY, LAVA, MONSAVON, SAFEGUARD, ZEST. Dishwashing products: CASCADE, JOY, MOTIV. Toiletries: CREST, DRENE GLEEM, HEAD & SHOULDERS, PRELL. Food products: CRISCO, DUNCAN HINES, FOLGER'S, PRINGLE'S. Paper products: BOUNTY, CHARMIN, PAMPERS, PUFFS, WHITE CLOUD.

Procter & Gamble

واستفهم جماعة روكنغهام عن عدد سكان امريكا وعن مقدار استيرادهم من بريطانيا. فأجاب فرانكلين ان في امريكا ٣٠٠ الف رجل أبيض تراوح اعمارهم بين السادسة عشرة والستين، مما يكفي لتأسيس جيش جرار. واضاف ان بنسلفانيا وحدها تستورد سنوياً بضائع بريطانية قيمتها نصف مليون جنيه استرليني. وكان مغزى كلامه واضحاً، وهو ان الحرب ضد اولئك القوم من شأنها ان تجر هزيمة عسكرية واقتصادية على التاج البريطاني.

وسأل عضو آخر من جماعة روكنغهام: "كيف كان موقف الامريكيين من بريطانيا العظمى قبل العام ١٧٦٣؟"

- لقد كان اعظم موقف في العالم. فالامريكيون كانوا خاضعين بمحض ارادتهم للحكومة الام والتاج، كذلك لتشريعات البرلمان البريطاني. ومهما بلغ عدد الامريكيين، فهم لا يكلفونكم شيئاً من ناحية الحصون والقلاع والقصور وحاميات الجند.

"وما هو شعورهم الراهن؟"

- لقد تبدّل كثيراً.

"واذا لم يلغَ القانون، فما هي العاقبة في رأيك؟"

- سيفقد الامريكيون إذ ذاك كل احترام ومحبة لبلدكم.

واخيراً طرح اصدقاء فرانكلين سؤالين بقصد سدل الستار على التمثيلية:

"بماذا كان الامريكيون يفاخرون؟"

- بارتدائهم أزياء بريطانيا واستيراد مصنوعاتها.

"وما هو موضع فخرهم اليوم؟"

- ارتداء الملابس القديمة مرة بعد مرة حتى يتوصلوا الى صنع ملابسهم بأيديهم.

وبعد اسبوع صوت المجلس على إبطال قانون الضرائب البريدية. وذلك الانجاز الذي حققه فرانكلين اخر الثورة الامريكية عشر سنين.

مياه عكرة

ما ان بلغت أنباء ذلك القرار امريكا حتى اشاعت الابتهاج الشعبي فيها. ونُشرت شهادة فرانكلين في الصحف واصبح بطلا قومياً. لكن فرانكلين نفسه لم يكن متفائلا. وسرعان ما برهن البرلمان البريطاني عن صحة تشاؤمه إذ أصدر إعلاناً يقول إن له الحق في فرض قوانينه على المستعمرات "في جميع الظروف." وأتبع ذلك الاعلان بمشروع "تاونشند" الذي اقره البرلمان عام ١٧٦٧ والذي يفرض قيوداً على عدد من البضائع البريطانية المصدرة الى المستعمرات باعطائه العملاء البريطانيين حقاً في تفتيش المنازل والمستودعات والسفن من غير ترخيص رسمي.

ومع اتساع شقة الخلاف وجد فرانكلين نفسه ناطقاً باسم الامريكيين جميعاً. وفي العام ١٧٦٩ عينته الهيئات الاشتراعية في بنسلفانيا ونيوجرزي وجورجيا ممثلا لها. وكان لقرار جورجيا فعل المفاجأة لدى فرانكلين الذي كتب الى ابنه وليم أنه لا يعرف اي شخص من تلك المستعمرة. وفي العام ١٧٧٠ أوكل

اليه مجلس مساتشوستس التمثيلي، وهي اشد المقاطعات الامريكية ثورية آنذاك، امر تمثيله.

وكان من اثر ذلك الاعتراف الواسع النطاق الذي حصل عليه فرانكلين ان زاد نقمة معارضي الروح الاستقلالية الامريكية، خصوصاً في الحكومة البريطانية. وفي الوقت نفسه زاده الاعتراف ثقة. وفي المقالات التي كتبها للصحف الانكليزية قويت دعوته الى الاستقلال الامريكي. ولم ينقضِ وقت طويل حتى بدأ اللورد هيلسبورو، الوزير البريطاني الذي اوكلت اليه شؤون المستعمرات الامريكية، حملة ضد فرانكلين في مجالس لندن ونواديها الاجتماعية. ومرة صرخ في وجه احدهم ان فرانكلين هذا "شخص فئوي محرّض، وهو عدو الملك وحكومته."

غير ان فرانكلين لم يقطع اتصاله بالناس من اجل صداقات جديدة. ولم ينفك عن عقد لقاءات دورية مع جماعة من العلماء ذوي النظرة المنفتحة، وبينهم جوزف بريستلي مكتشف الاوكسيجين، والتأثير فيهم للوقوف الى جانب امريكا. وحافظ على صداقاته الحميمة مع عدد من الاشراف ذوي الكلمة المسموعة، مثل اللورد شيلبورن الذي دعا فرانكلين مراراً الى منزله الريفي خارج لندن.

وفي احدى زياراته تلك التقى فرانكلين عدداً من الضيوف المرموقين، ومنهم ايزاك باري احد المدافعين عن حقوق الامريكيين في البرلمان والممثل الكبير ديفيد غاريك والمفكر الفرنسي الحر الأب موريليه.

وكان بادىء الامر قليل الكلام، خصوصاً امام باري وغاريك، لكنه ما لبث ان بزّ غاريك نفسه في فصاحة التعبير عن رأيه.

وخلال نزهة في ارض شيلبورن اعلن فرانكلين ان دراساته العلمية امدته بقوة لم يفصح عنها إلا نادراً. واشار الى ساقية كانت مياهها مضطربة بفعل الهواء، وقال ان في امكانه احداث السكون في مائها.

وللحال ثارت موجة شك في النفوس. لكن فرانكلين تقدم نحو مئتي خطوة الى حافة الساقية وراح ينقل عصاه بحركات سحرية فوق الماء. فجأة سكنت الامواج. وهرع موريليه وشيلبورن والآخرون الى الضفة، لكنهم لم يروا شيئاً يفسر تلك "العجيبة." وكان عامل يقف هناك، فاعلن أمام الجميع ان ذلك المشهد ملأه خوفاً وحمله على الاعتقاد ان فرانكلين يتمتع بقوى خارقة.

وما لبث فرانكلين أن كشف السر. فهو خبأ في قعر عصاه المجوّفة قارورة من الزيت الصافي. واضاف انه أجرى اختبارات طوال سنوات اكدت له ان الزيت يسكن الماء في مجمعاته الصغيرة لكنه يقصر عن تسكين عاصفة في المحيط.

نكتة امريكية

خلال تلك السنوات وجد فرانكلين متسعاً من الوقت لاحياء حلم قديم، وهو تأسيس مستعمرة جديدة في مجاهل وادي اوهايو. وقد وهب تلك الفكرة جزءاً كبيراً من قلبه لعلاقتها بابنه وليم. وقرر الاثنان رفع عريضة

الى الملك للسماح باقامة المستعمرة. وكان فرانكلين يرى في إنشاء مستعمرة كبيرة على الحدود الغربية تتويجاً لحياته.

واستعان وليم بعدد من المنظرين لجمع المال من المستعمرات ومقابلة زعماء الهنود ورسم حدود اولية. اما عمل بنجامين فكان يتم وراء الكواليس في لندن.

والحق ان في استمرار تلك الفكرة برهاناً ساطعاً على ديبلوماسية فرانكلين، علماً ان مقالاته القاسية في الدفاع عن الموقف الامريكي في الصحف البريطانية زادت مع ازدياد التوتر بين بريطانيا وأمريكا. وعندما أبطل البرلمان قانون تاونشند - لكنه احتفظ بالضريبة على الشاي - نشر فرانكلين نقداً لاذعاً بعنوان: "القواعد التي تجعل من امبراطورية عظيمة امبراطورية صغيرة"، وهي عشرون قاعدة تعرّض أسوأ وجوه السياسة البريطانية للنقد.

وبعد أيام ظهر مقال مثير في احدى الصحف تحت عنوان: "ارادة ملكية صادرة عن ملك بروسيا." وفي المقال أعلن فردريك الكبير، ملك بروسيا، أنّ العالم أجمع "يعرف حسناً" أن بريطانيا مستعمرة المانية. ولكن بما أن هذه المستعمرة تعطي "منتوجاً ضئيلا"، فقد ارتأى جلالته أن يفرض رسوماً جمركية بقيمة ٤،٥ في المئة على كل البضائع المصدرة من بريطانيا أو اليها.

وأضاف المرسوم الملكي أنه ينبغي على جميع السفن الخارجة من بريطانيا العظمى الوقوف في مرفأ كونيغسبيرغ "ليتمّ تفتيشها وفرض الرسوم عليها." وفي نهاية البلاغ جاء الآتي: "أما اللصوص والمحتالون والمزورون والمجرمون وقطاع الطرق الذين حكم القانون البروسي باعدامهم، فلسوف يشملهم عطفنا الملكي ونطلقهم من السجون ونرسلهم الى الجزيرة المدعوة بريطانيا العظمى من أجل زيادة عدد سكانها."

وأنهي المرسوم بالسخرية الآتية: "اننا نحذر جميع سكان تلك الجزر من معارضة ارادتنا الملكية هذه تحت طائلة الاتهام بالخيانة العظمى ونقل المتهم مغلولا من بريطانيا الى بروسيا لتجري محاكمته بحسب القوانين المرعية على أرضنا."

وتوارى فرانكلين عن لندن لدى صدور المقال، وقصد وست وايكومب لزيارة صديقه اللورد لو دوسبنسر. وكان فرانكلين في غرفة الطعام يتحدث مع اللورد دو سبنسر وضيوف آخرين لدى وصول صحف لندن. ودخل عليهما بول وايتهد، وهو شاعر معروف في أيامه، وهو يصيح: "اسمعوا هذا النبأ: ملك بروسيا يعلن حقه في هذه المملكة."

وارتسمت على جميع الوجوه نظرة عدم التصديق. وحاول فرانكلين أن يلبس قناع الدهشة ويبدو كسواه. وما أن انتهى وايتهد من قراءة مقطعين أو ثلاثة حتى قاطعه أحدهم مستنكراً دعوة ملك بروسيا: "لعنة الله عليه وعلى وقاحته. ولا تستبعدوا أن يزحف علينا بمئة ألف جندي."

ولكن ما أن استأنف وايتهد القراءة حتى لاحظ شبهاً بين دعاوى بروسيا

والجقوق التي أعلنها البرلمان الانكليزي لنفسه بما يخص امريكا. وفجأة نظر الى فرانكلين وقال: "اني أسلم رأسي للاعدام اذا لم تكن هذه الارادة الامبراطورية احدى نكاتك الامريكية علينا." واعترف فرانكلين بأنه لفق المقال، فيما أكمل وايتهد قراءته وسط الضحك الشديد.

وظل هذا المقال أياماً حديث لندن. وكتب فرانكلين الى ابنه وليم يقول ان أحد خصوم الامريكيين في الحكومة، وهو اللورد مانسفيلد، اعتبر المرسوم "غاية في المنطق والبراعة" لكنه توقع أن "يسبب أذى باعطائه انطباعاً سيئاً عن التدابير التي اتخذتها الحكومة." وفي رأي فرانكلين ان الاذى شقّ طريقه قبل ذلك الحين من المستعمرات.

الرسائل المختلسة

في رسالة بعثها الى صديقه توماس كوشينغ في بوسطن أواخر العام ١٧٧٢ ذكر فرانكلين الآتي: "أُقدر أنه من المناسب اطلاعك على وقوع رسائل بين يديّ يمكن أن نعزو اليها معظم بلايانا الراهنة ان لم نقل كلها. ولقد تعهدت الى من أعطاني اياها بألا أنشرها. وها أنا ارسلها اليك مع طلب الحفاظ على العهد."

والرسائل تلك كانت جزءاً من مراسلة تمت بين حاكم مساتشوستس توماس هتشينسون ونائبه اندرو اوليفر، خلال أحداث الشغب التي وقعت في بوسطن على أثر اعلان قرار تاونشند المتعلق بالرسوم الجمركية. والرسائل تصف حال المقاطعة على وجه يتبين منه أن الفوضى واقفة بالمرصاد، وتطلب الى الملك ارسال قواته لسحق انتفاضة جماهير بوسطن.

ولم يكن لدى فرانكلين غاية غير التي ذكرها في رسالته الى توماس كوشينغ، وهي حثّ جماعة الحركة الوطنية في بوسطن على هجر الكره الذي تكنه لبريطانيا لدى اكتشافها ان الحكومة البريطانية فعلت ما فعلته بعد تقيدها برسائل هتشينسون واوليفر المضللة.

غير أن وطنيي بوسطن ضربوا بتوجيهات فرانكلين عرض الحائط، وقرروا نشر الرسائل بعد نسخ أصولها. ولدى معرفته بالأمر، كتب وليم فرانكلين الى والده معبراً عن اشمئزازه من رؤية رسائل زميل له يُشهر بها على هذا النحو. وأعلمه أن هتشينسون يتهمه بتحريض سكان بوسطن على الانفصال. وأنهى وليم رسالته بالطلب الى أبيه تفسير المسألة.

وفي جواب صارم أكد فرانكلين لابنه أن في امكانه الدفاع عن كلّ ما كتبه، وأنه ما برح ينصح أهل بوسطن بعدم اللجوء الى العنف. ثم أعلن موقفه السياسي واضحاً: "في رأيي أن البرلمان البريطاني لا يحقّ له فرض أي قانون على المستعمرات، وان الملك وحده - وليس الملك ومجلس اللوردات ومجلس العموم - هو رأسنا. أما شرائعنا فنستمدها من الملك ومن مجالسنا التمثيلية المحلية."

وأضاف فرانكلين: "أعرف جيداً أن عواطفنا تختلف حول هذا الأمر. فأنت

رجل حكومة مخلص، وأنا لا أعجب من اخلاصك ولا أ ُحاول التأثير عليك."

وما أن نـُشرت الرسائل المختلسة في بوسطن حتى تأججت نار الخصومة بين الحاكم والشعب. وفي رسالة رسمية بعث بها مجلس المقاطعة الى فرانكلين، كلفه أن يطلب الى الملك تنحية هتشينسون واوليفر.

ووجد فرانكلين تسليم هذه العريضة الى اللورد دارتموث، وزير الدولة للشؤون الامريكية، أمراً حساساً. لكنه لم يكن بالامر الوحيد من نوعه. فالرسائل المذكورة نـُشرت في صحف لندن أيضاً، واضطرّ فرانكلين الى الاعتراف بأنه هو الذي حصل عليها وأرسلها الى بوسطن.

وفي مطلع العام ١٧٧٤ أ ُخبر فرانكلين أن العريضة الداعية الى اقالة هتشينسون ستحال على مجلس شورى الملك لعقد جلسة خاصة في شأنها. وكان يظنّ أن الجلسة ستقتصر على الملك ومجلسه الاستشاري. ولكن قبل يوم واحد من انعقاد الجلسة أخبر فرانكلين أن محامياً سيمثل هتشينسون واوليفر. وهذا الوقت القصير حمله على عدم الاطمئنان الى النيات المبيتة له في البلاط.

وعند ظهيرة الحادي عشر من يناير (كانون الثاني) ١٧٧٤، دخل فرانكلين جناحاً في قصر وايتهول كان يستعمل كميدان لمصارعة الديكة أيام الملك هنري الثامن وغدا مكاناً لانعقاد مجلس شورى الملك. وكانت في تلك القاعة الضيقة المستطيلة طاولة تمتد من الموقد حتى آخر الغرفة ويجلس حولها الاشراف.

وما كاد فرانكلين يلقي نظرة قصيرة حول القاعة حتى أدرك أن جو الجلسة سيكون معادياً له. والى جانب المقعد المخصص لرئيس المجلس وقف الكسندر ويدربورن النائب العام المساعد للملك، وهو المحامي الذي عهد اليه في الدفاع عن هتشينسون واوليفر. وكان رجلا اسكوتلندياً ناحلا وغير ودي وقد عرف بسلاطة اللسان وباستعداده للدفاع عن أي مسألة في مقابل ثمن. وقد كتب أحد العارفين فيه: "ثمة أمر غريب حوله يمنع الخيانة نفسها من وضع ثقتها به."

وبما أن فرانكلين لم يـُعطَ وقتاً كي يكلف محامياً الدفاع عنه، فقد سأل ان كان الطرف الآخر يقبل بالتنازل عن محاميه. ولما رفض طلبه سأله رئيس المحكمة عما اذا كان يود المضي قدماً. وأجاب فرانكلين باقتضاب: "في ودي اجراء استشارات." وسئل عن الوقت الذي يحتاج اليه، فقال انه ثلاثة أسابيع واذ ذاك أ ُجلت الجلسة الى ٢٩ يناير (كانون الثاني).

في قفص الاتهام

ضجت لندن بالاشاعات حول المصير الذي ينتظر فرانكلين بعدما أعلن ويدربورن أنه سيقطعه إرباً. ووصلت الى مقر فرانكلين في شارع كرافن أخبار مفادها أن عدداً من أعضاء المجلس طلب القبض عليه وسوقه الى المحكمة كمجرم.

وفي تلك الاثناء حدث أمر حوّل الشرارة التي قدحتها رسائل هتشينسون حريقاً هائلا. ففي ١٩

يناير (كانون الثاني) عادت السفينة البريطانية "هايلي" بأخبار مفادها أن حشوداً من بوسطن تنكرت في أزياء هنود واقتحمت ثلاث سفن بريطانية راسية في مرفأ بوسطن، طارحة الى البحر حمولتها من الشاي الى تقدر بثلاثمئة صندوق. وفي اليوم التالي عادت السفينة "بولي" الى انكلترا وقد أُبقيت حمولتها من الشاي في عنابرها بعدما رفض سكان فيلادلفيا استقبالها. ولم يجد فرانكلين، وهو الناطق باسم مساتشوستس وبنسلفانيا كليهما، بداً من تكليف محاميين الدفاع عنه أمام مجلس شورى الملك.

ودهش فرانكلين لدى بلوغه قفص الاتهام في ٢٩ يناير (كانون الثاني). ذلك أن أحداً من سكان لندن لا يتذكر البتة وجود هذا الحشد من اللوردات - وعددهم خمسة وثلاثون - في مكان واحد. وقد تحلق عدد كبير من افراد الحاشية الملكية حول الطاولة وكأن على رؤوسهم الطير. وكتب فرانكلين لاحقاً يقول انهم دُعوا "كما الى حفلة تسلية."

وافتتح محاميا فرانكلين الجلسة بقولهما ان العريضة المرفوعة الى الملك بخصوص استقالة حاكم بوسطن ومعاونه ليست بالامر الذي يُحتكم فيه الى القانون، وان على جلالته ان يبحث في المسألة مع مستشاريه. وما أن فرغ المحاميان حتى أعتلى الكسندر ويدربورن المنصة قائلا ان العريضة ليست بالامر التافه بل انها تنفذ الى قلب سياسة بريطانيا الاستعمارية. فهل تستطيع الحكومة البريطانية، اليوم أو غداً، توظيف أشخاص من ذوي الولاء الصادق لادارة مستعمراتها؟

وجواباً عن سؤاله صرخ ويدربورن: "كلا،" في حال قبول المجلس الاستشاري النظر في عريضة الدكتور فرانكلين. وتابع المحامي الملكي ان مجلس مساتشوستس لم يستطع وضع يده على "عمل واحد سيىء،" لكنه لم يتورع عن سؤال الملك ان يقيل هتشنسون ومعاونه "لانهما خسرا ثقة الناس."

ولكن لماذا خسرا تلك الثقة؟

طرح ويدربورن السؤال وقد تجاهل الخصام الذي نشأ منذ البداية بين الحاكم ومعاونه من ناحية والمجلس التمثيلي من ناحية اخرى. وصرخ ويدربورن مرة اخرى قائلا ان السبب الوحيد لفقد الثقة هو الرسائل التي اختلسها فرانكلين ووجهها الى بوسطن.

وراح ويدربورن يصب جام غضبه وخطابيته الفظة على فرانكلين بقوله: "الدكتور فرانكلين اذاً هو المحرك الاول لهذه المؤامرة ضد الحاكمين اللذين يمثلان صاحب الجلالة." وتابع أن أسوأ الطرق التي لجأ اليها فرانكلين هي استغلال الرسائل الشخصية.

وظلّ صوته يرتفع حتى بلغ ذروته اذ قال: "ولكن كيف انتقلت الرسائل الى يد لا تخص صاحبها؟ ان هذا لغز نطلب من الدكتور فرانكلين جلاءه."

وحث ويدربورن سادته اللوردات على "وسم هذا الشخص ودمغه للمحافظة على شرف البلاد وشرف

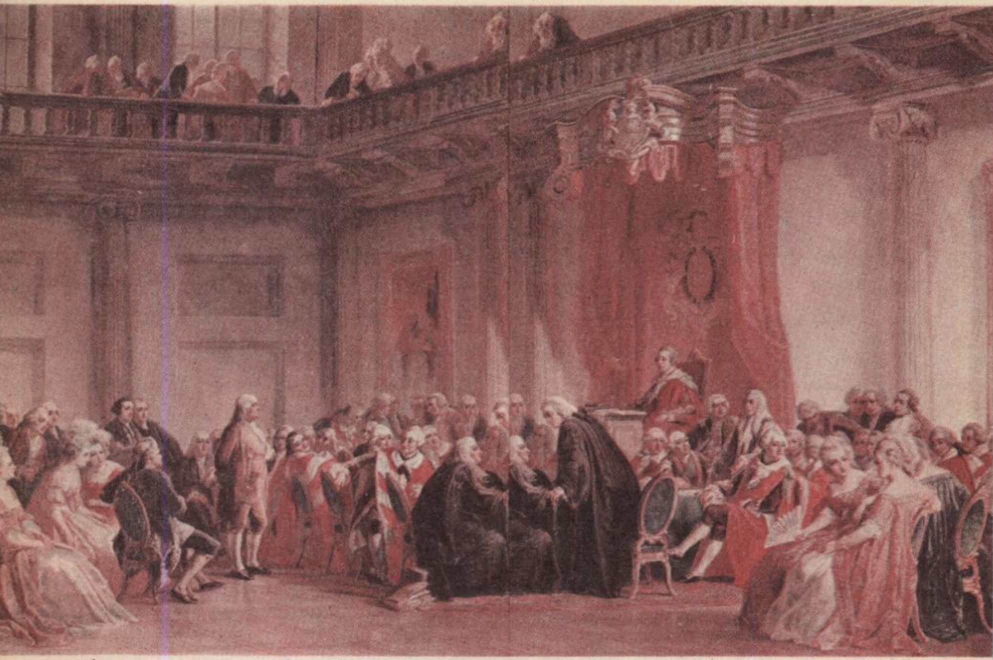

فرانكلين في قفص الاتهام امام مجلس شورى الملك. "ظل طوال الوقت واقفاً كصخرة" ومتحملا بصمت فيضاً من الاتهامات.

اوروبا وشرف الانسانية. لقد خسر بعمله المشين هذا احترام المجتمعات ورجالاتها." ووصف فرانكلين، وهو لم ينفكّ عن الهزء والصراخ وضرب الطاولة بقبضته، بأنه رجل أسكرته السلطة وظن نفسه وزيراً على "الجمهورية الامريكية الكبرى" التي شاء لها الاستقلال كما شاء أن يكون وحده الناطق باسمها.

ولم يجد فرانكلين مناصاً من تحمل هذا الفيض من الاهانات طوال ساعة، فيما المتفرجون يضحكون لنكات ويدربورن اللاذعة. ولم يصدق العديد منهم ان في امكان أي رجل أن يبقى صامتاً حيال تلك الموجة العارمة من الازدراء. الا أن فرانكلين حقق بصمته الجبار ما ظُنَّ مستحيلا. وكان بين الحضور جيريمي بنثام الذي لم تكن شهرته ذاعت بعد كفيلسوف والذي قال ان فرانكلين "ظل طوال الوقت واقفاً كصخرة من غير أن تقوى العاصفة العاتية على زحزحته."

لكن ذلك كان أكثر من عاصفة بالنسبة الى فرانكلين. فالكارثة

Henry E. Huntington Library and Art Gallery, San Marono, Calif.

كانت سياسية ونفسية في الوقت نفسه. وفي تلك الجلسة عاين وعانى موت آماله حول تحقيق مصالحة بين بريطانيا وامريكا. وشاهد بنفسه انسحاق الحب العميق الذي تكون لديه طوال السنين تجاه بريطانيا والانكليز. ولم يصدق ان اولئك الرجال الذين عرف معظمهم شخصياً قبلوا باهانته الى ذلك الحد".

الا أن الصمت المطبق الذي أرغم فرانكلين نفسه عليه لم يعن أنه قرر الصفح أو النسيان. وبعد ارفضاض الاجتماع وخروج النظارة وجد نفسه يسير الى جانب "جلاده" الكسندر ويدربورن. ووضع يده على ذراعه برفق وقال: "إني سأجعل من سيدك ملكاً صغيراً من أجل هذا العمل."

وداع الدموع

بقي فرانكلين في بريطانيا سنتين اخريين. وقد جرد من وظيفته كمدير مساعد للبريد بعد مثوله أمام مجلس الشورى، لكنه بقي ممثلا للمقاطعات الاربع في لندن. وبعدما وضع المجلس الامريكي الجديد لائحة بالمصائب التي يشكو منها، طلب الى فرانكلين تقديمها أمام البرلمان البريطاني.

وبدا لوقت قصير أن فكرة المصالحة ممكنة. فبعد حادث الشاي في بوسطن اقر البرلمان اجراءات جزائية ظنها المتطرفون كفيلة باخضاع مستعمرة مساتشوستس في أسرع وقت. لكن العكس هو الذي حصل، اذ تحدت مساتشوستس تلك الاجراءات.

وفي تلك الاثناء حلّ البرلمان البريطاني. ووسط حملة الانتخابات الجديدة زار فرانكلين سراً عدد من المبعوثين غير الرسميين معتذرين عن الحيف الذي لقيه أمام المجلس الاستشاري. ثم طلب اليه اللورد ريتشاردهو أن يقترح خطة يمكن اعتمادها أساساً للتفاوض. وأضاف أنه لا يحاول التأثير على فرانكلين "بأي دوافع أنانية،" لكنه وعده بأن تغدق عليه الحكومة "أي مكافأة في حدود صلاحياتها."

وأعد فرانكلين خطة تطلب الى بريطانيا، أولا، تنفيذ بنود العريضة التي رفعها المجلس التمثيلي الامريكي. ولكن ما أن باشر المجلس البريطاني الجديد ممارسة صلاحياته حتى رفض بأكثرية أعضائه السماح بمثول فرانكلين أمامه لتقديم العريضة.

وأتبع ذلك الصد بنبأ مأسوي حول وفاة ديبورا فرانكلين في أمريكا. وكان لذلك وقع عنيف على فرانكلين، فزوجته أسفت كثيراً لقراره البقاء في بريطانيا. وراح يلوم نفسه على عدم العودة الى وطنه قبل ذلك الحين. ومما زاد الطين بلة الهوة المتعاظمة بين الرجل وابنه الوحيد وليم. فقد بقي وليم موالياً للعرش حتى بعد مثول أبيه أمام مجلس شورى الملك الذي تناقلت اخباره الصحف الامريكية. وحمله الغم والدافع الى اعلان الحرب على اتخاذ قرار بالعودة الى امريكا.

وفي يومه الاخير في لندن زار صديقه القديم جوزف بريستلي. وكان لقاء الرجلين مفعماً بالعاطفة. وبعد

قراءتهما مجموعة من الصحف التي وصلت حديثاً من المستعمرات اشار فرانكلين الى المقالات التي يجد في إعادة نشرها فائدة جلى لبلاده. وتلك كانت محاولته الاخيرة في انكلترا للعب دور الداعية الى المصلحة الامريكية، ذلك الدور الذي شعر انه اخفق فيه. ووصف بريستلي ذلك اللقاء لاحقاً بقوله: "لم يستطع، معظم الوقت، الكلام لأن الدمع كان يسيل مدراراً على خديه."

وفي طريق عودته الى امريكا على متن السفينة "بنسلفانيا" وقف فرانكلين يراقب الدوامة البحرية، وهي عبارة عن نهر وسط المحيط كان ادهشه في رحلاته السابقة. وقبل سنوات اخبره احد انسبائه ان الربابنة الامريكيين كانوا يقطعون المسافة في وقت اقل من البريطانيين لمعرفتهم بأسرار ذلك التيار.

ووجد فرانكلين ان الطريقة الافضل لتسجيل مرور السفينة عبر ذلك النهر البحري هي تزويدها بموازين حرارة. وكان ذلك اكتشافاً علمياً من الدرجة الاولى. لكن فرانكلين انتظر طويلا قبل نشره إذ لم يشأ ان تستغله السفن الحربية البريطانية لاجتياز المسافة سريعاً.

صمت مطبق

وصل فرانكلين الى فيلادلفيا في الخامس من مايو (ايار) ١٧٧٥، ليقابله خبر خشيه طويلا وهو ان الحرب اندلعت في بلدة لكسينغتون في مقاطعة مساتشوستس قبل خمسة عشر يوماً... أجل، لقد بدأت الحرب.

وبعد يوم واحد من عودته عُين فرانكلين عضواً في وفد بنسلفانيا الى المجلس الامريكي المتحد. وانطلق يعمل بلا كلل على رغم سنواته السبعين.

واختير عضواً لعشر لجان في المجلس. وباشر اجتماعاته بكبار الضباط والمهندسين بغية التخطيط للحصول على اسلحة للجيش الامريكي الفتي. واطلع المجلس على نيات القبائل الهندية ووسائل حماية التجارة الامريكية. وقام بتحريات حول امكان الحصول على مساعدات حربية امريكية، وانضم الى لجنة السلام العاملة على تمكين بنسلفانيا من الدفاع عن نفسها في وجه اي اعتداء بريطاني محتمل. ونظراً الى هذا النشاط الجبار لم يعجب جون آدامز لرؤية فرانكلين "يغط في مقعده معظم الوقت" خلال اجتماعات المجلس.

ولدى وصوله من لندن لقي فرانكلين استقبالا بهيجاً من ابنته سالي. وكانت تزوجت تاجراً يدعى ريتشارد باش وأنجبت ثلاثة أولاد. لكن الاخبار العائلية الاخرى كانت مزعجة، ومنها ان جين ميكوم شقيقة فرانكلين المترملة أُرغمت على الفرار من بوسطن مع لاجئين آخرين بعد حصار المرفأ. وبقي وليم الحاكم الناطق باسم الملك في نيوجرزي.

وحاول فرانكلين اقناع ابنه غير مرة بتأييد القضية الامريكية. ومنذ البداية عرض موقفه باخلاص ومن غير مواربة، وهو انه يؤيد الاستقلال. وصُعق وليم لسماعه ذلك. ولما سأله

أبوه عن سبب عدم استقالته أجاب انه يرفض الحنث بقسمه تجاه الملك.

وبذل فرانكلين جهده للحفاظ على هدوئه وسط ذلك الصدع العائلي الأليم. ولكن مع تعاظم الصراع وفرار بعض الحكام الآخرين او اقالتهم، بلغت الشقة بين الوالد وابنه حدها الأقصى.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٧٧٥ وقف وليم فرانكلين خطيباً امام مجلس نيوجرزي. وعرض موقفه بجرأة موضحاً الأسباب التي دعته الى عدم الاقتداء بزملائه الحكام في اللجوء الى السفن الحربية البريطانية استعداداً للفرار. واضاف انه لا يجوز للملك الظن ان نيوجرزي في حال "انتفاضة حقيقية" كبقية الولايات.

واوضح وليم لممثلي الولاية انه على استعداد للتخلي عن منصبه إذا هم طلبوا اليه ذلك. واعجاباً بصراحته صوّت ممثلو الولاية على توجيه عريضة الى الملك جورج الثالث لتحكيمه في الأمر. واقترح وليم ان يعبروا للملك عن رغبتهم في "اعادة السلام والوحدة مع الدولة الأم."

غير ان تلك الخطوة كانت تهديداً للمقاومة الامريكية. وكان رد فعل المجلس الاتحادي فورياً، إذ وافق جميع اعضائه على عدم خرق الجبهة الداخلية الدفاعية واقروا بالاجماع ان "محاولة اي مستعمرة التفرد في ارسال عرائض الى الملك تعد تهديداً خطراً لمصلحة امريكا." وشُكلت لجنة لحث مجلس نيوجرزي على سحب عريضته.

واذا كانت حياة فرانكلين شهدت يوماً انحساراً بيناً، فهذا حصل في الرابع من ديسمبر (كانون الاول) ١٧٧٥ يوم تشكيل اللجنة المذكورة لتخليص الثورة من ابنه المحافظ. ووافق مجلس بنسلفانيا على التراجع عن العريضة، وللحال كُسف سلطان وليم السياسي.

لكن ابن فرانكلين بقي في منزله اشهراً عسيرة، الى ان اصدر المجلس المتحد اعلاناً في العاشر من مايو (ايار) ١٧٧٦ يبطل بموجبه "جميع الاقسام والمواثيق" بما يخص التاج البريطاني، معلناً ان الحكومة المحلية "تستمد سلطانها من الشعب."

وعلى رغم معرفته باقتراب النهاية، إلا أن وليم اصدر امراً يتحدى مجلس الولاية ويدعوه الى الالتئام. اما المجلس، من جهته، فوجد الوقت سانحاً لخلع ابن بنجامين فرانكلين. فأصدر قراراً بالقبض عليه.

وأُعطي المسؤولون عن تنفيذ العملية تعليمات مشددة لمعاملة اسيرهم "بمنتهى الرفق." كما طُلب اليهم مفاوضته للتوقيع على تعهد يتخلى فيه عن مواقفه السياسية في مقابل السماح له بالبقاء في مزرعته.

غير ان وليم فرانكلين لم يرضخ البتة. ولدى سوقه امام لجنة تابعة لمجلس الولاية رفض ان يجيب عن اي سؤال. ورفعت اللجنة تقريراً الى المجلس الاتحادي يصف وليم بأنه "عدوّ خبيث." وفي ٢٤ يونيو (حزيران) اصدر المجلس قراراً يقضي بارسال وليم وسط حراسة مشددة الى حاكم كونتيكت.

وليس ثمة دليل يشير الى ان فرانكلين حاول الاتصال بابنه بعد اعتقاله. ولا بد من ان الهوة السياسية التي فصلت احدهما عن الآخر ملأها الصمت المطبق.

"شيخ لا يصلح لشيء"

خلال تلك الايام العصيبة لجأ فرانكلين الى الاعتذار عن حضور اجتماعات المجلس الاتحادي بحجة الألم الذي يعانيه من داء المفاصل. ولم يلعب دوراً كبيراً في المناقشات الحادة التي رافقت تصويت المجلس على القرار الحاسم، ألا وهو الاستقلال. وسُمي عضواً في لجنة عهد اليها في صياغة اعلان الاستقلال. وكان من الراجح، نظراً الى شهرته العالمية الواسعة، تكليفه كتابة الميثاق بلغته. إلا انه استُبعد عن النطق باسم الثورة بسبب الضجة التي احدثها ابنه. وعُهد في ذلك الامر الى توماس جفرسون من فرجينيا.

وعرض جفرسون مسودة الاعلان على سائر اعضاء اللجنة بما عرف عنه من موهبة للتوفيق. وأدخل فرانكلين بعض تعديلات ثانوية ربما كان اهمها ما جاء في اعقاب قول جفرسون: "اننا نعتبر هذه الحقائق مقدسة وغير قابلة للدحض." وابدل فرانكلين "مقدسة وغير قابلة للدحض" بعبارة "بديهية."

وما ان أُعلن الاستقلال حتى استأنف فرانكلين نشاطه في المجلس الاتحادي. وخلال شهري يوليو (تموز) واغسطس (آب)، بما يرافقهما من رطوبة وحرارة، كان يقف على قدميه يوماً بعد يوم وهو يحث ممثلي الولايات على تأسيس دولة يُكتب لها البقاء. غير ان نصر الاستقلال لم يتبعه نصر مماثل من حيث توحيد الولايات المختلفة. وبعد خمسة اسابيع من النقاش لم يتوصل المجلس الى أي اتفاق في شأن الضرائب والسلطتين الاشتراعية والتنفيذية.

ثم وصلت أنباء فظيعة من جبهة المعركة. ففي ٢٧ اغسطس (آب) افلح البريطانيون في مطاردة جيش جورج واشنطن في لونغ آيلند وحملوا عناصره على الفرار الى منهاتن ليلا. وفي معركة خليج كيبس التي حصلت بعد اقل من شهر، فرّ الامريكيون كالأرانب من طريق الجنود البريطانيين وكاد واشنطن يبقى وحده في ارض المعركة.

واتضح ان امريكا تحتاج الى مساعدات ضخمة. وفي جو من السرية التامة صوّت المجلس الاتحادي على ارسال ممثلين الى فرنسا. ووقع اختيارهم على بنجامين فرانكلين لما له من رصيد في العالم القديم.

إلا ان ذلك القرار لم يبهج فرانكلين. فهو كان يعني رحلة شتوية قاسية عبر الاطلسي، اي ما يعادل حكماً بالاعدام بالنسبة الى رجل في سنه. واذا أسرته سفينة حربية بريطانية على الطريق، فكيف له ان ينجو من حبل المشنقة؟ غير ان فرانكلين كرس حياته لقضية أُمته على نحو غير منقوص. وبعد التصويت التفت الى الدكتور بنجامين رش الذي كان جالساً الى جانبه وقال: "إني

شيخ لا يصلح لشيء. وبلغة تجار الثياب، فاني مثل هدب ثوب مرخي. لذلك اترك لبلادي ان تفعل بطرف الثوب ما تشاء."

وقبل ايام من مغادرته رهن فرانكلين املاكه في فيلادلفيا، وتجمع لديه نحو أربعة آلاف جنيه استرليني وهبها كلها للمجلس الاتحادي على امل ان يقتدي الآخرون بمبادرته. وأبحر نحو فرنسا على متن السفينة "ريبرايزل" (الانتقام) في ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٧٧٦.

نصر ديبلوماسي

كانت مهمة فرانكلين الرئيسية إبرام معاهدة مع فرنسا. وظل سنة واكثر يحاول عبثاً تحقيق هذا الامر. والواقع ان فرنسا لم تشأ الدخول في حرب ضد بريطانيا لا طائل وراءها، خصوصاً ان أخبار الجبهة الامريكية كانت سيئة بعد وصول فرانكلين الى فرنسا. ثم وصل تقرير خطير في خريف ١٧٧٧ وهو ان الميجور جنرال وليمهو استولى على فيلادلفيا.

وفي ٤ ديسمبر (كانون الاول) اجتمع فرانكلين مع سيلاس دين وآرثر لي عضوَي البعثة الامريكية الآخرين الى فرنسا. وكانت سرت شائعة في باريس مفادها ان سفينة امريكية وصلت وعلى متنها رسول يحمل وثائق رسمية الى الرجال الثلاثة. وراحوا يتحدثون حول آخر الأخبار الامريكية وهم ينتظرون وصول الرسول الى مقر فرانكلين في منطقة "باسي" الباريسية. وكمثل غارقين في البحر، تمسك الرجال الثلاثة بتلك البارقة كما بحبل نجاة وهم يخشون ان تكون الرواية حول الاستيلاء على فيلادلفيا من نسج الخيال البريطاني.

وما ان سمع فرانكلين وقع عجلات على الحصى حتى قفز الى الخارج. وقبل ان يعرّف جوناثان اوستن رئيس المجلس الحربي لولاية مساتشوستس عن نفسه، سأله فرانكلين: "قل لي يا سيدي، اصحيح ان فيلادلفيا صارت لنا؟"

وأجاب اوستن: "هذا صحيح يا سيدي." وتنهد فرانكلين فرحاً. وأضاف اوستن: "لكن لديّ خبراً آخر أعظم، وهو ان الجنرال بورغوين وعناصره جميعاً باتوا أسرى حرب."

وهرع فرانكلين مع ضيفه الى المنزل، وكانت يداه ترتجفان وهو يسحب الرسائل من الصناديق. وتأكد من الانباء القائلة ان هجوماً بريطانياً صُدّ في ساراتوغا. وللحال اعد فرانكلين وزميلاه تلك الاخبار للنشر. وحرصوا على توجيه اهم رسالة الى وزير الخارجية الفرنسي الكونت فيرجين في فرساي.

وأرسل الكونت تهانئه الى فرانكلين معبراً عن رأيه في ان الوقت حان لاعادة النظر في المعاهدة المقترحة. ولكن ما ان أحيا الموفدون الامريكيون حديث المعاهدة حتى اجابهم الكونت فيرجين بجفاف ان فرنسا لا تستطيع شيئاً من هذا القبيل من غير استشارة اسبانيا. ذلك ان ملك اسبانيا هو خال الملك الفرنسي لويس السادس عشر، والتضامن العائلي يقضي بالاتفاق المتبادل حول

مسائل كهذه. وبعد اسابيع قليلة أُخبر فرانكلين ان اسبانيا ترفض ان تخوض حرباً من اجل استقلال امريكا.

وبعد ذلك التزم فيرجين جانب الصمت، مما حدا فرانكلين على اللجوء الى مناورة ديبلوماسية وإن يائسة. وكان بول ونتوورث رئيس المخابرات السرية البريطانية في فرنسا يبذل جهوداً دامت اسابيع لمقابلة فرانكلين. وكان فيرجين وفرانكلين كلاهما على علم بما يرمي اليه. ذلك ان هزيمة بورغوين احدثت بلبلة في اوساط الحكومة البريطانية التي اوعزت الى ونتوورث بمحاولة التوصل الى هدنة. ومع استمرار الصمت الرسمي الفرنسي وافق فرانكلين فجأة على استقبال ونتوورث.

وبقي العميل البريطاني ساعتين يحاول إغراء فرانكلين بالحجة والتملّق بابرام معاهدة هدنة. إلا ان جواب فرانكلين الصارم كان: الاستقلال او لا شيء. وعرض عليه ونتوورث رسالة غير موقعة من وليم ايدن رئيس الاستخبارات البريطانية تعلن استعداد انكلترا لمواصلة الحرب عشر سنين اخرى بغية الحؤول دون حصول امريكا على الاستقلال.

وانبرى له فرانكلين على الفور: "ان اميركا على استعداد للمحاربة خمسين سنة من أجل تحقيق استقلالها."

وبعد انصراف ونتوورث لم يقل فرانكلين شيئاً لفيرجين حول ذلك اللقاء. وما أن أبلغ وزير الخارجية الفرنسي حصول ذلك الاجتماع، وذلك عبر مخبريه، حتى تذكر أن فرانكلين أفضى إليه بمكنون المحاولات البريطانية السابقة كلها. وخشية من أن يكون ذلك الصمت ضاراً بالمصلحة الفرنسية دعا فيرجين الى اجتماع سريع لمجلس الوزراء الفرنسي، محذراً من أن انكلترا تحاول عقد هدنة مما يعني انغلاق اميركا تجارياً على فرنسا. وأعلن فيرجين أن الوقت حان لكي تتخذ فرنسا موقفاً إيجابياً. وللحال صوت مجلس الوزراء على المعاهدة.

وفي اليوم التالي أعلم فرانكلين أن الملك لويس السادس عشر وافق على توقيع معاهدة بين فرنسا واميركا بغض النظر عن موقف خاله الاسباني. وهكذا برهن فرانكلين عن تفوقه على أرفع الديبلوماسيين في اوروبا.

ثمن الامة

بموجب المعاهدة التي توصل إليها فرانكلين أرسلت المدافع والذخائر والسفن والعناصر الحربية الفرنسية الى امريكا. كما امكن فرانكلين أن ينتزع من الخزينة الفرنسية هبات وهدايا بقيمة ملايين الدولارات؛ وتبدل ميزان القوى الحربية تدريجياً. وفي مساء العشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٧٨١ سمع فرانكلين بهزيمة البريطانيين في يوركتاون. وبعد أيام ثلاثة تلقى رسالة من صديق قديم في لندن تستطلع رأيه في السلام.

وفي جوابه عن الرسالة كتب فرانكلين الآتي: "إن أمتكم العطشى لم ترتوِ بعد من دمنا." وكان يعرف

أن الملك ومعظم وزرائه ما زالوا ضد الاستقلال الأمريكي. لكنه أضاف الى جوابه كلمات كان يعرف أنها ستنقل الى الحزب المعارض: "إني مخول التفاوض من أجل السلام."

وكان المجلس الاتحادي أنشأ لجنة للسلام تضم بنجامين فرانكلين وجون جاي وجون آدمز. وظل فرانكلين أكثر من سنة يعقد اجتماعات مضنية مع ممثلين بريطانيين. وحلت الامور الرئيسية واحداً واحداً، ومنها الاعتراف بأن اميركا دولة ذات سيادة ورسم حدود جديدة ودفع الديون العائدة الى ما قبل الحرب ومنح الأمريكيين حق صيد السمك على ضفاف نيوفاوندلند.

إلا أن نقطة واحدة أخيرة بقيت من غير حل وهي تعويض ما خسره أنصار الملكية البريطانية في أميركا. وكان المفاوضان الآخران جاي وآدامز على استعداد للموافقة على مبدأ التعويض، لكن فرانكلين رفض ذلك رفضاً قاطعاً.

وكان لعناده تفسير واحد لم يلاحظه أي مؤرخ سابق. والواقع أن ابنه وليم كان ذهب الى لندن ممثلا جماعة من أنصار الملكية طلبت إليه رجاء الملك أن يعوض خسارتهم المادية. وما أن علم فرانكلين بذلك حتى قرر التصدي لمحاولة التعويض بكل ما اوتي من قدرة. وكان أبلغ خبراً عام ١٧٨٠ لم يستطع مواجهته بالنسيان أو بالمغفرة طوال حياته، وهو أن وليم فرانكلين أطلق في مقابل تسليم أسير أمريكي، وانه عين رئيساً لمنظمة اسمها "مجلس الملكيين المتحدين." وتلك منظمة فدائية شنت، في إشراف وليم، حملات وحشية في نيوجرزي ونيويورك وكونتيكت. ومعنى هذا أن وليم فرانكلين لم يكتفِ بأن أصبح عدواً سياسياً، بل ارتضى إراقة دماء الأمريكيين الذين حاربوا من أجل قضية وهبها فرانكلين الأب قلبه وحياته. وهذا كله وقف عائقاً في سبيل ردم الهوة بين الأب وابنه.

وفي النهاية نال فرانكلين ما شاء، إذ وقعت معاهدة السلام من غير أن تنص على أي تعويض تمنحه أميركا للملكيين.

الشمس الطالعة

شاهد فرانكلين ابنه مرة واحدة في ما تبقى من أيامه. وكان المجلس الاتحادي عهد الى توماس جفرسون عام ١٧٨٥ في تمثيل بلاده في فرنسا حيث كان فرانكلين سفيراً حتى ذلك الحين. وفي طريقه الى أميركا توقفت سفينة فرانكلين في ميناء ساوثامبتون البريطاني. وهناك أمضى أياماً يودع أصدقاءه القدامى.

ثم وصل وليم. ولم يتمكن فرانكلين من الصفح، حتى لدى وقوفه وجهاً لوجه أمام ابنه. وكان حديثهما بارداً ومقتصراً على الشؤون المالية. وفي النهاية توصل فرانكلين الى شراء جميع ممتلكات وليم في المستعمرات، وبذلك قطع صلة ابنه بأمريكا.

وهكذا دفع فرانكلين ثمناً عائلياً باهظاً لئلا يساوم قيد انملة في الحرب التي ارتضاها لنفسه من اجل تأسيس الامة الامريكية.

كانت فيلادلفيا كلها في انتظار فرانكلين لدى نزوله الى رصيف ميناء ماركت ستريت. واصطف المواطنون في الشوارع وهم يطلقون صيحات الظفر ترحيباً بالشخص الوحيد الذي أنزلوه في قلوبهم منزلة جورج واشنطن. ونظروا مبتهجين الى سالي فرانكلين وهي تعانق أباها على مدخل منزله.

وأسر الى أصدقائه أنه عاد ليمضي بقية أيامه في عزلة تخوله كتابة مذكراته ومتابعة تحرياته العلمية. ولكن ما انقضى على عودته أربع وعشرون ساعة حتى وجد أن لا مناص له من السياسة. وكانت بنسلفانيا منشقة ثلاثة أحزاب، هرع كل منها الى فرانكلين لشد ازره في محاولة السيطرة على الولاية. وبعد شهر من وصوله انتخب عضواً في مجلس بنسلفانيا التنفيذي، ثم اختير رئيساً له. وبعد ذلك انتخبه المجلس المحلي رئيساً للولاية، وهو منصب يشبه منصب حاكم الولاية الحالي.

وهال فرانكلين أن يرى أن العلاقة بين الولايات تدهورت كثيراً بعد الحرب. وكانت كل ولاية تنزع الى تجاهل المجلس الاتحادي وتتحرى استقلالها الاقتصادي والسياسي، وسرعان ما تبين أن دستور الاتحاد يحتاج الى اعادة نظر جذرية. وهكذا وجه فرانكلين في ابريل (نيسان) ١٧٨٧ رسالة تاريخية الى جفرسون في باريس جاء فيها: "إن دستورنا الاتحادي مختل من أساسه. وستلتئم لجنة هنا الشهر المقبل لمراجعته واقتراح التعديلات الملائمة."

وفي ذلك المؤتمر الدستوري جمع فرانكلين قواه من أجل إرساء الدولة الجديدة على أسس راسخة. وكان في الثانية والثمانين آنذاك. وبقي أربعة أشهر يسير يومياً من بيته الى مجلس ولاية بنسلفانيا، حيث يمضي الساعات الطويلة مشتركاً في النقاش حول مئات المسائل التي واجهت واضعي الدستور.

ومنذ اليوم الأول جسد فرانكلين روح المساومة التي كانت البلاد تحتاج إليها. وكان يمكنه أن ينافس واشنطن وحده في رئاسة المؤتمر، لكنه ارتأى التنحي. ومرة احتدم النقاش الى حد بدا معه انفراط عقد المؤتمر وشيكاً. إلا أن فرانكلين اعتلى المنصة مذكراً المؤتمرين بان تلك الغرفة عينها شهدت اجتماعات المجلس الاتحادي، حيث كانت تتلى الصلاة يومياً كما كانت "تستجاب بنعمة الله." وحثهم على إحياء تلك العادة.

لكن اقتراح فرنكلين لم ينل الموافقة، خصوصاً لأن أعضاء مثل الكسندر هاملتون تصدوا له بحجة أن المواطنين قد يجدون في تلك الممارسة دليلا على "الخلافات والانقسامات بين أعضاء المؤتمر."

غير أن اقتراح فرانكلين بث شيئاً من الايمان العميق وسط ذلك الجو المثقل بالمشاحنة، ومكن صاحب الاقتراح من تحذير زملائه بأن "استمرار الخلافات الناجمة عن مصالحنا المحلية الصغيرة من شأنه أن يجعلنا سخرية الأجيال."

وما انفك فرانكلين طوال المؤتمر

يحارب التدابير الآيلة الى كبت الحريات وغرس روح الريبة بين الفئات الأمريكية المختلفة. وقاوم الاقتراح القاضي بمنع الوافدين الأجانب من تسلم مسؤوليات رسمية قبل انقضاء ١٤ سنة على هجرتهم، وخفض تلك المدة الى أربع سنوات. كما قاوم بشدة فكرة منع مالكي العقارات من حق التصويت. ودافع عن الفقرة التي تمنح الكونغرس (مجلس النواب) حق احالة رئيس الجمهورية على القضاء. وكانت تحدوه في ذلك كله رغبة في أن يرى الأمريكيين أحراراً ومتساوين أمام القانون.

ومع اقتراب نهاية المؤتمر خشي المؤتمرون ألا تقر مجالس الولايات المحلية صيغة الدستور. ذلك بأن معظم النقاط التي أقرت على سبيل المساومة صوت عليها بأغلبية ضعيفة، فضلا عن أن العديد من الممثلين ما زال ساخطاً. وذلك ولد حاجة الى تغطية الدستور بمقدمة تضفي عليه صفة الاجماع. وشخصت الأنظار الى فرانكلين لتحقيق ذلك الهدف.

وفي ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٧٨٧ اجتمع الممثلون للمرة الأخيرة وقرىء الدستور على مسامعهم. ثم نهض فرانكلين وفي يده خطاب. وانتابه ألم شديد، إذ كان يشكو في المدة الأخيرة من حصى في المثانة. واكتفى بطلب اذن في الكلام، ثم وضع الخطاب في يد جيمس ويلسون عضو وفد بنسلفانيا لقراءته نيابة عنه. وكان الكلام موجهاً الى جورج واشنطن شخصياً:

"إني أعترف بأن في هذا الدستور نقاطاً لا أقرها حالياً. لكني لست متأكداً، يا سيدي، من اني لن أقرها لاحقاً. فقد عشت طويلا واختبرت مواقف كثيرة وجدت نفسي مرغماً فيها على تبديل آرائي...

"لذلك اوافق، يا سيدي، على هذا الدستور لأني لا اتوقع خيراً منه ولأني لست متأكداً من عدم كونه الافضل. أما قناعاتي حول أخطائه فأضحي بها للخير العام. إنها اعتراضات لم أبح بها حتى همساً خارج هذا المكان. وهي ولدت ضمن هذه الجدران، وضمنها ستموت."

ودعا فرانكلين الآخرين الى الاقتداء به. وكان يدرك أن اكثرية كل وفد تؤيد الدستور. لذلك طرحه على التصويت. ونال عشرة أصوات في مقابل لا شيء. وبهذا تحقق الاجماع الذي كان آباء الأمة يطمحون إليه.

وفيما توجه رؤساء الوفود الى طاولة واشنطن لتوقيع نص الدستور نظر فرانكلين الى من حوله، ثم أشار الى كرسي الرئيس حيث رسمت شمس وقال: "لطالما نظرت الى ذلك الرسم خلال اجتماعاتنا. ويسرني كثيراً الآن ان أرى انها شمس طالعة وليست شمساً آفلة."

"صيغة جديدة أتَم"

ساءت صحة فرانكلين باطراد بعد المؤتمر والح عليه الألم من جراء حصى المثانة. لكنه لم يُحرم الوقت لمناصرة قضية اخرى، ذلك بأنه قبل رئاسة "جمعية بنسلفانيا للعمل على

إلغاء العبودية." ورفعت الجمعية توصية الى جلسة الكونغرس الاولى تدعوه فيها الى نبذ الرق فوراً. ونهض جيمس جاكسون ممثل جورجيا معارضاً المشروع.

وذلك أوحى الى فرانكلين بكتابة مقال اخير من جملة مقالاته الساخرة. وارسله الى صحيفة "فدرال غازيت" قائلا انه كتب في الجزائر قبل مئة سنة. والمقال دفاع عن العبودية. وصدّق العديد من اهالي فيلادلفيا ذلك المقال وهرعوا الى المكتبات بحثاً عن المصدر الذي نُسب اليه.

وفي رسالة كتبها الى جورج واشنطن عام ١٧٨٩ كشف فرانكلين عن اصل حبه للحياة. وهنأ الرئيس الاول على "القوة المتعاظمة التي تستمدها حكومتنا الجديدة تحت توجيهكم." واضاف: "كان افضل لي لو مت قبل سنتين. ولكن، على رغم الألم المبرح الذي عانيته طوال هذا الوقت، يسعدني ان اكون بقيت حياً لأرى وضعنا الراهن."

وربما كان جواب واشنطن افضل تكريم يناله فرانكلين: "اسأل الله، يا سيدي العزيز، ان اهنئك على إبلالك من هذا الألم المبرح الذي تعمل تحت وطأته. كما اسأله تعالى ان تختم حياتك برضا نفسي يعادل ما وهبته لبلدنا وللجنس البشري...

"وإذا كان في تقدير الفضيلة والمواهب والوطنية مكافأة لمن يتحلى بهذه الصفات الحميدة، فحسبُك ان حياتك لم تذهب سُدى."

وبعد تسعة اشهر سقط فرانكلين في غيبوبة ومات وهو في الرابعة والثمانين. واعلنت صحيفة "بنسلفانيا غازيت" وفاته ضمن خانة سوداء. واحدر جثمانه ليستريح بجانب جثمان زوجته على قرع الاجراس وعلى مرأى عشرين الف مواطن.

وامتدحه العلماء ورجالات الحكومة حول العالم لما انطوت عليه حياته من مآثر. وربما كان اعظم تقريظ لذلك الرجل ما قاله الكونت دو ميرابو امام الجمعية الوطنية الفرنسية، إذ اعلن انه آن الاوان لكي تعلن الحكومات الحداد ليس على الملوك والامراء وقادة الجيوش فحسب، بل على اولئك الذين يفعلون الخير للانسانية ايضاً. ودعا ميرابو الجمعية الى الموافقة على اقتراحه الداعي الى التجلل بالسواد ثلاثة أيام من اجل ذلك "العبقري العظيم" الذي حرر الناس من مخاوفهم حيال "عواصف البرق والطغاة." وأقر الاقتراح بالهتاف.

إلا أن المرثاة التي تعبر خير تعبير عن شجاعة فرانكلين ومرحه وإيمانه وتعلقه بالحرية كتبها هو نفسه لتوضع شاهدة على ضريحه:

"هنا يرقد جسد ب. فرانكلين الناشر،
كغلاف كتاب قديم
بليت محتوياته،
ومزقت حروفه وأهدابه المذهبة،
وبات طعاماً للدود.
إلا أن العمل لن يضيع كله،
لأنه، كما آمن صاحبه،
سوف يظهر مرة اخرى
في صيغة جديدة وأتم،
وقد نقحتها وصححتها
يد الخالق."

■ توماس فليمنغ

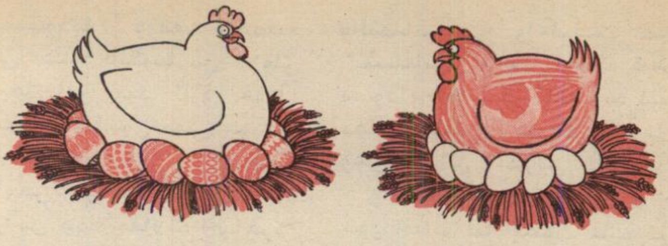

صور من الحياة

تعاطف الاقليات

بعد تعيينها عضواً في مجلس ادارة احد المصارف الامريكية، دخلت السيدة قاعة الاجتماعات للمرة الاولى، علماً انها الانثى الوحيدة في الادارة. وكان جميع الاعضاء من البيض باستثناء رجل اسود دخل وجلس بجانبها. وبعد قليل قال لها: "ارأيت كيف تتعاطف الاقليات؟"

ا.ب.

ماونتباتن والامير تشارلز

في برنامج قدمه التلفزيون البريطاني تكريماً للبطل القومي الراحل اللورد ماونتباتن، قال ولي العهد الأمير تشارلز ان عم والده كان يتمتع بمركز مرموق بين أفراد العائلة المالكة:
"أظن أن الكثيرين يعرفون عنه تقدمية أفكاره. لكنه كان على الدوام يصغي الى وجهات النظر الاخرى.
وحين طلب إلي أن آخذ مكانه كرئيس للاتحاد الدولي لجامعات العالم، ظل يتحدث طويلا وقال: "انك لا تزال في مقتبل العمر ولك شهرة عالمية واسعة." وما ان تسلمت المهمة منه حتى انهالت علي مخابراته الهاتفية: "يجب أن تفعل هذا" و"لا تنسَ أن تفعل ذاك."
ووجدت أني لا أطيق ملاحقته. فكتبت اليه رسالة فيها الآتي: "لقد أعطيتني مكانك لأنك، كما قلت، تقدمت في السن وتود أن يكون اللقب من نصيب شاب. فأرجوك أن تدعني وشأني."
وأجابني: "الآن قرت عيني بك. فهذا عين ما كنت أود سماعه. انك أهل للقبك الجديد."

مجلة "المستمع" (الاذاعة البريطانية)

جارنا بيتهوفن

اعتدت وزوجتي الاستماع الى الموسيقى الكلاسيكية حتى وقت متقدم من كل ليلة. وذات صباح وجدنا أمام الباب الملاحظة الآتية:
"أعزائي عشاق الموسيقى،
"هل لكم ان تتصوروا فرحي ودهشتي وأنا أفيق وسط الليل على أحد أعمالي تؤديه فرقة موسيقية كاملة؟ وها أنا، بعد هذا السبات الطويل، يمكنني ان أسمع من جديد. فقد كنت أدري ان صممي وقتي. الا ان لي كلمة نقد واحدة، وهي أن النغم كان مرتفعاً على نحو صارخ.
"هل تودون الاستماع الى السيمفونية التاسعة في الليلة المقبلة؟ ربما أمكنني عندئذ أن أدعو جوقة الشرطة لمساعدتكم.

باخلاص،

لودفيغ فان بيتهوفن"

أمنوا لأولادكم نموًا صحيحًا

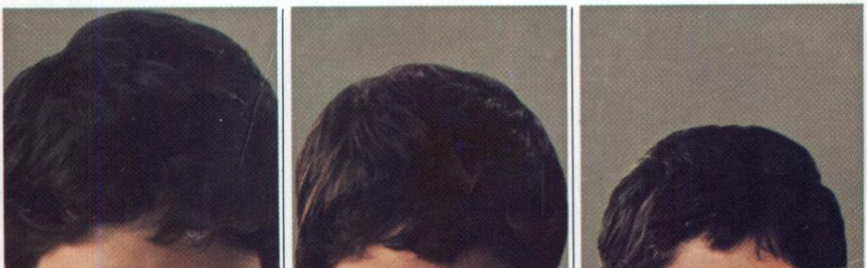

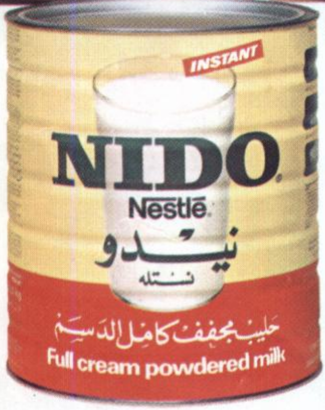

نيدو السريع الذوبان هو حليب كامل الدسم يحتوي على كافة العناصر الغذائية التي توفر لأولادكم نموًا متكاملًا . فالبروتين والكالسيوم وفيتامينات "أ" و"د" وغيرها من العناصر الضرورية المتوفرة في نيدو السريع الذوبان تجعل عظامهم صلبة وأسنانهم متينة وأبدانهم صحيحة قوية .

نيدو السريع الذوبان هو حليب بقري صاف ونقي من الجراثيم ، يخضع قبل تجفيفه وتعبئته الى عدة تحليلات مخبرية دقيقة ليصبح خاليًا من كل شائبة .

نيدو السريع الذوبان طعمه لذيذ ، يحضر بسرعة ، ويحبه أولادكم باردًا أو ساخنًا في الصباح وفي المساء وفي أي وقت من النهار .

نيدو السريع الذوبان
ليِنموَ اولادكم وينعموا بالعافية

Nestlé. تضمنه نستله